فضل العرب
والتنبيه على علومها

لابن قتيبة الدينوري (672هـ)

تقديم وتحقيق

د. وليد محمود خالص

© هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، دار الكتب الوطنية.
فهرسة دار الكتب الوطنية أثناء النشر.

ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، 828-889 ؟
فضل العرب والتنبيه على علومها/ لابن قتيبة الدينوري؛ تقديم وتحقيق وليد محمود خالص. -
ط2 - أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، دار الكتب الوطنية، 2010.
ص. ؛ سم.
ت د م ك 978-9948-01-709-7
1- الحضارة العربية. 2- الأدب العربي - مختارات. 3- العلوم عند العرب. 4- العالم الإسلامي - تاريخ. أ- خالص، وليد محمود، -1951.

LC DS36.85 .128 2010



أبوظبي للثقافة والتراث
ABU DHABI CULTURE & HERITAGE

الطبعة الأولى 1431هـ 2010م

أبوظبي - الإمارات العربية المتحدة
ص.ب: 2380، هاتف: 300 6215 2 971+
publication@adach.ae
www.adach.ae

فضل العرب
والتنبيه على علومها

إضـــاءتـــان

-1-

قال أبو محمد: «وقد كنتُ في عنفوان الشباب وتطلُّب الآداب، أحبُّ أن أتعلَّق من كلِّ علمٍ بسبب، وأن أضربَ فيه بسَهم».

تأويل مختلف الحديث، ص61

-2-

وقال أيضًا: «وما أبرأ إليكَ بعدُ من العثرة والزلَّة، وما أستغني منك إن وقفتَ على شيء من التنبيه والدلالة، ولا أستنكفُ من الرجوع إلى الصواب عن الغَلط، فإنّ هذا الفنَّ لطيفٌ خفيٌّ، وابن آدمَ إلى العجزِ والضعفِ والعَجلة، وفوقَ كلِّ ذي علمٍ عليم».

الأنواء، ص4

كـلـمـة

صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب سنة 1998 عن المجمّع الثقافي – أبو ظبي، وهو المعروف بنشر نفائس الكتب؛ سواء أكانت مؤلَّفة، أم محقَّقة، أم مترجمة، وأياديه البيضاء على الثقافة العربية كثيرة لا تُجحد، وتجيء هذه الطبعة بعد نفاد طبعة المجمّع الثقافي، وفيها شيء من معاودة النظر، وإصلاح بعضٍ من الخلل وقع في تلك الطبعة، مع إضافة مصادر جديدة في التخريج لم تتهيأ للمحقّقٍ في ذلك الوقت، ويعيد هنا نشر تلك الكلمة التي تفضّل بكتابتها آنذاك الشيخ حمد الجاسر– تغمّده الله برحمته الواسعة – وهو مَنْ هو علمًا، وغَوْصًا على كنوز التراث العربي، ونَشَر كلمته في مجلة العرب (ج7، 8 س–34 محرم وصفر سنة 1420هـ) (أيار، حزيران– مايو، يونيو سنة 1999م)، ص574–576، ونثبتها هنا بحروفها التي ارتضاها الشيخ الجاسر عليه رحمة الله.

ونرجو أن يفيد دارسو التراث العربي من هذه الطبعة، وتكون عونًا لهم في دراساتهم عن ابن قتيبة الدينوري خصوصًا، والشعوبية عمومًا، والحمد لله أولاً وآخرًا.

د. وليد محمود خالص

مكتبة العرب

* (فضل العرب والتنبيه على علومها)

لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى سنة 276هـ

حمد الجاسر

(المجمّع الثقافي) في مدينة (أبو ظبي) يُعد من المراكز الثقافيَّة الحديثة النشأة، ومع هذا فله في هذا المجال نشاط متميز، فقد نشر في فترة قصيرة من الزمن عددًا من المؤلفات، وهي وإن كان يغلب على أكثرها اتصالها بالجانب الحيوي المعاصر، إلا أن هذا لا يقلل من قيمتها العلمية، بل ربما يكون الاهتمام بهذا بالنسبة للأمة العربية أعمَّ نَفْعًا، وأعظمَ جَدْوى، فحياتها لا تتوقف على الجانب الروحي، الذي تمتد جذوره إلى أصول الثقافة العربية الإسلامية، في عصورها الزاهية فحسب، بل لابُدَّ لها من أن تتدَرَّعَ بجميع وسائل القوة في حاضرها، ولن يتم هذا حتى تنال نصيبها من علوم العصر كاملاً غير منقوص.

ولقد كان مما أكرمني به هذا (المجمّع) طائفة من منشوراته المتنوعة، مما كنت أود – من قبيل الاعتراف بالفضل – أن أتحدث عن جميعها حديثًا مفصّلاً، إلا أنّ تنوع موضوعاتها أجلّ وأوسع، وأعمق من أن أستطيع من ذلك ما أرتضيه لنفسي، إذ أُدْرِكُ قبل غيري قصوري وعجزي (رحم الله امرأً عرف قدر نفسه).

لقد كان من أجلِّ ما نشره (المجمّع) كتاب «النقائض»، وقد تحدَّثت عنه في مجلة «العرب»– س32 ص–850.

وهذا الكتاب آخر جليل القدر بغزارة علمه، وبعلو منزلة مؤلفه بين العلماء، وبقدم زمنه، إذ عاش في القرن الذي عدّه المصطفى – عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأزكى التسليم – من القرون المفضلة بقوله: «خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين

يلونهم». وتُعدُّ مؤلفات ابن قُتَيْبَة من أهم مصادر الأدب، بل الثقافة العربية عامة؛ ككتاب «غريب القرآن»، و«مشكل القرآن»، و«مشكل الحديث»، و«عيون الأخبار»، و«أدب الكاتب»، و«المعارف»، و«طبقات الشعراء»، و«الإمامة والسياسة»، و«الأنواء»، و«المَيْسِر والقِدَاح»، وغيرها، ومنها هذا الكتاب «فضل العرب والتنبيه على علومها» الذي يرجع الفضل الأول في التنبيه على قدره لمؤرخ الشام وعالمه الأستاذ محمد كرد علي (1293/1372)، الذي نشر بعضه في مجلة «المقتبس» سنة 1327هـ (1909م)، ثم أعاد نشر هذا في كتابه «رسائل البلغاء»، فاتَّجه الباحثون المعاصرون للتنقيب عنه، ونشره، ودراسته، بل دراسة حياة ابن قتيبة، ومؤلفاته بصفة عامة، مما يجد القرَّاء طرفًا منه في مقدمة الطبعة الحديثة التي بين أيديهم من هذا الكتاب.

وهنا يحسن التنبيه على أمر هام حول موضوع الكتاب وعنوانه؛ هو أن صفة (الفضل) صفة مدح على الاتصاف بصفة، يتميز بها الموصوف، ومتى زالت عنه زال الاتصاف، و(العرب) في عهد ابن قتيبة وما قبله كانوا يتصفون بصفات حميدة، يمتازون بها على غيرهم من الأمم، ولهذا اختار الله سيدنا محمدًا منهم، وهو ﴿أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾، واختار اللغة العربية ليخاطب بها رسوله، بما أوحى به إليه من شرائع الإسلام وأحكامه وآدابه، وربط معرفة كل ذلك بمعرفة هذه اللغة، وبها صانه الذي تولى حفظه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾، وفي عهد ابن قتيبة نبتتْ نابتة من أبناء الشعوب التي اعتنقت الإسلام، من غير العرب، تجهل فضلهم، وتنال من قدرهم، وعرفوا بـ (الشُّعُوبية)، فتصدَّى العلماء للرد عليهم، ومنهم ابن قتيبة في كتابه هذا.

ومعاذ الله أن يكون الحامل له تعصُّبًا، ولكنه أراد أن يبرز فضل أمة وصفها الله جل

وعلا بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾، وأنها تُنْمَى إلى عنصر طيب.

ثم هو أرفع قدرًا وأَجَلُّ عِلْمًا بأن يتغاضى أو يَغُضَّ الطرف عن «النقائص»، ولكنه عاش في عصر غير عصرنا، وفي أمة غير أمتنا:

وهَلْ إنْ كَانَ حَاضِرُنَا شَقِيًّا

نَسُودُ بِكَوْنِ مَاضِينَا سَعِيدَا؟!

لقد أبرز ابن قتيبة في كتابه «فضل العرب» محامدَ ومحاسنَ وفضائلَ للعرب في ماضيهم، جاء الدين الإسلامي بإقرارها والحث عليها، وهي مما امتازت بها العرب ففضلت بها على غيرها، ومن يَدْرِي؟ لعله لو كان ممن عاش في هذا العصر لاتَّضَحَتْ له جَوَانبُ أخرى يدعو إلى التحلي بها، ومنها اتخاذ جميع وسائل القوة – أَيًّا كانَتْ – لحماية صورة الأمة، وصيانة كِيانها، والحِفَاظ على ثروتها، ولَنْ يكون ذلك إلاَّ بالعِلم المقرون بالعمل النافع.

وأراني استرسلت في الحديث الذي ينبغي حصره في نشر أثر من آثار علمائنا العاملين، أُبرز فيه صفحات مشرقة لأمتنا في ماضي عصرها، جديرة باتخاذها قدوة، ووسيلة للاعتبار والتفكير، والعمل الجاد لتجاوز ما نحن فيه من عَثْرَةٍ وخُمُود، إلى حياة أسْعَدَ من حياتنا الحاضرة!!

ولن تفوت الإشارة إلى الجهد المتميز الذي بذله الأستاذ الدكتور وليد محمود خالص في تحقيق هذا الكتاب، حتى بدا بصورة من الوضوح لا يُقَلِّلُ منها ما وقع من غموض بعض كلمات منه[1]؛ لما أصاب الأصل المخطوط من آثار القدم، وقد يجود الزمان بمخطوطة أكمل

(1) مثل كلمة (وهو حامد الله شاكرًا له) حيث قرأها المحقق الكريم ص207 وهو (حامل كفه شاكر له)، ومثل ضبط كلمة (عمير بن سَلمى الحنفي) – ص63 – ووضع فتحةً فوق السين خطأ، والصواب ضَمُّ السين، وسكون اللام، والميم مكسورة (سُلْمي). قال ابن ماكولا في كتاب «الإكمال» – ج4 ص327 – في ذكر مُجَّاعة بن مُرَارة بن سُلْمي الذي يقال له مجاع اليمامة: «كذا، وجدته مطبوعًا بخط ابن عبدة، وكذا قال شبُل النسابة بالضم، وعُمَير بن سُلِمْي قائد الجرباء كَتيبَةً، وهو أحد الأوفياء». إلى آخر ما ذكر.

وكلام ابن ماكولا ليس كاملاً في الضبط، ولكن ورد في مخطوطة مكتبة راغب باشا في استنبول من «مختصر الجمهرة»: سُلْمِيّ مضبوطة شكلاً واضحًا متقنًا، بضم السين وإسكان اللام وكسر الميم بعدها ياء – ص157 – في نسب بني حنيفة، وكذا رأيته في مخطوطات أخرى، ولا يزال هذا الاسم مستعملاً في نجد في عهدنا.

وأوضح.

ولا يعني هذا الغض من الجهد الواضح للمحقق الكريم في كل صفحة من صفحات هذا الكتاب، مما يدلّ على سعة اطلاعه، وحرصه على أن يقدّم الكتاب بخير صورة.

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

كان من حقّ هذا الكتاب أن يرى النورَ كاملاً منذ أمد بعيد، محقّقًا، ومطبوعًا؛ لسببين أراهما وجيهين: أولهما أنَّ الاهتمام بكتب ابن قتيبة ونشرَها بدأ منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فمنذ أن نَشَر وستنفلد كتابَ (المعارف) سنة 1850 ميلادية، والعنايةُ بابن قتيبة تزدادُ، وتوجّه له الأنظار، فتبدأ كتبهُ الأخرى في الصدور تباعًا بنشرات علمية تارةً، ونشرات تجارية تارة أخرى، ويرافقُ هذا النشر تصويرُ بعض من كتبه لتكون سهلة ميسورة بين أيدي الباحثين والقرّاء، غير أنَّ هذا الكتاب الذي عملنا على تحقيقه لا يجدُ من المحقّقين، والدارسين سوى الصدود والإعراض، ولم نجد وقتها سببًا مقنعًا يفسّر ذلك الصدود، ويكشف سرَّ ذلك الإعراض، لكنَّ الاستغراق في العمل كشف أشياء.

وثانيهما أنَّ هذا الكتاب معروف للدارسين: دارسي ابن قتيبة خاصة، والباحثين في الشعوبية عامَّة، وقد نشرت مجلة (المقتبس) قطعة منه في العددين الحادي عشر، والثاني عشر سنة 1909 ميلادية، وأعاد الأستاذ محمد كرد علي – عليه رحمة الله – نشر تلك القطعة نفسها في كتابه (رسائل البلغاء)، فإن كانت مجلة (المقتبس) عزيزة الوجود، صعبة المنال؛ لقدمها، وقلَّة ما طبع منها، فلا تصل إليها اليد بسهولة، أقول: إذا كان الأمر كذلك (فرسائل البلغاء) شائع بين الناس، كثير التداول، مطبوع غير مرَّة، يضاف إلى هذا أمر جدير بالذكر، وهو أنَّ النسخة الوحيدة التي تملكها دار الكتب المصرية من هذا الكتاب، مثبتة في فهرس الكتب العربية الموجودة بالدار لغاية آخر شهر مايو سنة 1926 ميلادية، وصدر هذا الفهرس سنة 1927 ميلادية، وهو ذائع بين الدارسين تحتفظ بنسخ منه المكتبات العامة، كما تعرفه بعض خزائن الكتب الخاصة، ومع هذا كلّه يعزف المحققون عنه، فلم نسمع

أنَّ أحدًا نهد إلى تحقيقه، ونشره، واكتفى الدارسون بتلك القطعة من الكتاب التي نشرها المرحوم الأستاذ كرد علي، فهل لهذا من تفسير؟

لعلَّ التفسير الوحيد الذي يحلُّ هذا الإشكال يكمن في النسخة الوحيدة من المخطوط في دار الكتب؛ تلك التي أشرنا إليها سابقًا، فهي كما ورد في فهرس كتب الدار: «بها تقطيع كثير وأكل أرضة... ناقصة من الأول»[1]، ولا مفرَّ من أن تكون هذه النسخة معتمدَ مَنْ يتصدّى لتحقيق الكتاب، وهو أمر دونه صعوبات شتّى، أو كما تقول العرب: دونه خَرْط القتاد؛ بسبب رداءة تلك النسخة، وصعوبة القراءة فيها، ناهيك عن البتر الذي أصابها.

وحين أقدم كاتب هذه السطور على تحقيق هذا الكتاب كانت أمامه ثلاثة طرق: أولها أن يترك العمل كلّه، ويعتزل المخطوط أسوة بغيره من (المعتزلة)، ويختار مخطوطًا آخر أصغر حجمًا، وأكثر وضوحًا، وأقلّ مؤونة، قد سلم من تلك النواقص، وبرئ من هاتيك العيوب، فيذيعه على الناس، وليظلَّ مخطوط ابن قتيبة قابعًا في مكانه ينتظر وينتظر.

وثاني هذه الطرق يتلّخص في أن يعمد إلى هذا المخطوط نفسه فينشره كما هو عليه بلا جهد مضاعف، أو محاولات في التجويد، يساعده على هذا النسخة نفسها، فهو يذيعها بخيرها وشرّها، وربَّما زاد قليلاً فتحدَّث عن (النقل الحرفي) و(الأمانة العلمية)، ولو فعل ذلك لما لامه أحد، فهو يقدِّم نصًا وجده كما هو، وإن أسعفتِ الأيام – وقليلاً ما تسعف – بنسخة ثانية أعاد النشر كرَّة أخرى معتمدًا عليها، ومقابلاً بينها وبين نسخة الدار هذه التي بين يديه، فليقدّم الوعودَ، ويمنّي النفسَ والآخرين، ولكن هيهات.

أمّا الطريق الأخير – وهو الثالث – فشاقّ صعب، محفوف بالمكاره، تبدو معالمه في أن يقوم هو نفسه بـ (ترميم) النسخة الوحيدة، وإعادة بنائها، وخاصّة في النصوص التي يستشهد بها ابن قتيبة، وهذا يقتضيه قراءة عشرات من المصادر قراءة متأنِّية، غير مكتفٍ بـ (التقليب) أو (الكشف في الفهارس)؛ فهذا لا يحقّق غرضه؛ إذ القضية برمّتها أشبه ما تكون بالبحث عن إبرة وسط كُومة كبيرة من القشّ، فربَّما يجدها وربّما يخفق، وقد ظفر بالإبرة مرّات، وأخفق في العثور عليها أخرى، غير أنَّ لذة الاكتشاف أعانته، وقدَّمت له أياديَ بيضاء جدَّدت همَّته، وشحذت عزيمته، غير مبالٍ بتعب، أو آبه بجهد، ومكَّنته من

---

(1) فهرس الكتب العربية الموجودة بالدار، 272/3.

سدّ كثير من الفجوات، وإصلاح مواضع من الخلل، ورأب الصدع في كثير من الأماكن.

هذه هي الطرق التي كانت أمام كاتب هذه السطور، وهو يضرب الأمر ظهرًا لبطن في انتقاء أحدها، والاستقرار عليه. فماذا يفعل؟ تبيّن ممّا سبق أنَّه اختار أصعبها؛ وهو الأخير، ولذلك طال العمل عنده، واستغرق زمنًا زاد على ستّ سنوات، وجهدًا لا يعرفه إلا مَنْ كابد الشوق في قراءة المصادر، والتفرّغ لها. وهو يحتسبّ ذلك كلّه عنده وحده سبحانه، فهو تبارك اسمه القادر على الجزاء، غير أنَّه بعد ذلك كلِّه استطاع أن يقدّم كتاب ابن قتيبة – إلاّ في مواضع قليلة – بحلّة تليق به، وهو أهل لها، جدير بها، فمكانة ابن قتيبة في تراثنا العربي والموضوع الذي يعالجه أظهر من أن تقدّم البراهين على أهمّيتها وخطورتها.

هذا ما وقع، بسطته بين أيدي القراء، لعلَّ فيه توضيحًا وبيانًا، وفي مقدمة التحقيق فضل مزيد يكشف خافيًا، ويبيّن مستترًا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وليد محمود خالص

مقدّمة التحقيق

-1-

ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، أبو محمد، المتوفّى سنة 276 للهجرة، عَلمٌ من أعلام تراثنا العربي، يلمس المدقّق في سيرته[1] إخلاصًا نادرًا للعلم، وصبرًا عجيبًا عليه، وحرصًا فائقًا على نشره، فهو طيلة حياته بين طلب، وتدريس، وتأليف، وإفتاء، وهذا ما يتطلّب ذهنًا وقّادًا، وسعة في العِلم لم ينلها إلاّ القليل، وهو من النوادر أيضًا، أولئك الذين كثرت تآليفهم، وغزر إنتاجهم، وتنوّعت المعارف بين دفّتي تلك التآليف، فمنحتها مذاقًا خاصًا، وأسلوبًا متميزًا اصطنعه ابن قتيبة لنفسه، واختطّه منهجًا لها، فهو يحشد معارف متباعدة في موضع واحد توضيحًا لما يعالجه من قضايا، وبذلك يقوّي رأيه، ويدعمه، غير أنَّ هذا الذي يتميّز به يُتْعِبُ محقّق كتبه في الوقت ذاته، ويجعله يلاحق تلك المعارف في مصادر مختلفة، ومظان متنوعة، ربّما يظفر ببعضها أحيانًا، ويرجع بالخيبة أحيانًا أخرى، وهو يذكّرنا بمعاصره الجاحظ المتوفى سنة 255 للهجرة، على اختلاف جوهري بينهما في مسائل أساسية، ورحم الله المحقق الجليل الأستاذ عبد السلام هارون الذي وهب الجاحظ وكتبه من عمره النصيب الأوفر، فأخرج نفائسه ونشر أعلاقَه مختلطةً بجهده، ممزوجة بصبره وإصراره، ولم يكن لينهض بذلك العبء الضخم سوى خبير متمرّس، متبحّر في التراث العربي؛ مثل الأستاذ هارون تغمّده الله برحمته.

(1) تحفل المكتبة العربية بكتب ودراسات كثيرة عن سيرة ابن قتيبة، وكتبه، وجوانبه العلمية، ولذلك وجدنا من فضول القول وتطويله أن نعمد إلى كتابة شيء عن سيرته مرّة أخرى، ولذلك نحيل هنا على أربعة كتب فصّلت الحديث عنه تفصيلاً وافيًا، ورسمت صورة متكاملة عنه، فلأصحابها الفضل في تلك الأيدي التي أسدوها تنويرًا لحياة ابن قتيبة، وخدمة لتراثه، وهي: (ابن قتيبة)؛ د. إسحاق موسى الحسيني، و(ابن قتيبة العالم الناقد الأديب)، د. عبد الحميد سند الجندي، و(ابن قتيبة)، د. محمد زغلول سلام، و(ابن قتيبة والشعوبية)، د. عبدالله الجبوري، عدا المقالات والدراسات الأخرى عن حياته، وكتبه.

وكانت كتب ابن قتيبة وتآليفه موردًا عذبًا نهل منه الدارسون منذ وقت مبكر في حياته، وتواصل هذا الاهتمام بعد وفاته؛ فابنه أحمد مثلاً كان يحدّث بكتب أبيه، ويحفظها كما يحفظ القرآن[1]. ونوّهت كتب التراجم بتلك الكتب، وقرنت شهرته بها، فابن النديم (توفي 434 للهجرة) يقول: «هو كثير التصنيف والتأليف، وكتبه مرغوب بها في الجبل»[2]، ويقول الخطيب البغدادي (توفي 463 للهجرة): إنَّه «صاحب التصانيف المشهورة، والكتب المعروفة»[3]،وهو أيضًا «صاحب التصانيف الحسان في فنون العلوم»[4]، و«له تصانيف كلّها مفيدة»[5]، فهو إذن صاحب التصانيف عرف بهذا، وصارت تلك التصانيف[6] عَلَمًا عليه، حتى إنَّنا نقرأ قول أهل المغرب بشيء من العجب، وهو: «كلُّ بيت ليس فيه من تصنيفه شيء لا خير فيه»[7]؛ إذ اختلط العِلمُ في تلك التصانيف بأشياء من التقوى، والبركة، وهو ما كان يحرص عليه الكثير؛ العِلمُ مقترنًا بالدين.

وما تزال هذه الكتب إلى يوم الناس هذا، مفزع الدارسين، وملجأ الباحثين وهم يجولون في أنحاء التراث العربي، يستنطقون نصوصه، ويفيدون من كنوزه في شتَّى أبواب الثقافة العربية الإسلامية، ولا نرى داعيًا يدعو للحديث عن هذه الكتب؛ إذ فصَّلت المصادر والمراجع[8] التي سبقتنا الحديث عنها، غير أنَّنا نقف عند كتابنا هذا الذي حقّقناه، فنكسر الحديث عنه على أربعة محاور؛ هي:

(1) ينظر ترتيب المدارك، 273/5، والولاة والقضاة، ص485.

(2) الفهرست، ص115.

(3) تاريخ بغداد، 170/10.

(4) إنباء الرواة، 143/2.

(5) مرآة الجنان، 191/2، وروضات الجنات، 105/5.

(6) ينظر الأنساب، 63/10، والوافي بالوفيات، 607/17، وتهذيب الأسماء، 281/2.

(7) تفسير سورة الإخلاص، ص86.

(8) تنظر الكتب الأربعة المتقدّمة التي أفردت للحديث عن ابن قتيبة، ويضاف إليها هنا تلك المقدّمة النفيسة التي صدّر بها السيد أحمد صقر – عليه رحمة الله –كتاب (تأويل مشكل القرآن)، فقد فصَّل فيها الحديث عن كتبه، ونشير أيضًا إلى مقدمة تحقيق كتابه (عيون الأخبار) ففيها حديث موسّع عن كتبه، ونهج النهج نفسه الأستاذ محبّ الدين الخطيب – عليه رحمة الله – في مقدمة تحقيقه كتاب (الميسر والقداح)، والدكتور ثروت عكاشة في مقدمة تحقيقه كتاب (المعارف)، ونشر الدكتور عبد الله الجبوري دراسة في جزأين بمجلة كلية الآداب/ الجامعة المستنصرية؛ هي (دراسة في كتب ابن قتيبة) استقصى فيها كتب ابن قتيبة المخطوط منها والمطبوع استقصاءً نادرًا.

عنوان الكتاب، نسبته إلى ابن قتيبة، وصف المخطوط والمطبوع، عملنا في الكتاب.

-2-

تواجه الدارسَ هنا مشكلة حقيقية هي عنوان الكتاب؛ إذ يرد بصورة مختلفة في المصادر التي ترجمت لابن قتيبة، أو ذكرت كتبه، ثم إنَّ ابن قتيبة نفسه – كعادته في الإحالة على كتبه– يشير إلى هذا الكتاب مستخدمًا عنوانين مختلفين، فنراه يقول: «وما جاء في الشعر كثير، وقد أفردتُ للشعراء كتابًا[1]، وللشعر بابًا طويلاً في كتاب العرب»[2]، ويقول أيضًا: «... غير أني رأيتُ ما ذكرتُ من ذلك في كتاب العرب كثيرًا كافيًا»[3]. ويقول: «وقد أودعتُ كتاب العرب في الشعر أشياء من هذا الفن ومن غيره، ستراها هناك مجموعة كافية»[4]. فهو يسمّيه (كتاب العرب) في النصوص السابقة، غير أنّه يعود مرّة أخرى ليذكره باسم مغاير لذلك العنوان السابق في كتابه (غريب الحديث) فيقول: «وقد ذكرتُ هذا وأشباهه في كتاب فضل العرب والتنبيه على علومها، واحتججت عنها بما فيه كفاية إن شاء الله»[5]. فهو هنا يورد اسمًا كاملاً للكتاب هو (فضل العرب والتنبيه على علومها)، وإذا أردنا الاستعانة بما ورد في المخطوط فإننا نقرأ في آخر الجزء الأول ما يأتي: «آخر الجزء الأول والحمد لله»، ونقرأ في صفحة عنوان الجزء الثاني: «الجزء الثاني في فضل العرب على العجم»، ونقرأ في آخره: «تمّ كتاب العرب وعلومها»، فهذا اضطراب واضح في العنوان؛ فهو (فضل العرب على العجم) تارة، و(العرب وعلومها) تارة أخرى[6]، وهذا ما يدعو إلى التحفظ في الاستقرار على واحد بعينه.

---

(1) يريد به كتابه (الشعر والشعراء).
(2) عيون الأخبار، 185/2.
(3) الشعر والشعراء، 64/10.
(4) المصدر السابق، 103/1.
(5) غريب الحديث، 580/2.
(6) ولعلَّ هذا هو السبب الذي دعا واضع فهرس الكتب العربية بدار الكتب إلى إثبات العنوانين السابقين، وهو يصنع ذلك الفهرس، ينظر، 272/3.

ولم نكن أسعد حظًا ونحن نستقرئ المصادر التي قدّمت ثبتًا بأسماء كتب ابن قتيبة، فبعضها أغفل الكتاب تمامًا[1]، أمّا مَنْ ذكره منها فنراه يضطرب أيضاً في تعيين عنوان محدد له؛ غير أنّها تكاد تُجمع على أنَّ له كتابًا دافع فيه عن العرب، وبيَّن علومها، وتصدّى للشعوبية، فابن النديم[2] يسمّيه (التسوية بين العرب والعجم)، ويتابعه في هذه التسمية القفطي[3] (توفي سنة 646 للهجرة)، والذهبي[4] (توفي سنة 748 للهجرة)، والصفدي[5] (توفي سنة 764 للهجرة)، وحاجي خليفة[6] (توفي سنة 1067 للهجرة).

وهو عند طائفة أخرى كتاب (العرب والعجم)، نجد هذا عند القاضي عياض[7] (توفي سنة 544 للهجرة)، وابن فرحون[8] (توفي سنة 799 للهجرة)، وابن حجر[9] (توفي سنة 852 للهجرة).

ويصيبُ العنوانَ شيء من الاختلاف أيضًا في تلك الكتب التي نقلت عن الكتاب، وأشارت إلى عنوانه؛ فهو في العقد الفريد[10] (كتاب تفضيل العرب)، وفي الآثار الباقية[11] (كتاب تفضيل العرب على العجم)، وفي بلوغ الأرب[12] (كتاب تفضيل العرب)، فنراهم غيرَ متفّقين على عنوان واحد للكتاب، كما رأينا سابقًا عند أولئك الذين ترجموا لابن قتيبة.

---

(1) مثل الخطيب في تاريخ بغداد، والسمعاني في الأنساب، واليافعي في مرآة الجنان، والكندي في الولاة والقضاة، والخوانساري في روضات الجنات.
(2) الفهرست، ص116.
(3) إنباه الرواة، 143/2.
(4) سير أعلام النبلاء، 298/3.
(5) الوافي بالوفيات، 608/17.
(6) كشف الظنون، 441/5.
(7) ترتيب المدارك، 273/5.
(8) الديباج المذهب، 161/1.
(9) رفع الإصر، 73/1.
(10) العقد الفريد، 408/3.
(11) الآثار الباقية، ص238.
(12) بلوغ الأرب، 169/1، ولعلَّه استقى العنوان من العقد الفريد.

ولعلَّ هذا الاختلاف في عنوان الكتاب نابع من أنَّ بعض مَنْ ذكر الكتاب لم يطَّلع عليه مباشرة؛ بل اكتفى بالنقل عمَّن تقدَّمه فأثبت العنوان كما رآه في الكتاب الذي ينقل عنه، وسبب آخر هو ابن قتيبة نفسه حين أورد اسم كتابه بعنوانين مختلفين، فظنّ آخرون أنَّ واحدًا منهما هو العنوان المختار، وكيف لا؟ وقد قال به المؤلف نفسه. وسبب ثالث يكمن في أنَّ بعض مَنْ ذكر الكتاب أو نقل عنه أثبت عنوانًا قريبًا منه؛ اعتمادًا على شهرة الكتاب من جهة، ومنزلة ابن قتيبة العالية من جهة أخرى، ولم يكن هذا الكتاب نسيج وحده بين الكتب، فكثير منها أشير إليها بكلمة، وعنوانها الكامل كلمات؛ مثال ذلك: الموشَّح، وخزانة الأدب، وأمالي المرتضى، وتفسير القرطبي، والنجوم الزاهرة، ووفيات الأعيان، وشذرات الذهب، والصاحبي، وترتيب المدارك، وكشف الظنون، فهذه عشرة كتب عرفت بهذه العنوانات، وهي في الحقيقة تمثّل جزءًا منها، فالموشح هو (الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء في عدّة أنواع من صناعة الشعر)، ولم يُعرف إلاّ بالموشح، ومثله ترتيب المدارك فهو (ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك)، ولم يُعرف إلاَّ كسابقه بترتيب المدارك، ولن نسترسل في هذا الأمر فهو ذائع في المصادر يعرفه المتتبع، ويدرك كنهه، وليس بعيدًا أن يكون هذا الكتاب كسابقه من تلك الكتب اكتفى الناقل منه بالكلمة، وقنع بالإشارة وهو في فسحة منه بالانتشار والذيوع. ولعلَّ تلك الأسباب السابقة جميعها تظافرت لتعمّق هذا الاختلاف الذي رأيناه في عنوان الكتاب.

وإذا أردنا الوصول إلى نتيجة حاسمة في هذه المشكلة، فإنَّنا نرجّح أنَّ عنوانه هو (فضل العرب والتنبيه على علومها) لأربعة أسباب؛ هي:

1 – إنَّ ابن قتيبة نفسه ارتضاه عنوانًا له، وذكره بصريح القول في كتابه (غريب الحديث) كما تقدّم؛ فهذا دليل بيّن على أنَّه يقدّم اسم الكتاب كاملاً – وقليلاً ما يفعل – ويشير إليه بلا أدنى شك.

2 – إنَّ المدقّق في العنوان السابق يلحظ أنَّه مكتف بنفسه، لا يحتاج إلى مزيد مثل بقية

العنوانات التي تقدّم ذكرها، وهذا يتلاءم مع ما نعرفه عن عنوانات كتبه الأخرى التي يميلُ فيها إلى الاختصار، ودلالته على مضمون الكتاب.

3 – إنَّ إطلاق ابن قتيبة على الكتاب عنوانًا آخر هو (العرب) لا ينفي العنوان الذي رجَّحناه، بل يؤكده، فهذا ممّا يتفق مع دأب ابن قتيبة وعادته حين يشير إلى واحد من كتبه في كتاب آخر، ويحيل عليه، وغالبًا ما يكتفي بكلمة واحدة أو كلمتين من العنوان الكامل اعتمادًا على شهرته ومعرفة الناس به، ولعلّ في النماذج الآتية مزيد توضيح لهذا السبب، فنراه يقول في كتابه (غريب القرآن): «... على ما بيّنا في كتاب المشكل»[1]، أو يقول: «والبلاء يتصرَّف على وجوه قد بيّنتها في كتاب المشكل»[2]، أو يقول: «والحبل يتصرَّف على وجوه قد ذكرتها في تأويل المشكل»[3]، أو يقول: «وهذا مبيّن في كتابي المؤلّف في مشكل القرآن»[4]، وهو يريد بهذا كلّه كتاب (تأويل مشكل القرآن)، ويقول أيضًا: «وقد بيّنت هذا في كتاب إصلاح الغلط بأكثر من هذا البيان»[5]، ويقول: «وقد بيّنت هذا في كتاب تبيين الغلط وشرحته هناك»[6]، ويريد هنا كتابه (تبيين الغلط في غريب الحديث لأبي عبيد)، ويقول أيضًا: «وما جاء في الشعر كثير، وقد أفردتُ للشعراء كتابًا»[7]، ويقول: «... وأمّا طرفة فمضى بصحيفته حتى أوصلها إلى العامل فقتله، وقد ذكرت قصّتهما في كتاب الشعراء بطولها»[8]، ويقول: «ولهذا حديث ستقف عليه في كتابي هذا المؤلف في أخبار الشعراء»[9]، وهو يعني بتلك الإشارات كتابه المشهور [الشعر والشعراء].

---

(1) غريب القرآن، ص44.

(2) غريب القرآن، ص48.

(3) المصدر السابق، ص108.

(4) تأويل مختلف الحديث، ص69.

(5) غريب الحديث، 452/1.

(6) المصدر السابق، 350/1.

(7) عيون الأخبار، 185/1.

(8) المعارف، ص649.

(9) فضل العرب، 165/2.

فبناء على ما تقدّم كان ابن قتيبة يكتفي باللمحة واللفظة ابتعادًا عن التطويل، ولذلك نرى أنَّه اجتزأ من كتاب (فضل العرب والتنبيه على علومها) كلمة واحدة هي (العرب)، ولعلّه رآها أظهر ما فيه مكتفيًا بها، معتمدًا على سيرورته وانتشاره بين الناس، كما صنع مع بقية كتبه تلك التي أشار إليها، وقدَّمنا نماذج منها فيما تقدّم.

4 – إنَّ مضمون الكتاب كاملاً يتفق اتفاقًا يكاد يكون متطابقًا مع هذا العنوان: (فضل العرب والتنبيه على علومها)، فقد بيّن في الجزء الأول فضل العرب، ومكانتهم على مرّ العصور، في حين تكفَّل الجزء الثاني بعلوم العرب، وهي قسمة عادلة، ولم يخْلُ الجزءان من قضايا جانبية قوّت الأصل الذي بُني عليه الجزءان، وبيّنته بجلاء، ولعلَّ هذا يتلاءم مع حرص ابن قتيبة، وتدقيقه في مطابقة العنوان لمضمون الكتاب، وهذا من مظاهر المنهجية النادرة التي تميّز بها، ولن نُسرف هنا فنتحدّث عن كتبه كلّها انطلاقًا من هذه النقطة، فهو ممّا لا يساعده المقام، غير أننا نكتفي بكتاب واحد من كتبه هو (الشعر والشعراء)، فقد كسر مقدَّمة الكتاب الطويلة، وهو مولع بتلك المقدّمات يطيل فيها، ويوجّه لها كبير عنايته، وغاية همّه، ويضمّنها مباحث على قدر كبير من الأهمية، ولا ننسى هنا مقدّمة (أدب الكاتب) النفيسة، وما دار حولها من كلام، أقول كسر ابن قتيبة مقدّمة (الشعر والشعراء) على الشعر وبعض قضاياه المهمّة، وتوقّف عند قضايا نقدية خطيرة أصبحت فيما بعد معالم واضحة في الدرس النقدي العربي، ثمّ انتقل بعد هذا إلى الشعراء فقدّم تراجم ممتعة مفيدة لشعراء من طبقات مختلفة، وعصور متباينة، وتطول هذه التراجم أو تقصر حسب مكانة الشاعر، والمادة الإخبارية المتوفرة عنه، ولم نعدم رأي ابن قتيبة يُطلُّ علينا هنا أو هناك بين تلك المادة، كاشفًا عن شخصيته، مبينًا رأيه، وموقفه، فهو هنا يطابق بجلاء بين العنوان والمضمون.

وقل مثل هذا عن بقية كتبه، فلن تجدَ غير رجل واحد، وأسلوب واحد، وماء واحد، ومنهج مستوٍ صارم يعمُّ الجميع، وكأنَّ (فضل العرب والتنبيه على علومها) أشبه باللؤلؤة التي انتظمت في العقد مع أخواتها، تبتعد عنها في الموضوع إلى حين، وتقترب منها اقترابًا يصل حدّ التلاحم في المنهج، والمعالجة في نهاية المطاف، ولم يكن ابن قتيبة ليحيد عن

ذلك السبيل الذي اختطَّه لنفسه منذ بدء حياته العلمية، ومعاناته التأليف، و(فضل العرب) حجر قوي في هيكل المنهج الذي بناه ابن قتيبة لنفسه، وظلَّ يتعهده بالرعاية والتجويد إلى آخر حياته.

وللأسباب الأربعة المتقدمة استقر الرأي على أنَّ عنوان الكتاب هو (فضل العرب والتنبيه على علومها)، وهو ما أراده له صاحبه، وأعانت على إثباته الأدلّة والقرائن.

-3-

(فضل العرب والتنبيه على علومها) واحدٌ من كتب ابن قتيبة الثابتة النسبة إليه[1]، ونحن في قطعنا لهذه القضية إنّما نعتمد على مجموعتين من الأدلة؛ نستطيع تقسيمها إلى: أدلّة خارجية، وأدلّة داخلية.

أما الأدلّة الخارجية فنريد بها تلك الإشارات الكثيرة التي أوردتها مصادر الأدب، وكتب التراجم، وهي تؤكد نسبة الكتاب إليه، وقد عرضنا لها بتفصيل فيما تقدّم، وهي وإن اختلفت في العنوان إلاّ أنها اتفقّت في نسبة كتاب معين له، عالج فيه قضية من أهمّ القضايا الفكرية في عصره، وهي الصراع بين العرب والشعوبية[2]، والعنوانات السابقة

(1) يذهب الدكتور إسحاق الحسيني – رَحِمَهُ اللهُ – إلى أنَّ أحد شيوخ ابن قتيبة الكبار؛ وهو إسحاق بن إبراهيم المعروف بابن راهويه: «هو الذي حمله على كتابة كتاب العرب ردًا على الشعوبية، وعلى جَعْل العرب في مرتبة تفوق مراتب جميع الشعوب». كتابه عن ابن قتيبة، ص28، ولا يشير الدكتور الحسيني إلى مصدر معيّن يدعم هذا القول، ويتابع الدكتور عبد الله الجبوري الدكتور الحسيني فيما ذهب إليه فيقول: «وكان من آثار هذا الجهاد الفكري تأليفه رسالته (فضل العرب والتنبيه على علومها)، والتي وضعها بإشارة من ابن راهويه الحنظلي الغطفاني». كتابه عن ابن قتيبة، ص74، ويحيل الدكتور الجبوري في هذا النص على الدكتور الحسيني الذي أثبتنا نصّه فيما تقدّم. ولا أستطيع القطع في هذه القضية لخلو المصادر المعتمدة من الإشارة إليها، غير أنَّ أثر ابن راهويه في ابن قتيبة لا ينكر؛ فهو الذي غرس فيه أخلاق أهل الحديث؛ وزقَّه علومهم، إذ كان رأسًا من رؤوس أهل الحديث، ومن كبار علمائه.

(2) ينظر الفصل القيّم الذي عقده الدكتور عبد الحميد سند الجندي عن (أدب ابن قتيبة الإنشائي) في كتابه عن ابن قتيبة، ص276، وما بعدها، وأفرد ذلك الفصل للحديث عن كتابنا هذا وحده على اعتبار أنَّ هذا الكتاب «أقرب مؤلفاته إلى الأدب الإنشائي، وإن شئت الدقَّة فقل إنَّه أدب جدلي، وفيه تحسّ بشيء من العاطفة المشبوبة بالحبّ للعرب، والحنق على الشعوبية، وتحسّ فيه كذلك نزوعًا إلى التأنّق في اللفظ والعناية بالأسلوب» على حدّ قوله، ولعلَّ هذا الكلام يدعونا إلى التوقف عند قولة الأستاذ محمد كرد علي في مقدمة تحقيقه كتاب الأشربة، ص4، وهي إنَّ هذا الكتاب «كأكثر كتب ابن قتيبة منقول عن غيره، ليس له فيه غير سطور معدودة»، ونرى أنَّ هذا الكلام لا يستقيم خصوصًا بالنسبة إلى هذا الكتاب الذي ظهرت فيه شخصية ابن قتيبة ساطعة قوية، ومع أنَّه حشد نصوصًا في

على اختلافها توحي بمضمون الكتاب الذي استقرّ الرأيُ على عنوان له هو (فضل العرب والتنبيه على علومها)، وقد أشرنا فيما تقدّم إلى أنَّ بعض المصادر نقلت عن هذا الكتاب، وصرَّحت باسمه، ونذكر هنا أنَّ طائفة أخرى من المصادر نقلت عنه بلا ذكر لعنوانه، بل اكتفت بقولها: «قال ابن قتيبة»، منها: كتاب الزينة، والممتع، ومعجم البلدان، وغيرها، وقد أثبتنا نقول الطائفتين في مواضعها من الكتاب، مع الإشارة إلى أرقام الصفحات والأجزاء كي تتضّح الصورة، ويتبيّن لنا دوران الكتاب ونصوصه في المصادر المتأخرة عنه.

أمّا الأدلّة الداخلية التي تؤكد نسبة الكتاب إلى ابن قتيبة، فهي الروح العامة التي تجلّل الكتاب كلّه، ولعلَّ أسطع مظاهر هذه الروح ذلك الجدل الهادئ الذي يتميّز به ابن قتيبة، القائم على تقديم الحجج ومحاولة إقناع الخصم، ومن مظاهرها أيضًا الانسجام المتناغم بين هذا الكتاب، وما نعرفه عن مذاهبه الفكرية والعقائدية، فهو يدفع عن العرب غائلة الطعن والتنقّص من جهة، ويُظهر مفاخرهم وعلومهم من جهة أخرى، ومن مظاهر تلك الروح أيضًا مجموع الأدوات التي استخدمها في إثبات أو نقض المظهر السابق، ونعني بها تلك العلوم التي أولع بها، وقضى حياته بين جنباتها، ونخصّ منها بالذكر علوم القرآن الكريم، والحديث الشريف، واللغة، والشعر، والتاريخ؛ فقد كانت هذه العلوم معتمده في هذا الكتاب كما كانت الملاذ الذي تفيّأ ظلاله في كتبه الأخرى، وقطف من أطايبه ليقدِّم فكرًا عربيًا إسلاميًا يقف في مواجهة التيارات الوافدة، ويمنح ذلك الفكر طبقات من الثقة بنفسه ليثبت وجوده، ويقدِّم نفسه بديلاً صالحًا لـ (علوم الأوائل) التي تبنّاها بعض الدارسين والأدباء، وروّجوا لها.

ألم تكن هذه النقطة الأخيرة شغل ابن قتيبة الشاغل، والخيط الرفيع الذي انتظم كتبه كلَّها؟ ألم تكن هي الروح التي نشرت ظلَّها على كتبه كلِّها؟ ولم يكن هذا الكتاب بدعًا بين

الكتاب إلاّ أنَّ الأساس هو الرأي والموقف، وتأتي تلك النصوص إثباتًا لهما، أو نقضًا لنقيضهما، شأنه شأن الباحثين المعاصرين، ولو لم يكن له فيه غير سطور قليلة لما استطاع الدكتور الجندي أن يستخلص خصائص أدبه الإنشائي منه، وهي في رأينا واضحة جليّة.

كتبه، فقد احتوته تلك الروح، ونفخت فيه من نفسها، فجاء قائمًا على ساقه يومئ إلى ابن قتيبة، ويشير إليه: فكرًا، وموقفًا، ونتيجة.

يضاف إلى ما سبق: ظهور أسلوب ابن قتيبة جليّاً في الكتاب؛ من حيث اعتناؤه بالمقدمة، والتدرّج المنطقي في الأفكار، من أجل الوصول إلى النتائج، وهي سمات شائعة في الكثير من كتبه، لحظها دارسو ابن قتيبة، ورصدوها في كتبه، ولابدّ لنا من أن نذكر معلَمًا بارزًا من معالم أسلوب ابن قتيبة ظهر في هذا الكتاب، وفي كتبه الأخرى، وهو اعتماده أسلوب الإحالة على كتبه الأخرى، فهو هنا يحيل على (الشعر والشعراء)، و(أدب الكاتب)، و(المعاني الكبير)، وهي من كتبه المشهورة، فكأنَّ ما بحثه بتفصيل في كتاب آخر لا يرى ضرورة للعودة إليه مرة أخرى، فهو يحيل على ذلك الكتاب لمن طلب الزيادة والتوسّع، وهي لفتة منهجية ذكية قوامها التنظيم، ونتيجتها البعد عن الفضول والتكرار.

ولعلَّ ما تقدَّم من أدلّة بيّن بجلاء صحة نسبة الكتاب إلى ابن قتيبة، وثبات نسبته إليه.

-4-

كان الاعتمادُ في تحقيق هذا الكتاب على نوعين من الأصول: مطبوع، ومخطوط، ولم يكن ليتحقّق إتمامُ العمل بغيرهما كما سنرى.

أمّا المطبوع فهو القطعة من الكتاب التي نُشرت للمرة الأولى في مجلة المقتبس في عدديها الحادي عشر [ص657–688]، والثاني عشر [ص722–735] من المجلد الرابع سنة 1327 للهجرة، 1909 للميلاد، وأعاد نشرها الأستاذ محمد كرد علي – رَحِمَهُ اللهُ – في كتابه (رسائل البلغاء)، [ص344–477]، وبين يدي الطبعة الثالثة منه سنة 1365 للهجرة، 1946 للميلاد، وفي كلتا النشرتين ورد العنوان كالآتي: (كتاب العرب أو الرد على الشعوبية لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة من أهل القرن الخامس)، فنرى العنوان يجعل ابن قتيبة من أهل القرن الخامس، وهو خطأ واضح، ومن الغريب أنَّ الأستاذ كرد علي لم يعلّق على هذا الخطأ بشيء، أو يحاول تصحيحه.

وورد فيهما أيضًا الهامش الآتي باختلاف يسير، واللفظ للمقتبس[1]: «وجده الشيخ جمال الدين القاسمي من علماء دمشق في مكتبة المرحوم شاكر أفندي الحمزاوي الدمشقي، في مجموعة كتب كانت موقوفة ونجز وقفها، معنونًا عليه بكتاب ذمّ الحسد تأليف العلامة أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة - رَحِمَهُ اللَّهُ - تعالى، بخط مسند الشام في عصره الشيخ إبراهيم الجنيني الحنفي جامع الفتاوي الخيرية من رجال القرن الثاني عشر، وقد نسخها - رَحِمَهُ اللَّهُ - على أصل مخروم الآخر، حتى كتب في آخر نسخته ما مثاله: هذا آخر ما وجدته إلخ.

وأضاف الأستاذ كرد علي ما يأتي: «واسم هذا الكتاب في بعض المصادر: (فضل العرب على العجم)، وحقيقة اسمه كما في كتاب غريب الحديث لابن قتيبة: (فضل العرب والتنبيه على علومها)[2]، وبدار الكتب المصرية نسخة منه غير كاملة برقم 1864 (أدب)».

إنَّ ما تقدَّم يفيد أنَّ المخطوط الذي وجده المرحوم الشيخ جمال الدين القاسمي[3] يعدّ قسمًا من الكتاب، يمثّل هذا القسم على الحقيقة ثلثي الجزء الأول منه على التقريب؛ إذ يعتور النقص آخر المخطوطة، وعلى هذا نُشر ذلك الجزء كما وُجد. ومن الضروري أن نذكر هنا أنَّ نشرتيْ: المقتبس ورسائل البلغاء خلتا تمامًا من أيّ تعليق، أو شرح، أو مظهر من مظاهر التحقيق المعروفة؛ مثل توثيق النصوص، أو تخريج الشعر،

---

(1) ومن المفيد أن نشير هنا إلى أنَّ الدكتور عبد الله الجبوري أعاد نشر هذه القطعة مرة أخرى في كتابه (ابن قتيبة والشعوبية)، وقال حول هذا الموضوع: «فإليك نصَّ كتاب فضل العرب والتنبيه على علومها بصورته المطبوعة، عسى أن أظفر بنسخه المخطوطة الأخرى من بعض دور الكتب لنشره كاملاً، ونقلاً عن طبعة الأستاذ المرحوم محمد كرد علي التي نشرها في رسائل البلغاء. الطبعة الرابعة، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1374، 1954م، ص244-277، وجعل عنوانها: كتاب العرب أو الردّ على الشعوبية... وتأسيسًا على الأمانة العلمية، لم أغيّر منها شيئًا، لا في الحواشي ولا في المتن، وأذكِّر - هنا - أنّها ناقصة، بل هي جزء من الأصل المخطوط». ينظر كتابه، ص271، وما بعدها.

(2) ومن الضروري أن نشير هنا إلى أنَّ الدكتور عبد الله الجبوري، مال إلى هذا العنوان في كتابه عن ابن قتيبة اعتمادًا على نصّ (غريب الحديث). ينظر، ص134.

(3) جاء في مقدّمة تحقيق عيون الأخبار، 32/4، ما يأتي: «فضل العرب على العجم أو كتاب العرب وعلومها... نشر بعضه الأستاذ جمال الدين القاسمي أحد علماء دمشق في المجلد الرابع من المقتبس»، وفقه النصّ يؤدي إلى أنَّ الناشر في المقتبس هو القاسمي، ولم أجد في المجلة ما يشير إلى هذا الأمر.

وغيرها، خلا إشارات عابرة سريعة وخصوصًا في نشرة (رسائل البلغاء)، وهي قليلة جدًا عمادها شرح بعض الكلمات الغريبة، وقد كان القصد نشر النص، وتقديمه إلى القرّاء، ولا ريب أنّ الأستاذ كرد علي – رَحِمَهُ اللَّهُ – قدّم خدمة جليلة للكتاب، ولمن يريد تحقيقه فيما بعد بنشره تلك القطعة؛ إذ لولا هذا النشر لما استطعنا إخراج الكتاب كاملاً كما سنرى بعد قليل.

أمّا الأصل الثاني – وهو المخطوط – فهو نسخة محفوظة بدار الكتب المصرية برقم (1864) أدب، دخل فهارس الكتب العربية فيها منذ سنة 1927 للميلاد، وربّما قبلها، فهذا هو تاريخ الطبع، وكانت الفهرسة آخر شهر مايو سنة 1926 للميلاد، وحمل هذا المخطوط عنوانين هما: (فضل العرب على العجم أو كتاب العرب وعلومها)، وقدَّم الفهرس وصفًا له هو: «جزآن منه، ضمن مجموعة مخطوطة بخط قديم، بخط أبي الفتوح هبة الله بن يوسف بن خمرتاش، فرغ من كتابتها في شهر ربيع الأول سنة 583هـ، وبها تقطيع كثير، وأكل أرضة، وهذا الكتاب ناقص من الأول، وأوّل الموجود منه في أثناء الكلام على تناول الطعام، وآدابه... وينتهي إلى آخر الكتاب، وبالجزء الثاني منه خرم قبيل الآخر، رقمها 1864»[1]، وذكر هذا المخطوط عدد من الباحثين وهم يتحدّثون عن ابن قتيبة وكتبه، نذكر منهم: كارل بركلمان[2]، والدكتور إسحاق الحسيني[3]، ومحب الدين الخطيب[4]، ومصحّح عيون الأخبار[5]، والدكتور ثروت عكاشة[6]، والدكتور عبدالله الجبوري[7]، وتمكنتُ من الحصول على نسخة مصوّرة عن هذا المخطوط كانت المعتمد في إكمال الكتاب، وتقديمه بصورته الحاضرة، ويظهر من الوصف المتقدّم للمخطوط مقدار الضرر الذي حلّ به، وبعد القراءة المتكرّرة فيه تبيّن بوجه لا يقبل الشكّ سبب إعراض المحققين

(1) فهرست الكتب العربية، 272/3.
(2) تاريخ الأدب العربي، 227/2.
(3) ابن قتيبة، ص75.
(4) الميسر والقداح، ص23.
(5) عيون الأخبار، 32/4.
(6) المعارف، ص52.
(7) ابن قتيبة، ص135، ودراسة في كتب ابن قتيبة، ص127.

عنه هذا الزمن الطويل، فالقراءة فيه عسيرة جدًا تكاد تكون مستغلقة، والنقص في أوّله يهدّد العمل برمّته، ثم إنَّ التقطيع أو الطمس الذي أصاب الكثير من أوراقه يجعل تقديم نص متكامل مفهوم أقرب إلى المحال، وفيما يأتي وصف دقيق له.

يبدأ المخطوط من الورقة الخامسة عشرة، أي أنَّ الخرم المشار إليه استغرق أربع عشرة ورقة، وهناك طمس وتقطيع – لعلَّه من بقايا الرطوبة – أثَّر على الأسطر الثلاثة الأولى من وسط كلّ ورقة، وينزل مرات إلى السطر الرابع، ويخفّ هذا الطمس تدريجيًا لينتهي في الورقة التاسعة والثلاثين، أي أنّه احتلّ أربعًا وعشرين ورقة من مجموع تسع وستين ورقة هو المخطوط كلّه. والورقة ذات مقاس 13 × 20 سم، تحوي الواحدة منها ستة عشر سطرًا تقريبًا، وفي السطر الواحد سبع كلمات تزيد أو تنقص بمقدار كلمة. أمّا الخط فمعتاد، غير أنَّ الناسخ يعمد فيه إلى الاستعاضة عن الهمزة بالياء في وسط الكلمة، أو إهمال كتابتها إذا كانت في آخر الكلمة. وإثبات الألف في آخر الفعل المضارع مثل الفعل (يخلو) يكتبه هذا (يخلوا)، وترك إعجام الحروف في أماكن كثيرة، وهذا ما يضيف صعوبة جديدة أمام القراءة السليمة، ونلحظ سوادًا يغطي بعض الأوراق – وخاصة الأولى – يبدو أنّه من تأثر المداد الذي كُتب به المخطوط بالرطوبة، وسوء الحفظ، وينتهي الجزء الأول بالورقة الثلاثين، ليبدأ الجزء الثاني بالورقة الثانية والثلاثين؛ لأنَّ العنوان احتلّ ورقة وحده، وينتهي الجزء الثاني بالورقة التاسعة والستين لينتهي بها الكتاب، وجاءت الخاتمة على النحو الآتي: «تمَّ كتاب العرب وعلومها والحمد لله رب العالمين...»، وفي الهامش الأيمن ما نصُّه: «قوبلت وصححّت معارضة بالأصل»، ويعلّق الدكتور إسحاق الحسيني على هذا النصّ الأخير بقوله: «وهذا يدلّ على أنَّ الناسخ أفاد من نسخة المؤلف التي أُلِّفت في وقت لا يبعد كثيرًا عن تاريخ كتابة النسخة الموجودة»[1]، ونستطيع القول إنَّ هذه النسخة نُقلت عن أمّ قديمة يبدو أنها فُقدت بمرور الزمن، وهذا ممّا يرفع من شأنها، ويعلي قيمتها، لولا ذلك الضرر الجسيم الذي أصابها. ولعلّ الوصف السابق قدّم صورة تقريبية للمخطوط والحال التي هو عليها، يضاف إلى ذلك كلّه تلك المحاذير التي يعرفُها

(1) ابن قتيبة، ص68–69.

المحقّقون من قيام التحقيق على نسخة فريدة، غير أنَّ العمل أخذ نهجه المعتاد بشيء من الصبر، والمثابرة.

ولابدَّ لنا في هذا المقام من أن نقف عند أمرين نراهما مهمّين جدًا ونحن بصدد الحديث عن هذا المخطوط: أولهما أنَّ الدكتور الحسيني يذكر في كتابه عن ابن قتيبة أنَّ «في دار الكتب (أدب 1864) مخطوطة مكتوبة في سنة 283هـ تحتوي المجلَّد الثاني وصفحات قليلة من الأول مع كثير من العيوب»[1]، ولم يُشر الدكتور الحسيني إلى مصدره، غير أنَّنا نلاحظ أنَّ الوصفَ الذي يقدّمه لهذه المخطوطة هو عينه الوصف الذي ينطبق على مخطوطتنا، ورقمها واحد هو (1864 أدب)، ولو كانت هناك نسخة أخرى في الدار لحملت رقمًا آخر غير هذا الرقم، يضاف إلى هذا أنَّ فهرس الكتب العربية بدار الكتب لا يشير إلى مخطوطة لهذا الكتاب غير هذه التي بين أيدينا، مع أنَّ خطة العمل في ذلك الفهرس واضحة؛ فهو يورد نسخ الكتاب، – إن كان له نسخ – مهما كثرت، وتحمل كلُّ نسخة رقمًا مختلفًا عن الأخرى، ولو امتلكت الدار نسخة أخرى من هذا الكتاب لأدرجتها في فهارسها انسجامًا مع العمل كلّه.

وأمر آخر يؤكّد تطابق النسختين؛ هو أنَّ النقول التي يسوقها الدكتور الحسيني في كتابه عن المخطوط تتطابق مع ما هو في مخطوطنا بما لا يدع مجالاً للشكّ أنّه يريد بها هذه المخطوطة. وأعتقد أنّ لبسًا وقع في تاريخ النسخة؛ فهو عنده (283هـ)، وهو هنا (583هـ)، فلعلَّ الرقم الأخير تغيّر عنده بسبب السهو أو النسيان؛ وهو كثيرًا ما يقع، وسبحان الله تعالى الذي تنّزه عنهما.

وتتمّةً لهذا الأمر نرى الدكتور عبد الله الجبوري يقول: إنَّ دار الكتب المصرية «تحتفظ... بنسختين مخطوطتين منه؛ الأولى: وتقع في جزأين، ضمن مجموعة مخطوطة كتبها: أبو الفتوح هبة الله بن يوسف بن خمرتاش في سنة تسع وثمانين وخمسمئة للهجرة، ناقصة الأول، وأول الموجود منها قوله في تناول الطعام وآدابه، ثمَّ ينتهي الجزء الأول،

(1) ابن قتيبة، ص75.

ويبدأ الجزء الثاني وفيه كلام على فضل العرب في العلوم والحكم والشعر... والنسخة الثانية تضمّها مجموعة مخطوطة برقم (1864 – أدب) في جزأين، الثاني منها كامل، ومن الأول أوراق قليلة... كتبت في سنة ثلاث وثمانين ومئتين»[1]. ومن الملاحظ أنَّ النصّ السابق يخلو من مصدر يوثّق ما فيه، وتأتي (النسخة الأولى) غفلاً بلا رقم في دار الكتب المصرية، ولم أجد أحدًا من الباحثين[2] أشار إلى هاتين النسختين، يضاف إل هذا أنَّ الدكتور الجبوري نفسه يكتفي في بحثه (دراسة في كتب ابن قتيبة) بالإشارة إلى نسخة واحدة من الكتاب؛ هي التي بين أيدينا، ولو أرشدنا إلى المورد الذي استقى منه خبر النسخة الثانية لقدّم لهذا العمل فائدة جليلة.

أمّا الأمر الثاني فهو متعلّق بالدكتور إسحاق الحسيني أيضًا، فبعد أن يسوق خبر نسخة دار الكتب يضيف قائلاً: «... أمّا مخطوطتي فتحوي المادة في كلّ من المجلّدين مع نصوص أخرى زائدة، أُخذت من مراجع متعددة لتملأ الفجوات»[3]. إنَّ كلام الدكتور الحسيني السابق يؤكد امتلاكه نسخة تامة من الكتاب،وهذا ما دعا الدكتور الجبوري إلى القول: «وفي خزانة الدكتور إسحاق موسى الحسيني نسخة كاملة من هذا الكتاب النفيس»[4]، غير أنَّ نصّ الدكتور الحسيني يوحي بالتقطيع الذي أصاب مخطوطته أيضاً، وإلا فما معنى تلك النصوص الزائدة التي ملأت الفجوات، ومن الضروري أن نشير هنا مرّة أخرى إلى أنَّ النصوص التي اعتمد عليها الدكتور الحسيني في كتابه عن ابن قتيبة،كانت متطابقة مع نصوص مخطوطة دار الكتب وهذا يوحي بتشابه النسختين، واتفاقهما في جوانب كثيرة.

وعلى أيّ حال فقد بدأ البحث عن هذه النسخة في فهارس المخطوطات، ومكتبة الجامعة الأردنية، ومكتبة مجمع اللغة العربية الأردني بلا نتيجة تذكر، حتى نُصِحْتُ

(1) ابن قتيبة، ص135.
(2) وهم الذين ذكرنا أسماءهم فيما سبق، ووثّقنا نصوصهم من الكتب التي حققّوها، أو كتبوها عن ابن قتيبة.
(3) ابن قتيبة، ص75.
(4) ابن قتيبة والشعوبية، ص136.

بسؤال الدكتور كامل العسلي – عليه رحمة الله – عنها، فكتبتُ إليه أستشيره، وهو ذو خبرة واسعة بمخطوطات فلسطين عامة، والقدس الشريف خاصة، فأجابني متفضَّلاً برسالة كريمة بتاريخ 1992/8/6م يفيدني فيها أنَّه لم يَرَ هذا المخطوط ضمن مخطوطات الدكتور الحسيني التي كان قد اطّلع عليها، وأحالني على (مركز الدراسات الإسلامية التابع لمؤسسة دار الطفل العربي) في القدس الشريف؛ لأنَّ الدكتور الحسيني أهدى مخطوطاته له، فكتبتُ إلى هذا المركز غير مرّة أسأله فلم أتلقَّ جوابًا، فاضطررت للاستعانة بمن يسافر إلى القدس، فذهب إليهم، وأفاده مدير المركز بعدم وجود هذا المخطوط لديهم.

وأردت أن أقطع الشكّ باليقين، إذ نمى إلى علمي أنَّ الدكتور الحسيني كان قد أعدّ فهرساً للمخطوطات[1] التي يملكها تحت إشرافه، ساعده فيه اثنان من الباحثين هما: جمال وعزيز جار الله، وبعد بحث طويل عن هذا الفهرس ظفرتُ بنسخة منه في مكتبة المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية بعمّان/ المملكة الأردنية الهاشمية، وهذه النسخة، مكتوبة بخط اليد، وفي بعض صفحاتها إشارة إلى أنَّه خطّ الدكتور الحسيني، وبعد نَخْلِ هذه الفهرس نَخْلاً دقيقًا لم أجد فيه ذكرًا لهذا المخطوط، أو لابن قتيبة، فيئستُ من العثور على هذه النسخة؛ إذ لو كانت موجودة لورد ذكرها في هذا الفهرس، وخصوصًا أنَّ الدكتور الحسيني كان حيًّا، وجرى العملُ تحت إشرافه، وبدأت أعتقد اعتقادًا يصل إلى درجة اليقين أنَّ هذه النسخة هي صورة أخرى من نسخة دار الكتب بسبب تلك الفجوات، ومطابقة نصوصها نصوص مخطوطة الدار.

ونُصحتُ أيضًا أن أتأكّد من وجود هذه النسخة في مكتبة الجامعة الأمريكية في بيروت؛ لأنَّ الدكتور الحسيني كان قد درَّس فيها، فلعلّه أهدى شيئًا من كتبه – وبينها هذا المخطوط – إلى مكتبتها العامرة، فكتبتُ إلى الدكتور رمزي بعلبكي الأستاذ بالجامعة أطلبُ عونه، فأجابني متفضِّلاً بأنّه بعد البحث والتقصي لم يجد له أثرًا، وعند

---

(1) ينظر دليل فهارس المخطوطات في المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، الأردن، وفلسطين، ص4، وفيه ذكر لهذا الفهرس الذي أُعدّ في سنة 1975م.

ذاك أيقنتُ أنَّ نسخة الدكتور الحسيني في ضمير الغيب الذي لا يعلمه إلاّ الله سبحانه وتعالى.

تبيّن من الوصف السابق للأصلين أنَّ المطبوع ناقص من الآخر، والمخطوط ناقص من الأول، أي أنّ الواحد منهما يكمل الآخر، ولعلّ هذا من حسن الحظ والتوفيق الذي مسّ هذا الكتاب بعد الضرر الذي حلّ به، ولذلك عمدتُ إلى التوفيق بينهما، فبدأت بالمطبوع وحده، ثمّ أشرتُ إلى بدء اتفاقه مع المخطوط، وبعده إلى انتهاء المطبوع، لنستأنف مع المخطوط وحده، وهكذا إلى نهاية الكتاب، ولم يكن أمامي سوى هذا الطريق أسلكه إتمامًا للعمل، وتجويدًا له[1]، أمّا الفجوات والتقطيع الذي أصاب بعض الأوراق، فقد عملتُ جاهدًا على سدّ الكثير منه اعتمادًا على كتب ابن قتيبة الأخرى، والكثير من مصادر التراث العربي، وقد أعانت تلك المحاولات التي آتت أكلها في كثير من الأحيان على تقديم صورة متكاملة للكتاب، لعلّها الصورة التي أرادها صاحبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

-5-

أستطيع تلخيص العمل الذي قمتُ به خدمة لهذا الكتاب بالنقاط الآتية:

1 – تقديم قراءة سليمة للنصّ بأصليه: المطبوع والمخطوط معتمدًا على المصادر، وخصوصًا كتب ابن قتيبة، مع محاولة تجنّب الأخطاء التي وقعت في المطبوع خصوصًا.

2 – التوفيق بين المطبوع والمخطوط، كما أشرتُ سابقًا، وهو السبيل الوحيد لإخراج الكتاب بعد النقص الذي أصاب المطبوع والمخطوط على حد سواء.

3 – إثبات الفروق بين المطبوع والمخطوط، وذلك حين تلاقيا في قليل من الأوراق.

4 – ضبط النصّ بالشكل.

---

(1) لم يكن هذا النهج بدعًا في ذاته، فقد سبقتنا أعمال حاول فيها محققّوها أن يقدّموها بصورة متكاملة، وذلك من خلال التوفيق بين المطبوع والمخطوط من أصولها، نذكر هنا عملين لأستاذين جليلين هما: عبد السلام هارون في تحقيقه كتاب (وقعة صفين)؛ إذ اعتمد مطبوعًا للأصل وحده، واستخرج من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المطبوع أيضاً نسخة ثانية من ذلك الكتاب، والدكتور إحسان عباس في تحقيقه (عهد أردشير) حين وفّق بين مخطوط للعهد ومطبوع، في سبيل إخراج نصّ متكامل، تنظر مقدمة العهد.

5 – المحاولة الجادّة الصادقة في سدّ مواضع الفجوات التي أشير إليها اعتمادًا على كتب ابن قتيبة، والمصادر الأخرى، وقد كلّف هذا العمل جهدًا كبيرًا، ووقتًا طويلاً لم يكن منهما بدّ بغية تقويم النصّ، وإذاعته بالصورة اللائقة، وقد ندَّت بعض المواضع التي لم أتمكّن من سدّها، وقد أُثبت هذا كلّه في مواضعه بإشارات واضحة.

6 – ردّ الآيات الكريمة إلى مواضعها في سورها مع أرقامها.

7 – تخريج الأحاديث الشريفة والآثار النبوية من كتب الحديث المعتمدة، ومصادر التاريخ والأدب.

8 – تخريج الشعر، وقد اعتمدتُ فيه على ديوان الشاعر إن توفّر له ديوان أو شعر مجموع، فإن لم يكن له ديوان خرَّجتُ من المصادر مع العناية بأقدمها.

9 – الترجمة للأعلام ترجمات مختصرة مفيدة، مع الإحالة إلى مصادر هذه التراجم، وأغفلتُ الترجمة للمشهورين منهم – مثل الأنبياء عليهم السلام، ومشاهير الصحابة رضوان الله عليهم، وكبار الشعراء – اعتمادًا على تداول أسمائهم ومعرفة المختصين وغيرهم بهم، وخشية أن تكون الترجمة في هذه الحال فضولاً وزيادة، لا توضيحًا وفائدة.

10 – تخريج الأمثال والأقوال من كتب الأمثال والأدب العامة.

11 – توثيق الأخبار من المصادر التاريخية المعتمدة مثل الطبري؛ والمسعودي، وابن الأثير، ومصادر الأدب الأخرى.

12 – شرح الألفاظ الغريبة الواردة في النصّ سواء أكانت في النثر أم في الشعر، واعتمدتُ على لسان العرب، وكثيرًا ما أترك الإشارة إليه خشية التطويل، وآثرتُ أن أشير إلى اللسان برقم الجزء والصفحة لا بالمادة، طلبًا للدّقة، فمعروف أنَّ بعض المواد فيه تطول لتستغرق صفحات، وعند ذاك يصبح العثور على المقصود جهدًا إضافيًا أغنيتُ الآخرين عنه.

13 – صنع الفهارس الفنية للكتاب؛ وهي فهارس: القرآن الكريم– الحديث الشريف–

الشعر– الأعلام– الطوائف والقبائل والأمم– الأمثال– الأماكن.

هذا عملي في هذا الكتاب الذي استغرق سنوات أضعه بين أيدي الدارسين، ومحبّي تراثنا العربي، وأرجو أن أكون قد قدّمتُ شيئًا نافعًا لتراث ابن قتيبة خاصة، والتراث العربي عامة. أمّا وجه هذا العمل الثاني فاحتسبه عنده سبحانه فهو القادر على أن يثيبني، ولكلِّ امرئ ما نوى. رب اغفر لي وارحمني برحمتك التي وسعت كلَّ شيء، رب أنت تعلم ما أخفي وما أعلن وما يخفى على الله شيء لا في الأرض ولا في السماء، رب لا تكلني إلى نفسي، وأسبغ عليّ من شآبيب فضلك، وصلى الله على سيد العرب والعجم النبي الأميّ محمد بن عبد الله صلاة وتسليمًا إلى يوم يبعثون، والحمد لله رب العالمين.

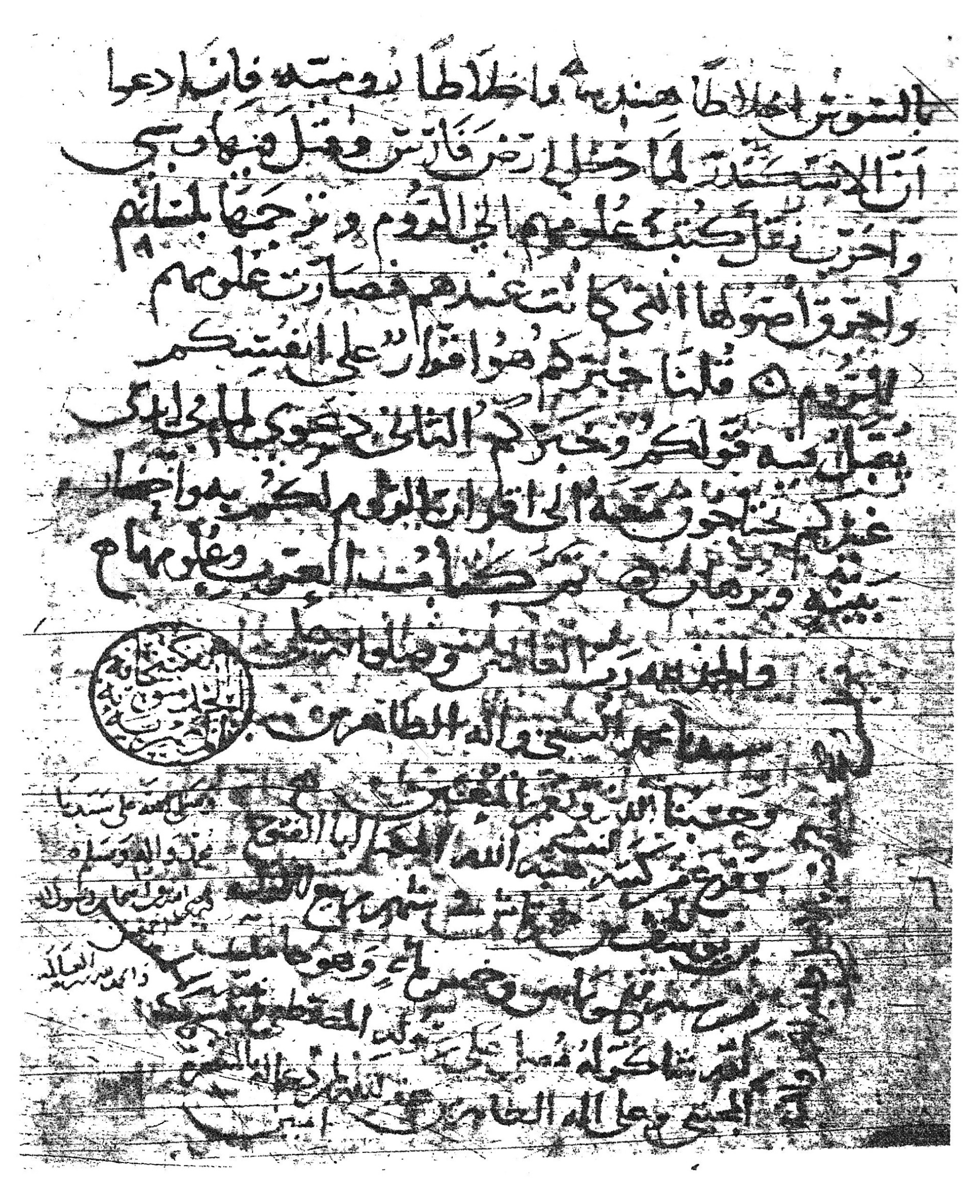
د. وليد محمود خالص



الورقة الأولى من المخطوط ويلاحظ الطمس في الأعلى



الورقة الأخيرة من الجزء الأول ويلاحظ الطمس في الأعلى



الورقة الأخيرة من الجزء الثاني ويلاحظ انتهاء الطمس فيها



الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على محمد وآله وسلّم تسليمًا

قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة: جعلنا الله وإياك على النّعم شاكرين، وعند المحن والبلوى صابرين، وبالقسم من عطائه راضين، وأعاذنا من فتنة العصبية، وحميّة الجاهلية، وتحامل الشعوبية، فإنَّها بفرط الحسد ونَغَل[1] الصدر تدفع العرب عن كلّ فضيلة، وتُلحق بها كلَّ رذيلة، وتغلو في القول، وتُسرف في الذمّ، وتبهت بالكذب، وتكابر العيان، وتكاد تكفر ثم يمنعها خوف السيف، وتغصُّ من النبي ﷺ بالشجا[2]، وتطرف منه على القذى، وتبعد من الله بقدر بعدها ممّن قرَّب واصطفى، وفي الإفراط الهلكة، وفي الغلوّ البوار.

والحسد هو الداء العياء، أول ذنب عُصي الله به في الأرض والسماء[3]، ومَنْ تبيّن أمر الحسد بعدْل النظر، أوجب سخطهَ على واهب النعمة، وعداوته[4] لمؤتي الفضيلة؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿**نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا**﴾[5]. فهو – تبارك وتعالى – باسط الرزق، وقاسم الحظوظ،

(1) النَّغل: الفساد.

(2) الشجا: ما اعترض في حلق الإنسان من عظم أو عود أو غيرهما، وغصَّ بالشجا – هنا –: كناية عن الألم المحبوس والحقد الدفين، ومثله تطرف على القذى، فالطَّرف إطباق الجفن على الجفن، والقذى ما يقع في العين وما تُرمى به، فإذا طرفت عليه آذاها وآلمها، وهذه الأخرى كناية عن الحقد الدفين.

(3) ينظر عيون الأخبار، 11/2، وفيه: «.... أمّا في السماء فحسد إبليس آدم، وأمّا في الأرض فحسد ابن آدم أخاه حتى قتله»، وبهجة المجالس، 409/1، وفيه: «كان يقال: أول ما عصي الله به في السماء والأرض الحسد والحرص، ذهبوا إلى أنَّ إبليس حسد آدم فلم يسجد له»، وينظر العقد الفريد، 320/2، ففيه تفصيل وافٍ.

(4) في المطبوع: (وعدواته)، وهو خطأ مطبعي.

(5) الزخرف، 32.

والمبتدئ بالعطاء. والمحسود آخذ ما أعطى، وجارٍ[1] إلى غاية ما أجرى. وقال ابن مسعود: لا تعادوا نعم الله. قيل: ومَنْ يعادي نعم الله؟ قال: حاسد الناس[2].

وفي بعض الكتب يقول الله: الحاسد عدو لنعمتي، متسخّط لقضائي، غير راضٍ بقسمي[3].

وقال ابن المقفع: الحاسد لا يبرح زاريًا على نعمة الله لا يجد لها مَزالاً، ويكدّر على نفسه ما به فلا يجد لها طعمًا، ولا يزال ساخطًا على مَنْ لا يتراضاه، ومتسخّطًا لما لا ينال فوقه، فهو مكظوم هَلِع، جزوع ظالم، أشبه شيء بمظلوم محروم الطلبة، منغّص المعيشة، دائم السخطة، لا بما قُسِمَ له يقنع، ولا على ما لم يُقْسَم له يغلب، والمحسود يتقلّب في فضل الله مباشرًا للسرور، مُمهلاً فيه إلى مدَّة لا يقدر الناس لها على قطع وانتقاص. ولو صبر الحسود على ما به وضمر لحزنه كان خيرًا له؛ لأنّه كلَّما هرَّ خسأه الله، وكلَّما نبح قُذف بحجره، وكلّما أراد أن يطفئ نور الله أعلاه الله[4]، ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[5]. ولله درُّ القائل[6]:

وإذا أرادَ اللهُ نَشْرَ فضيلةٍ
يومًا أتاحَ لها لسانَ حسودِ

لولا اشتعالُ النارِ فيما جاورتْ
ما كان يُعرف طيبُ عَرْفِ العودِ[7]

ولم أرَ في هذه الشعوبية أرسخ عداوة، ولا أشد نصبًا للعرب من السفلة والحشوة[8]، وأوباش[9] النبط، وأبناء أكرة[10] القرى. فأمّا أشراف العجم، وذوو الأخطار منهم، وأهل

---

(1) في المطبوع: (وجار).

(2) ينظر العقد الفريد، 320/2، وبهجة المجالس، 407/1، ونهاية الأرب، 285/3.

(3) ينظر عيون الأخبار، 10/2، والعقد الفريد، 320/2، ولعلَّ ابن قتيبة ينقل هذا الكلام من بعض الكتب المقدّسة.

(4) نُسب بعض هذا الكلام إلى عمر بن عبد العزيز في الفاضل، ص100، وينظر عيون الأخبار، 9/2 ففيه هذا القول باختلاف يسير منسوب إلى ابن المقفع.

(5) التوبة، 4.

(6) هو أبو تمام الطائي.

(7) ديوانه بشرح التبريزي، 397/1، وفيه: (طُويت) بدل (يومًا).

(8) حشوة الناس: رذالتهم.

(9) الأوباش من الناس: الأخلاط، مثل الأوشاب؛ وهم الضروب المتفرقون.

(10) أكرة: جمع أكار؛ وهو الحرّاث.

الديانة، فيعرفون ما لهم وما عليهم، ويرون الشرف نسبًا ثابتًا.

وقال رجل منهم لرجل من العرب: إنَّ الشرف نسب، والشريف من كل قوم نسيب الشريف من كلّ قوم.

وإنَّما لهجت السفلة منهم بذمّ العرب؛ لأنَّ منهم قومًا تحلَّوا بحلية الأدب، فجالسوا الأشراف، وقومًا اتَّسموا بميسم الكتابة[1]، فقُرِّبوا من السلطان، فدخلتهم الأنفة لآدابهم، والغضاضة لأقدارهم من لؤم مغارسهم، وخُبْث عناصرهم. فمنهم مَنْ ألحق نفسه بأشراف العجم،واعتزى[2] إلى ملوكهم وأساورتهم[3]، ودخل في باب فسيح لا حجاب عليه، ونسب واسع لا مدافع عنه. ومنهم مَنْ أقام على خساسة يُنافح عن لؤمه، ويدَّعي الشرف للعجم كلِّها؛ ليكون من ذوي الشرف، ويُظهر بُغْض العرب يتنقَّصها، ويستفرغ مجهوده في مشاتمها، وإظهار مثالبها، وتحريف الكَلم في مناقبها. وبلسانها نطق، وبهممها أنف، وبآدابها تسلَّح عليها، فإن هو عرف خيرًا ستره، وإن ظهر حقَّره، وإن احتمل التأويلات صرفه إلى أقبحها، وإن سمع سوءًا نشره، وإن لم يسمعه نقَّر عنه، وإن لم يجده تخرَّصه[4]، فهو كما قال القائل[5]:

إن يعلموا الخيرَ يُخفوهُ وإن علموا

شرًا أذيع، وإن لم يعلموا بهتوا[6]

---

(1) فصَّل الجاحظ الحديث عن أولئك الكتّاب الذين يشير إليهم ابن قتيبة في واحد من رسائله هي (ذمّ أخلاق الكتّاب)، وله فيهم كلام نفيس يشير إلى خبرة ومعرفة واسعة. تنظر رسائل الجاحظ، 191/2، وما بعدها.

(2) اعتزى: انتسب.

(3) الأساورة: واحده إسوار، أعجمي معرَّب، وهو الرامي، وقيل: الفارس، ينظر المعرّب، ص20، أو هو قائد الفرس كما في لسان العرب، 388/4.

(4) التخرّص: الكذب.

(5) هو طريح بن إسماعيل الثقفي، شاعر مجيد من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، شعره جزل رصين، طرق فنونًا شتى من أبرزها المديح، والحكمة، والرثاء. تنظر مقدمة شعره المجموع ص7، وما بعدها مع مصادرها.

(6) شعره، ص75، ورواية البيت فيه:

إن يسمعوا الخير يخفوه وإن سمعوا

شراً أذاعوا وإن لم يعلموا كذبوا

ينظر التخريج ففيه حديث طويل عن اختلاف الرواية.

ومَنْ ذا – رحمك الله – صَفَا فلم يكن له عيب، وخلص فلم يكن فيه شَوْب[1].

وقيل لبعض الحكماء: هل من أحد ليس فيه عيب؟

فقال: لا؛ لأنَّ الذي ليس فيه عيب هو الذي لا يموت[2].

وعائب الناس يعيبهم بفضل عيبه، وينتقصهم بحسب نقصه، ويذيع عوراتهم ليكونوا شركاءه في عورته، ولا شيء أحبُّ للفاسق من زلَّة العالم، ولا إلى الخاملِ من عثرةِ الشريف، قال الشاعر[3]:

ويأخذ عيبَ الناس من عيبَ نفسه

مُرادٌ لعمري إن أردت قريبُ[4]

إن يسمعوا الخير يخفوه وإن سمعوا

شرًا أذاعوا وإن لم يعلموا كذبوا

وقال آخر[5]:

وأجرأ مَنْ رأيت بظهر غيبٍ

على عَيْب الرجال ذوو العيوبِ[6]

---

(1) الشوب: الخلط.

(2) ينظر عيون الأخبار، 17/2، والعقد الفريد، 336/2، وفيهما أنّ هذا القول لبزرجمهر، ونُسب في العقد الفريد أيضًا، 3/1 إلى العتّابي، ونُسب في الأجوبة المسكتة، ص35 إلى سقراط.

(3) هو أرطاة بن سهية كما في سمط اللآلي، 906/2، وهو أرطاة بن زفر بن عبد الله بن مالك... بن سعد بن ذبيان، وسهية أمّه. شاعر فصيح متقدّم من شعراء الدولة الأموية، شريف في قومه، جواد، له وصف بارع للخيل، ينظر الشعر والشعراء، 522/1، مع مصادر المحقق، والأغاني، 27/13، وما بعدها.

(4) البيت بلا نسبة باختلاف يسير في: عيون الأخبار، 19/2، وزهر الآداب، 642/2، ومجالس ثعلب، 162/1، والتمثيل والمحاضرة، ص456، وجمهرة الأمثال، 166/2، وبهجة المجالس، 399/1، وأمالي القالي، 267/2، وفي الهامش يقول المصحّح: «البيت ينسب إلى المستورد الخارجي كما جاء في النسخة المحفوظة بدار الكتب الأهلية بباريس.. وقد نبّه على هذا المستر كرنكو في تعليقاته على كتاب الأمالي».

(5) نُسب البيت في سمط اللآلي، 906/2، إلى رجل من ثقيف، ويعلّق المحقق بقوله: «ويظهر ممّا في الأدباء 161/4، أنَّه لخالد بن صفوان»، ويريد بالأدباء معجم الأدباء لياقوت.

(6) البيت بلا نسبة في: عيون الأخبار، 14/2، والبيان والتبيين، 58/1، والكامل، 1165/3، مع مزيد من التخريج، ويقول

وقد كان زياد بن أبي سفيان حين كثر طعن الناس عليه وعلى معاوية في استلحاقه عمل كتابًا في المثالب لولده، وقال: مَنْ عيَّركم فقرّعوه بمنقصته، ومَنْ ندَّد عليكم فابدهوه[1] بمثلبته؛ فإنّ الشر بالشر يُتقى، والحديد بالحديد يُفْلح[2].

وكان أبو عبيدة معمر بن المثنى أغرى الناس بمشاتم الناس، وألهجهم بمثالب العرب، وحاله في نَسَبه وأبيه الأقرب إليه حال نكره أن نذكرها[3]، فنكون كمن أمر ولم يأتمر، وزَجَر عن القبيح ولم يزدجر، وهي مشهورة، ولكن كرهنا أن تدوَّن في الكتب، وتخلد على الدهر، ولاسيما وهو رجل يُحمل عنه العلم، ويحتجّ بقوله في القرآن. ومَنْ أتعب قلبًا، وأنصب فكرًا، ممَّن أراد أن يجعل الحسنة سيئة، والمنقبة مثلبة، ويحتاج لإخراج الباطل في صورة الحق، فيقصد من المناقب، لمثل قوسِ حاجب[4]، يضحك منها، ويُزري بها، ويذهب في ذلك إلى خساسة العود، وقلّة ثمنه؟! وهذا لو كان على مذاهب التّجار والسوق في الرّهون والمعاملات لرجع بالعيب على الآخذ لا على الدافع؛ لأنَّ الدافع لا يألو أن يدفع أحقر ما يجد في أكثر ما يأخذ، والمغبون مَنْ غُرَّ بالصغير عن الكبير، وإنَّما رَهَنَ عن العرب بما ضمنه عنها من كفّ الأذى عن مملكته، حتى يحيوا وتنكشف عنهم السنة، ولو كان مكان القوس مئة ألف رأس من الغنم عن هذا السبب، ما كان القوس إلا أحسن بالدافع والقابل؛ لأنَّ سلاح الرجل هي عزُّه وشرفه، وإسلام المال أحسن من إسلام العزّ والشرف، وقد يدفع الرجل خاتمه، وبرده، أو رداءه عن الأمر العظيم، فلا يُسلمه خوفًا من السُّبة، وأنفة من العار.

المبرد: «إنَّ صاحب هذا البيت أخذه من كلام المستورد حين قال له رجل: أريد رجلاً عيّابًا، قال: التمسه بفضل معايب فيه»، وفي أمالي القالي، 267/2، أنَّ صاحب القول هو الأحنف بن قيس، والأغاني، 23/20، وسمط اللآلي، 906/2، ومعجم الأدباء، 1233/3، ومعاهد التنصيص، 103/1، وبهجة المجالس، 399/1، وجمهرة الأمثال، 166/2، والبرهان في وجوه البيان، ص53.

(1) أبدهوه: باغتوه فجأة.

(2) ينظر تفصيل ذلك في خزانة الأدب، 53/6.

(3) أبو عبيدة من أصل يهودي، أسلم جدّه على يدي بعض آل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ينظر الأغاني، 22/20، ومعجم الأدباء، 2704/6، وما بعدها مع مصادر المحقق، وخزانة الأدب، 53/6، وسمط اللآلي، 807/2، وما بعدها، والفهرست، ص79.

(4) هو حاجب بن زرارة التميمي، وقوسه المشهورة التي دفعها إلى كسرى ملك الفرس رهنًا، وفكَّ الرهن ابنه عطارد بعد وفاته في قصة طويلة، تنظر مفصَّلة في الديباج، ص138، وما بعدها، والعقد الفريد، 20/2، وما بعدها، والممتع، ص69، وثمار القلوب، ص625، وما بعدها، والأخبار الموفقيات، ص272، وخزانة الأدب، 354/1، وما بعدها.

قال أبو عبيدة[1]: لمّا قتل وكيع بن أبي سود التميمي قتيبة بن مسلم الباهلي بخراسان، وبلغ ذلك سليمان[2] وهو بمكة وهو حاج، خطب الناس بمسجد عرفات، وذكر غدر بني تميم، وإسراعهم في الفتن، وتوثّبهم على السلطان، وخلافهم له، فقام الفرزدق ففتح رداءه، وقال: يا أمير المؤمنين، هذا ردائي رَهْنًا بوفاء تميم ومُقامِها على طاعتك[3]، فلمّا جاءت بيعة وكيع قال الفرزدق:

فدىً لسيوفٍ من تميم وفى بها

ردائي وجلَّت عن وجوه الأهاتمِ[4]

يريد الأهتم بن سُمي التميمي ورهطه.

وهذا سيّار بن عمرو بن جابر الفزاري ضَمِن لبعض الملوك ألف بعير دية أبيه ورهنه قوسه، فقبلها منه على ذلك وساقها إليه، وفيه يقول القائل[5]:

ونحن رَهنَّا القوس ثمَّ تخلَّصت

بألفٍ على ظهر الفزاريِّ أقرعا[6]

---

(1) ينظر شرح النقائض، 537/2، وتاريخ الطبري، 512/6، وما بعدها، وخزانة الأدب، 372/7، وما بعدها، وفيها: «قال العيني: الرداء في البيت الشاهد بمعنى السيف»، يعني بيت الفرزدق القادم. ولا نراه وجيهًا؛ لأنَّ الفتح ليس للسيف، وخبر (افتحوا سيوفكم) ذائع مشهور.

(2) يريد الخليفة سليمان بن عبد الملك.

(3) كأنَّه يعيد ما صنعه حاجب بن زرارة مع كسرى حين رهن قوسه عنده كما مرَّ سابقًا.

(4) ديوانه، 310/2، وفي المطبوع: (رداي)و(حلَت) بدل (ردائي) و(جلَّت)، وأثبتنا ما في الديوان.

(5) هو قراد بن حنش الصاردي كما في الأغاني، 105/11، وخزانة الأدب، 374/7، وبلوغ الأرب، 21/3، وقراد شاعر جاهلي من شعراء غطفان المشهورين من بني صاردة، وهم فخذ من غطفان، قليل الشعر جيده، ويقول أبو عبيدة: إنَّ غطفان كانت تغير على شعره فتأخذه وتدّعيه، وممَّن صنع هذا: زهير بن أبي سلمى. ينظر المؤتلف والمختلف، ص327، وخزانة الأدب، 275/7، وفيها: «... ورأيتُ في شعر قراد بن حنش»، وهو يشير إلى شعر مجموع لقراد كان بيد البغدادي، وحفظ المعري شيئًا يسيرًا من شعره في الفصول والغايات، ص100.

(6) القصة والبيت في العقد الفريد، 146/5، وما بعدها، والأغاني، 105/11، وخزانة الأدب، 374/7، والأقرع: التام، وهو نعت لكلّ ألف، كما أنَّ هنيدة اسم لكلّ مئة. ينظر لسان العرب، 267/8، ووقع هذا الرهن قبل حادثة حاجب مع كسرى.

وسيّار هذا هو جدّ هرم الذي تنافر إليه عامر وعلقمة[1].

ومن هذا الباب قول جران[2]، وذكر اجتماعه مع نساء كان يألفُهنَّ:

ذهبنَ بمسواكي وقد قلتُ إنَّه

سيوجد هذا عندكنَّ فيُعرفُ[3]

يظنُّ مَنْ لا يعرف هذا الخبر أنهنَّ سَلبْنَه المسواك، فاعتدَّ عليهنَّ، وأخبرهنَّ أنّه سيوجد عندهنّ، ويعرف لقدر المسواك عندهنَّ وعنده؛ ولأنَّ الأعراب أنظر قوم في التافه الحقير الذي لا خطر له. وكيف يظنّ به وبهنَّ هذا، ونجد بلد مستحلس[4] بضروب من شجر المساويك لا تُحصى، فكيف يبخل على نساء يهواهنَّ بعود، وهو يصطلي به، ويختبز ويطبخ بشجره، ومتى احتاج إلى مسواك منه لم يتكلّفه بثمن، ولم يبعد في طلبه؟! والمعنى أنَّ نجدًا تختلف منابته، فمنه ما يُنبت الإسحل، ومنه ما ينبت الأراك، ومنه ما يُنبت البشام[5]، فأهل كلِّ ناحية منهم يستاكون بشجر بلدهم، وكان جران العود معروفًا بهؤلاء النساء يزورهنَّ على حذر من مزار بعيد، وهو يستنُّ[6] من الشجر ما ينبت في بلده، ولا ينبت في بلدهنَّ، فلما أخذن سواكه ليتذكَّرنه، ويسترحن إليه كما يفعلُ المتحابّون، قال: إنَّ هذا سيوجد عندكنَّ، وإذا وُجد عُلِمَ أنَّه مما يُنبته البلد الذي أسكنه، فاستُدِّل به على زيارتي إيَّاكنَّ.

---

(1) ينظر أمر هذه المنافرة المشهورة في الأغاني، 215/16، وما بعدها، والشعر والشعراء، 277/1، والديباج، ص88، وما بعدها، وخزانة الأدب، 184/1، وما بعدها، وفيها أنَّ حكّام العرب هابت أن تحكم بينهما، فأتوا هرم بن قطبة ابن سنان. والمنافرة هي المفاخرة: والمحاكمة، ينظر لسان العرب، 226/5، ويسوق حديث هذه المنافرة.

(2) جران: لقب، واسمه عامر بن الحارث بن كُلْفة من بني ضنَّة بن نمير بن عامر بن صعصعة، شاعر جاهلي، جيد الشعر، حسن التشبيه، فصيح العبارة، عُرف بالغزل والوصف. والجران: باطن العنق الذي يضعه البعير على الأرض إذا مدَّ عنقه لينام، وكان يُعمل منه الأسواط. ينظر الشعر والشعراء، 718/2، وما بعدها، وخزانة الأدب، 18/10، وما بعدها، وتاريخ الأدب العربي، د. فروخ، 189/1.

(3) ديوانه، ص18، وفيه: (قولة) بدل (إنَّه).

(4) مستحلس: كثير متنوع.

(5) الإسحل والأراك والبشام: أنواع من الشجر يستاك بأعوادها، وأجودها البشام.

(6) يستنّ: يستعمل المسواك.

ويقصد لقول القائل[1]:

أيـــا بـنـــة عـبـد الله وابـنــــة مــالــكٍ

ويـا بـنـة ذي الـبُـرديـن والـفـرس الـــوَردِ[2]

فيتضاحك بالشعر، ويستهزئ بالبُردين، والفرس الورد، ويعارض[3] ذلك بملوك فارس، وأسرَّتها، وتيجانها، وبأنَّ أبرويز[4] ارتبط تسعمئة وخمسين فيلاً على مرابطه، وبلغت مخدَّتُه التي كان يُشرفُ بها على الداخل عليه ألف إناء من الذهب، وخَدَمَتْه ألف جارية. وقد جهل هذا معنى الشعر، وأخطأ في المعارضة، وفخر بما ليس له فيه حظ ولا نصيب.

أمّا معنى الشعر، فإنَّ أبا عبيدة[5] ذكر أنَّ وفود العرب اجتمعت عند النعمان بن المنذر، فأخرج بُردي محرِّق؛ وهو عمرو بن هند، وقال: ليقم أعز العرب قبيلة[6] فيأخذهما. فقام عامر بن أحيمر بن بهدلة، فأخذهما، فاتَّزر بواحد وارتدى بآخر، فقال له: بم أنت

---

(1) هو قيس بن عاصم بن سنان بن منقر بن خالد التميمي من عقلاء العرب وحلمائهم، وهو أحد الذين حرّموا على أنفسهم الخمر في الجاهلية، وفد على رسول الله ﷺ في وفد تميم، ووصفه بأنَّه سيد أهل الوبر، له أحاديث وفعال ووصايا تدلّ على عميق حلمه، وسعة خبرته. ينظر الإصابة، 197/8، رقم (7188)، والاستيعاب، 180/9، رقم (1240)، وشرح شواهد المغني، 587/2.

(2) نُسب البيت خطأً إلى حاتم الطائي، وهو في ديوانه، طبعة بيروت، ص61، وينظر تصحيح نسبته إلى قيس بن عاصم في ديوان حاتم، طبعة مصر، ص294، وفي المطبوع: (الوردا)، وقد أثبتنا الصواب، وينظر كذلك شعر بني تميم، ص149 مع مصادره.

(3) ينقل صاحب الممتع هذا النصّ إلى قوله: «أدرك ثأره على فرسه»، ص59–61 باختلاف، وفيه: «وبلغت آنيته التي يشرب فيها الداخل عليه» بدل النصّ المثبت فوق، ولعلّه أصوب، وفي العقد الفريد، 330/5: «وممّا يعاب من الشعر وليس بعيب قول الفرزدق: أيا ابنة... فقال مَنْ جهل المعنى ولم يعرف الخبر: ما في هذا المدح: أن يمدح رجل بلباس بردين، وركوب فرس ورد. وإنَّما معناه...»، وهو يقترب من كلام ابن قتيبة، على أنَّ البيت ليس للفرزدق.

(4) أبرويز بن هرمز من أكاسرة الفرس، ملك ثمانية وثلاثين عامًا، غزا الشام وبلغ مصر، أخذ رعيته بالعسف والخبط، ينظر المعارف، ص665.

(5) ينظر شرح النقائض، 838/3، ففيه هذا الخبر بتمامه باختلاف يسير، والممتع، ص61، والعقد الفريد، 194/2–195 و330/5–331، وسرح العيون، ص435، وشرح الشواهد للسيوطي، ص586–587.

(6) في الأزمنة والأمكنة، 165/2، حديث عن سوق عكاظ إذ «كانت فيها أشياء ليست في أسواق العرب، كان الملك من ملوك اليمن يبعث بالسيف الجيد، والحلة الحسنة، والمركوب الفاره فيقف بها وينادي عليه: ليأخذه أعزّ العرب، يراد بذلك معرفة الشريف والسيد فيأمره بالوفادة عليه، ويحسن صلته».

أعزُّ العرب؟ فقال: العزُّ والعدد من العرب في معدّ ثمّ نزار، ثمّ في مضر، ثمّ في خندف، ثمّ في تميم، ثمّ في سعد، ثمّ في كعب، ثمّ في عوف، ثمّ في بهدلة، فمن أنكر هذا من العرب فلينافرني. فسكت الناس. فقال النعمان: هذه عشيرتك كما تزعم، فكيف أنت في أهل بيتك، وفي بدنك؟ فقال: أنا أبو عشرة، وعمُّ عشرة، وخال عشرة، يغنيني الأكابر عن الأصاغر، والأصاغر عن الأكابر، فأمّا أنا في بدني فهذا شاهدي، ثمّ وضع قدمه على الأرض وقال: مَنْ أزالها من مكانها فله مئة من الإبل. فلم يقم إليه أحد من الناس، فذهب بالبُردين؛ فسُمِّي ذا البردين. قال الفرزدق:

فما تمَّ في سعدٍ ولا آل مالكٍ

غلامٌ إذا ما قيل لم يتبهدلِ

لهم وهب النعمان ثوبَيْ محرّقٍ

بمجدِ معدٍّ والعديد المحصَّلِ[1]

وأمّا الفرس الورد فإنَّ الخيل حصون العرب، ومنبت العزّ، وسلّم المجد، وثمال[2] العيال، وبها تُدرك الثأر، وعليها تصيد الوحش، وكانوا يؤثرونها على الأولاد باللبن[3]، ويشدُّونها بالأفنية للطلب والهرب، وقد كنَّى الله عنها في كتابه بالخير لما فيها من الخير[4]، فقال حكاية عن نبيّه سليمان ﷺ: ﴿إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ﴾[5]؛ يعني: الخيل، وبها كان شُغل سليمان عن الصلاة حتى غربت الشمس[6].

---

(1) ديوانه، 177/2، وفيه: (بُرد) بدل (ثوبي).

(2) الثمال: الغياث والعماد.

(3) ينظر المعاني الكبير، 85/1.

(4) يقول ابن قتيبة: «والعرب لكثرة انتفاعها بالخيل تسمّيها الخير»، المعاني الكبير، 85/1، وينظر كذلك تأويل مشكل القرآن، له أيضًا، حيث يقول: «... فسمّاها [أي: الخيل] الخير لما فيها من المنافع»، ص105.

(5) سورة ص، 32.

(6) ينظر أنساب الخيل، لابن الكلبي، ص13، وحلية الفرسان، ص29، وما بعدها، وتفسير القرطبي، 194/15، وتفسير الطبري، 155/12.

وقال طفيل[1]:

ولـلـخـيـل أيـــــامٌ فـمـن يـصـطـبـرْ لـهـا

ويـعـرفْ لـهـا أيـامـهـا الـخـيـر يُعقبِ[2]

وقال آخر[3]:

ولـقـد عـلـمـت عـلـى تـوقِّـيَّ الـردى

أنَّ الـحـصـون الـخـيـل لا مـدَرَ الـقـرى

إنِّـــي وجـــدت الـخـيـل عـــزًا ظـاهـرًا

تُـنـجـي مـن الـغُـمَّـى ويـكـشـفـن الـدُّجـى

ويـبـتـن فـي الـثـغـر الـمـخـوف طـلائـعًا

وتـبـيـن لـلـصـعـلـوك جـمَّـةُ ذي الـغـنـى

بـاتـوا بـصـائـرهـم عـلـى أكـتـافـهـم

وبـصـيـرتـي يـعـدو بـهـا عَـتِـدٌ وأى[4]

والبصيرة: الدم، يريد أنَّهم لم يدركوا الثأر فثقل الدماء على أكتافهم، وأنَّه قد أدرك ثأره على فرسه[5].

---

(1) هو طفيل بن عوف من قبيلة غنيّ، شاعر جاهلي عُرف بوصف الخيل، وترداد ذكرها في شعره، تنظر مقدمة ديوانه مع مصادرها.

(2) ديوانه، ص35، وفيه: (تُعقب)بدل (يُعقب)، ولعلَّ رواية الديوان أصوب، وفي هامش الديوان: «قال الأصمعي بأنَّ الخير صفة الأيام، واعتمد ابن قتيبة هذه الرواية في كتابه تأويل مشكل القرآن، ص106، وينظر القرطين، 123/1.

(3) هو الأسعر بن حمران الجعفي كما في الأصمعيات، ص140، والخيل، لأبي عبيدة، ص11، ومعجم الشعراء، ص47، ولسان العرب، 377/15، شاعر جاهلي، وفارس مشهور، اسمه مرثد بن أبي حمران، ولُقِّب الأسعر ببيت قاله، ولابن أخيه محمد بن حمران حديث مع امرئ القيس، ينظر معجم الشعراء، ص47، والاشتقاق، ص408، ولسان العرب، 4/–366 367، وخزانة الأدب، 181/9، مع مصادر المحقق.

(4) الأبيات من قصيدة أصمعية، تنظر الأصمعيات، ص140، مع تخريجها، وينظر الخيل، ص117 باختلاف يسير، والعتد: الفرس التام الشديد، والوأى من الدواب: السريع المشدّد الخَلْق، وتنظر المفضليات.

(5) ينظر لسان العرب، 68/4، وفيه البيت الأخير مع شرحه.

وحدّثني محمد بن عبيد قال: حدَّثني سفيان بن عيينة عن شبيب بن غرقدة عن عروة البارقي قال: سمعتُ النبي ﷺ يقول: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة»[1].

قال أبو محمد: وليس لأحد مثل عتاق العرب، ولا عند أحد من الناس من العلم بها ما عندهم. وسأذكر من ذلك شيئًا فيما بعد إن شاء الله[2].

وإذا كان للرجل منها جواد مُبِرّ[3]،كريم، شُهِر وعُرِف به؛ فقيل: العسجدي[4]، ولاحق[5]، وداحس[6]، والورد[7].

وليس أعجب من سرير كسرى وفخر العجم به، وتصويرهم إيّاه في الصخور الصُّم، وفي رعان[8] الجبال، وإذا رأيت العرب تنسب إلى شيء خسيس في نفسه فليس ذلك إلا لمعنى شريف فيه، كقولهم لهنيدة بنت صعصعة عمّة الفرزدق: ذات الخمار، فمن لم يعرف سبب الخمار هاهنا يظن أنّها كانت تختمر دون نساء قومها؛ فنُسبت إلى الخمار لذلك.

قال أبو عبيدة[9]: كانت هنيدة بنت صعصعة تقول: مَنْ جاءت من نساء العرب بأربعة

(1) ينظر إرشاد الساري، 69/5، وصحيح مسلم، 68/7، وأنساب الخيل، ص9، والخيل، ص110، وحلية الفرسان، ص37، وعيون الأخبار، 153/1، والعقد الفريد، 152/1، والتمثيل والمحاضرة، ص26و38، والأنوار ومحاسن الأشعار، ص133، وبهجة المجالس، 68/3، ونهاية الأرب، 68/3، وتفسير القرطبي، 194/15.

(2) سيعقد ابن قتيبة في الجزء الثاني من هذا الكتاب فقرة طويلة عن الخيل.

(3) المُبرُّ: الغالب.

(4) العسجدي: فرس لبني أسد، ينظر أنساب الخيل، ص32، والخيل، ص177، وأسماء خيل العرب، ص167، وأسماء خيل العرب، لابن الأعرابي، ص123، والأنوار ومحاسن الأشعار، ص130.

(5) لاحق: فرس غنيّ بن أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان، ينظر أنساب الخيل، ص22، والخيل، 177، وأسماء خيل العرب، ص215، وذكر غير واحد بهذا الاسم، وأسماء خيل العرب، لابن الأعرابي، ص87و118و123.

(6) داحس: من خيل غطفان بن سعد، وله حديث طويل في حرب غطفان، ينظر أنساب الخيل، ص24، وأسماء خيل العرب، ص97، وأسماء خيل العرب، لابن الأعرابي، ص119.

(7) الورد: من خيل بني هاشم، فرس حمزة بن عبد المطلب ﷺ، ينظر أنساب الخيل، ص20، وهو أيضًا اسم فرس أحمر ابن جندل بن نهشل، ينظر أنساب الخيل، ص62، وهو أيضًا فرس مالك بن شرحبيل، ينظر أنساب الخيل، ص106، وأسماء خيل العرب، ص255، وما بعدها، وذكر كثيرًا من الخيل بهذا الاسم، وينظر كذلك الأنوار ومحاسن الأشعار، ص130، والحيوان، 277/1.

(8) رعان: جمع رَعْن؛ وهو الأنف العظيم المتقدّم من الجبل.

(9) ينظر شرح النقائض، 831/3 باختلاف يسير، والممتع، ص60، والعقد الفريد، 196/2، وثمار القلوب، ص295، وعقد الثعالبي فيه فقرة لذات الخمار.

مثل أربعتي يحلُّ لها أن تضع عندهم خمارها، فصرمتي[1] لها: أبي صعصعة، وأخي غالب، وخالي الأقرع بن حابس، وزوجي الزبرقان بن بدر. فسمّيت ذات الخمار لذلك.

وقال: كان هند بن أبي هالة[2] ربيب النبي ﷺ يقول: أنا أكرم الناس أربعة: أبي رسول الله، وأمي خديجة، وأختي فاطمة، وأخي القاسم، فهؤلاء الأربعة لا أربعتها[3].

وأمّا خطؤه في المعارضة فإنّ صاحب البُردين لم يكن ملك العرب فيعارضنا عنه بملك العجم، ولم يدَّع أحد أنّه كان للعرب في دولة العجم مثل ملكها وأموالها، وعُددها وسلاحها، وحريرها وديباجها، فيحتاج أن يذكر فيلة أبرويز وجواريه وفرشه، وقد كان هذا لأولئك كما ذكر، ثمَّ جعله الله لهؤلاء، فابتزّوه واستلبوه، والتحوهم كما يُلتحى القضيب[4]، والناسخ أفضل من المنسوخ.

وأمّا فخره بما ليس له فيه حظٌّ ولا نصيب، فإنّما يفخر بملك فارس أبناء ملوكها، وأبناء عمّالهم، وكتّابهم، وحجّابهم، وأساورتهم، فأمّا رجل من عُرْض[5] العجم وعوامّهم لا يُعرف له نسب، ولا يشهر له أب، فما حظّه في سرير كسرى، وتاجه، وحريره، وديباجه، وليس هو من ذلك في مراح ولا مغدى[6]، ولا مظلّ ولا مأوى؟! فإن قال: لأنّي من العجم وكسرى من العجم، فمرحبًا بالمثل المبتذل: أنا ابن جار النجار! ولو قال أيضًا: لأنّي من الناس وكسرى من الناس، كان وهذا سواء، وما هو بأولى بهذا السبب من العرب؛ لأنَّ العرب أيضًا من الناس.

---

(1) الصرمة: القطعة من الإبل، قيل هي ما بين الثلاثين إلى الخمسين.

(2) هند بن أبي هالة الأسيدي التميمي ربيب رسول الله ﷺ، أمّه خديجة بنت خويلد g ، وأبو هالة هو نماش أو نباش ابن زرارة، أو هند بن زرارة بن النباش، على خلاف، وقيل غير هذا. توفي هند في البصرة بالطاعون، كان فصيحًا بليغًا وصّافًا، وله كلمة بديعة في صفة رسول الله ﷺ، ويذكر صاحب الاستيعاب أنَّ أبا عبيدة، وابن قتيبة، شرحا تلك الكلمة لما فيها من الفصاحة وفوائد اللغة. ينظر: الإصابة، 262/10، رقم (9009)، والاستيعاب، 3/11، رقم (2699)، وأنساب الأشراف، 39/1، والمعارف، ص133، والممتع، ص126، والعقد الفريد، 345/3. وشرح ابن قتيبة لكلمة هند في صفة رسول الله تجدها في كتابه غريب الحديث، 487/1، وما بعدها.

(3) ينظر المعارف، ص133، وثمار القلوب، ص295.

(4) يلتحى القضيب: ينزع عنه لحاؤه، وفي الحديث: «فإذا فعلتم ذلك سلَّط الله عليكم شرار خلقه، فالتحوكم كما يلتحى القضيب»، لسان العرب، 241/15.

(5) العُرض من الناس: عامَّتهم.

(6) المراح: الموضع الذي يروح منه القوم أو يروحون إليه، كالمغدى من الغداة. أي: ليس هناك من صلة بينه وبين ملوك الفرس، على سبيل المثل.

قال أبو عبيدة[1]: أجريت الخيل فطلع منها فرس سابق، فجعل رجل من النَّظارة يكبّر، ويثب من الفرح، فقال له رجل إلى جانبه: يا فتى، أهذا السابق فرسك؟ فقال: لا، ولكنّ اللجام لي!

وقال المسعودي: قدم علينا أعراب[2]، وكانوا يأتون ببضاعتهم فأبيعها، وأقوم بحوائجهم، وكانوا يقولون: رحم الله أباك دينارًا. فكنت لا آلوهم عناية، فقلت لهم: أخبروني عن السبب بينكم وبين أبي؟ قالوا: كان يساومنا مرة بأتان. فقلت لهم: هل كان اشتراها منكم؟ قالوا: لا. قلت: الله أكبر! قالوا: وما ذاك؟ قلت: لو اشتراها صارت رَحِمًا ونسبًا!

وقد كانت العجم – رحمك الله – في ذلك الزمان طبق الأرض شرقًا وغربًا، وبرًّا وبحرًا، إلا محالّ معدّ واليمن، أفكلٌّ هؤلاء أشراف؟ فأين الوضعاء، والأدنياء، والكسّاحون، والحجّامون، والدبّاغون، والخمّارون، والرعاع، والمُهَّان[3]؟ وهل كان ذوو الشرف في جملة الناس إلاّ كاللُّمعة[4] في جلد البعير؟ وأين ذراريهم وأعقابهم؟ أدَرَجوا[5] جميعًا فلم يبقَ منهم أحد، وبقي أبناء الملوك والأشراف؟

وأعجب[6] من هذا ادعاؤهم إلى إسحاق بن إبراهيم صلى الله عليهما وسلّم، وفخرهم على العرب أنّه لسارة الحرّة[7]، وأنّ إسماعيل أبا العرب لهاجر؛ وهي أمة. قال

---

(1) ينظر عيون الأخبار، 48/2، وجعله في باب الحمق، وبهجة المجالس، 550/2، وجعله في (باب أجوبة الحمقى ومراجعة السخفاء)، ويسوق ابن قتيبة هذا الخبر والذي بعده استخفافًا بعقول الذين يحاولون جاهدين إثبات صلة ما بينهم وبين ملوك الفرس، وليس هناك شيء على الحقيقة، وينظر أيضًا رسائل ابن حزم، 393/1، مع تعليق المحقّق.

(2) في المطبوع: (أغراب) وأثبتنا (أعراب)، وهو يتفّق مع السياق، ولعلَّ المسعودي الوارد في النّص هو الأعرج المسعودي الذي ورد ذكره في كتاب (البرصان) للجاحظ، ص191، ووصفه بالحمق.

(3) المُهَّان: جمع ماهن وهو العبد أو الخادم.

(4) اللمعة: السواد حول حلمة الثدي خلقة، أو كلّ لونٍ خالف لونًا فهو لُمعة، ويريد ابن قتيبة أنَّ الأشراف قلّة بالقياس إلى كثرة مَنْ ذكر من أصحاب المهن.

(5) درجوا: انقرضوا وبادوا.

(6) من هنا إلى قوله: «يطلق عليها اللخن»، ينقله صاحب العقد الفريد، 409/3–410، وصاحب بلوغ الأرب، 170/1، من هذا الكتاب باختلاف يسير.

(7) ينظر حول هذا الموضوع تاريخ الطبري، 272/1، ومروج الذهب، 261/1، والكامل في التاريخ، 102/1.

شاعرهم[1]:

فــي بـلــدة لــم تــصــلْ عُــكــلٌ بــهــا طُــنـبًــا

ولا خــــبــــاءً ولا عــــــكٌّ وهـــمـــــدانُ

ولا لـــجـــرمٍ ولا بـــــهـــــراء مــــن وطـــنٍ

لـكـنّــهــا لـبــنــي الأحــــــــرار أوطـــــــانُ

أرضـــــ تــبــنّــى بــهــا كــســرى مــنــاســكــه

فــمــا بــهــا مــن بــنــي الــلــخــنــاء إنسانُ[2]

فبنو الأحرار[3] عندهم العجم من ولد إسحاق، وإسحاق لسارة، وهي حرّة، وبنو اللخناء – عندهم – العرب؛ لأنَّهم من ولد إسماعيل، وإسماعيل لهاجر، وهي أمة. قالوا: واللخناء عند العرب: الأمَة. فالويل الطويل لهؤلاء، والبعد والثبور من هذه العداوة لأولياء الله، والأنباز القبيحة لصفوة الله. وقد غلطوا في التأويل على اللغة، وليس كلُّ أمة عند العرب لخناء، أي اللخناء من الإماء الممتهنة في رعي الإبل وسقيها، وجمع الحطب وحمله، واستقاء الماء والحلْب، وأشباه ذلك من الخدمة، كما يقال: الأمَة الوكعاء[4]، وليس كلُّ أمة وكعاء، وإنَّما قيل: لخناء؛ لنتن ريحها، ويقال: لخن السقاء يلخن لخنًا، إذا تغيّر ريحه وأنتن[5].

وأمّا مثل هاجر التي طهّرها الله من كلّ دنس، وطيّبها من كلّ دفَر[6]، وارتضاها للخليل

(1) هو أبو نواس. ويظهر من حديث ابن قتيبة أنَّه يَسلكه مع الشعوبيين صراحة، وينظر الفصل الذي عقده الدكتور خليل جفال في كتابه (الشعوبية والأدب) عن شعوبية أبي نواس، ص289، وما بعدها، فهو يقول مثلاً: «إنَّ خير مَنْ يمثِّل النزعة الشعوبية في الشعر هو الحسن بن هانئ، أبو نواس؛ لأنَّه يعطينا صورة حيَّة عن الحياة العباسية بكلّ تعقيداتها... ولأنَّه من جهة أخرى آمن بالشعوبية كمبدأ وكمنطلق لنهجه في الحياة».

(2) ديوانه، ص536، باختلاف، وهي بلا نسبة في العقد الفريد، 409/3، وهو ينقلها عن هذا الكتاب، ومعجم البلدان، 258/4، حيث يقول: «وقال بعض شعراء الفرس يمدح هذه البلاد».

(3) ينظر سيرة ابن هشام، 72/1، مع تعليق المحقّق، والعقد الفريد، 23/2.

(4) الوكعاء: الحمقاء.

(5) ينظر لسان العرب، 409/8و383/13.

(6) الدّفر: النتن وتغيّر الرائحة. والذَّفَر: شدّة ذكاء الريح من طيب أو نَتَن.

فراشًا، وللطَّيِّبَيْنِ إسماعيل ومحمد – عليهما الصلاة والسلامَ – أمًّا[1]، وجعلهما لها سلالة، فهل يجوز لملحد – فضلاً عن مسلم – أن يُطلق عليها اللخن؟ ولو لم يكن إلاّ أنَّ ملك القبط متّع بها سارة، وكانت أنفس إمائه عنده، وأحظاهن لديه، لقد كان في ذلك دليل على أنَّها لم تكن من الإماء اللُّخن، ولو جاز أن يُطلق على كلِّ أمة لخناء لجاز أن يقال لكلّ شريف ولدته أمة: هذا ابن اللخناء، كما يقال: هذا ابن الأمة. وقد ولدت الإماء الخلفاء، والخيار، والأبرار؛ مثل عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب[2]، والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق[3]، وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب[4].

حدّثني سهل بن محمد قال: حدَّثنا الأصمعي قال: كان أهل المدينة يكرهون اتخاذ أمهات الأولاد حتى نشأ فيهم الثلاثة[5]، ففاتوا أهل المدينة فقهًا وورعًا، فرغب الناس في السراري[6].

والنُّساب لا يعرفون لأهل فارس ولا للنبط في إسحاق بن إبراهيم حظًا؛ لأنَّ إسحاق تزوّج رفقا بنت ناحور بن تارح، وتارح هو آزر، ورفقا بنت عمِّه، ولدت له عيصو ويعقوب، توأمين توءمين في بطن واحد[7]، فيعقوب هو إسرائيل الذي ولد الأسباط كلَّهم،

(1) في تاريخ الطبري، 1/367–368، أنَّ هاجر كانت جارية قبطية لواحد من فراعنة مصر الأوائل، وينظر طبقات ابن سعد، 1/48.

(2) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، كان يقال له ذو الخيرتين، أمُّه ابنة يزدجرد، روى عن أبيه وعمه الحسن، وابن عباس، وغيرهم، كان ثقة مأمونًا ورعًا، كان مع أبيه يوم استشهد، يلقّب بزين العابدين، ينظر الفاضل، ص106، وتهذيب التهذيب، 7/304، وما بعدها، ونثر الدرّ، 1/339.

(3) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، أحد الفقهاء السبعة في المدينة، روى عن جماعة، وروى عنه خلق كثير، ثقة عالم ورع كثير الحديث، وصف بأنَّه لم يكن أحد أعلم بالسنَّة منه، ينظر تهذيب التهذيب، 8/333، وما بعدها، والأعلام، 6/15، مع مصادره.

(4) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، أحد فقهاء المدينة السبعة، من سادات التابعين وعلمائهم وثقاتهم، ولم يكن أحد في زمانه أشبه مَنْ مضى من الصالحين في الزهد والفضل منه. ينظر تهذيب التهذيب، 3/436، والأعلام، 3/114، مع مصادره، وفي العقد الفريد، 2/373: «كان القاسم بن محمد يلبس الخزّ، وسالم ابن عبد الله يلبس الصوف ويقعدان في مسجد المدينة، فلا ينكر هذا على هذا شيئًا، ولا ذا على هذا».

(5) هم الثلاثة المتقدّمون، وينظر الكامل، 2/645، ففيه خبر مهم عن سعيد بن المسيب، والممتع، ص344، والعقد الفريد، 6/128.

(6) الخبر في عيون الأخبار، 4/8، وتهذيب التهذيب، 3/437.

(7) ينظر تاريخ الطبري، 1/317، والكامل في التاريخ، 1/126.

وكانوا اثني عشر رجلاً[1]، وأولادهم جميعًا يُدعون بني إسرائيل، وهم أهل الكتاب، ليس لهؤلاء فيهم سبب ولا نسب، وعيصو هو أبو الروم[2]، وكان الروم رجلاً أصفر شديد الصفرة في بياض[3]، ومن أجل ذلك سُميَّت الروم بني الأصفر[4].

قالوا: وكانت أمُّ الروم بنت إسماعيل بن إبراهيم، وولد من الروم خمسة نفر، فكل مَنْ بأرض الروم من نسل هؤلاء الرهط[5].

قالوا: ولمّا سبقه يعقوب إلى دعوة إسحاق فصارت النبوة في ولده، دعا لعيصو بالنماء والكثرة، فالروم كلُّها من ولده[6]، وبعض الناس يزعم أيضًا أنِّ الأشبان[7] من ولده.

وقالوا: النبط بن ساروح بن أرغو بن فالغ بن عابر بن شالح بن أفرفخشد بن سام بن نوح، ويقال: إنّه ابن ماش بن سام بن نوح[8].

قالوا: وأهل فارس من ولد لاوذ بن أرم بن سام بن نوح، وكان كثير الولد فنزل أرض فارس، فأجناس الفرس كلُّهم من ولده[9]، فليس بين هؤلاء وبين إسحاق بن إبراهيم – على ما ذكر النّسابون – نسب يجمعهم إلاّ سام بن نوح، والناس يجتمعون في ولادة شيث ابن آدم، ثمّ في ولادة نوح ثمّ يتشعّبون، فولد نوح أربعة نفر: سام وحام ويافث ويام[10]. فأمّا يام فهلك بالطوفان فلا عقب له[11]، وهو الذي قال له أبوه: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا

(1) ينظر تاريخ الطبري، 317/1، ومروج الذهب، 340/1.
(2) المصدران السابقان، الجزء والصفحة.
(3) ينظر تاريخ الطبري، 317/1، ومروج الذهب، 340/1.
(4) ينظر المعارف، ص38.
(5) ينظر المعارف، ص38، والبرصان والعرجان، ص151، والكامل في التاريخ، 216/1.
(6) ينظر المعارف، ص38–39.
(7) في المعارف، ص39: (الأسبان)، وينظر تاريخ الطبري، 317/1، وفي رسائل الجاحظ، 219/1، أنَّ «كلّ مَنْ نزل الحَرَّة من غير بني سُليم كلُهم سود، وإنَّهم ليتخّذون المماليك للرعي والسقاء، والمهنة والخدمة من الأشبانيين ومن الروم نسائهم».
(8) ينظر المعارف، ص26، وما بعدها، والكامل في التاريخ، 79/1.
(9) ينظر تاريخ الطبري، 191/1، والكامل في التاريخ، 73/1.
(10) المصدران السابقان، الجزء والصفحة، والأخبار الطوال، ص1، ومروج الذهب، 52/1.
(11) ينظر العقد الفريد، 313/3، وتاريخ الطبري، 202/1، والكامل في التاريخ، 78/1، ومروج الذهب، 52/1، وفيها قصة اللعن.

تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1]، وأمّا حام فإنّ أباه لعنه، ودعا عليه بأن يكون عبدًا لأخويه، فخملت ذرّيته، وسقطت فيه[2]، فهم النوبة[3]، وفزّان[4]، والزغاوة[5]، وأجناس السودان، والسند[6]، والقبط[7].

وأمّا يافث فإنَّ أباه دعا له بالنماء والكثرة، فولَد الصقالب[8]، والترك، ويأجوج ومأجوج[9]، وأممًا عدد الرمل والحصى في مشارق الأرض.

فأمّا سام فبارك عليه، فأشراف الناس من ولده؛ فهم العماليق[10]، ومنهم الجبابرة، وفراعنة مصر، وملوك فارس. ومن ولد سام الأنبياء جميعًا بعد نوح، وهود، وصالح، وشعيب، وإبراهيم، ومن بعده إلى نبيّنا محمد عليه الصلاة والسلام. فالعرب وفارس يتساوون في هذه الجملة، وتفضلها العرب بعدها بأنّها من ولد إسماعيل بن إبراهيم، فهي

---

(1) هود، 42.

(2) ينظر العقد الفريد، 313/3، وتاريخ الطبري، 202/1، والكامل في التاريخ، 78/1، ومروج الذهب، 52/1، وفيها قصة اللعن.

(3) النوبة: جنس من السودان، ينظر رسائل الجاحظ، 216/1.

(4) فزّان: ولاية واسعة بين الفيوم وطرابلس الغرب، وقيل: سُميّت بفزّان بن حام بن نوح، والغالب على أهلها السواد.

(5) الزغاوة: بلد في جنوبي إفريقية بالمغرب، وهم جنس من السودان أيضًا، ينظر معجم البلدان، 159/3–160.

(6) السند: بلاد بين بلاد الهند وكرمان وسجستان، وقالوا: السند والهند كانا أخوين من ولد بوقير بن يقطن بن حام بن نوح، وهم جنس من السودان، ينظر معجم البلدان، 303/3، ورسائل الجاحظ، 216/1.

(7) القبط: قوم ينسبون إلى قبط بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح، ينظر معجم البلدان، 434/4، ويقول الجاحظ: «... والقبط جنس من السودان»، رسائل الجاحظ، 218/1، وفي العقد الفريد، 312/3، (النبط) بدل (القبط)، وفي الهامش: «في الأصول: القبط وهو تحريف»، وينظر المعارف، ص26، وفيه: (القبط)، وتاريخ الطبري، 202/1.

(8) الصقالب: ج الصقلاب: الرجل الأبيض أو الأحمر، وهم جيل حمر الألوان، صهب الشعور، يتاخمون بلاد الخزر في أعالي جبال الروم، وهم من أبناء يافث بن نوح، ينظر معجم البلدان، 472/3، ومروج الذهب، 3/2، وما بعدها.

(9) يأجوج ومأجوج: خَلْق من الناس يقال إنَّهم خمس وعشرون قبيلة، ورد ذكرهم في القرآن الكريم، وهم من نسل يافث، ويقال إنَّهم أمّة لها أربعمئة أمير، يتصفون بالقوة والقسوة، ينظر تفسير الطبري، 17/9، وما بعدها، وتفسير القرطبي، 56/11، وما بعدها، والموضوعات، 147/1.

(10) العماليق أو العمالقة: من العرب البائدة، ينسبون إلى عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح، وعمليق هذا شقيق طسم، ويذكر الأخباريون أنَّهم كانوا أممًا كثيرة سكنت بعضها صنعاء، وأخرى اتخذت من حدود مصر فطور سيناء إلى فلسطين موطنًا لها، ينظر المفصّل، 345/1، وما بعدها.

أدنى من خليل الله دناوة، وأمسُّ به رحمًا[1]، ثمّ تتساوى العرب وفارس في أنَّ الفريقين ملكوا، وتفضلها العرب بأنَّ قواعد ملكها نبوة، وقواعد ملك فارس استلاب وغلبة، وتفضلها العرب بأنَّ مُلكها ناسخ، ومُلك فارس منسوخ، وتفضلها بأنَّ ملكها متّصل بالساعة، ومُلك فارس محدود، وتفضلها العرب بأنَّ ملكها واغل في أقاصي البلاد، داخل في آفاق الأرض، وملك فارس شظيّة منه، ليس فيه الشام ولا الجزيرة، ولا خراسان في أكثر مددهم، ولا اليمن إلاّ في أيام وَهْرز[2]، وسيف بن ذي يزن.

ومن عجب[3] أمرهم أيضًا فخرهم على العرب بآدم، يقول النبي ﷺ: «لا تفضّلوني عليه فإنَّما أنا حسنة من حسناته»[4]، ثمّ بالأنبياء، وأنّهم من العجم إلاّ أربعة نفر: هود، وصالح، وشعيب، ومحمد ﷺ، وفي هذا القول وضع الفخر على غير أساس – ومَن أسّس بنيانه على الباطل والغرور أوشك أن يتداعى، وأن يخرَّ – وظلم للعرب فاحش.

ومنه ادعاؤهم آدم، كأنَّ العرب ليسوا من ولده، ومنه انتحالهم موسى، وعيسى، وزكريا، ويحيى، وأشباههم من بني إسرائيل، وليس بين فارس وبني إسرائيل نسب على ما بيَّنت لك.

ومنه دفعهم العرب عن قُربهم بهؤلاء الأنبياء، وهم بنو عمومتهم وعَصبتهم؛ لأنَّ العرب بنو إسماعيل بن إبراهيم بإجماع الناس، فهم بنو أخي إسحاق بن إبراهيم، وأولى به وأحقُّ بشرفه، وأولى بموسى، وعيسى، وداود، وسليمان، وجميع الأنبياء من ولده. وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[5]، فآل إبراهيم هم ولد إسحاق، وولد إسماعيل، ثمّ قال: ﴿ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾[6]، فأعلَمنا أنَّ العرب وبني

---

(1) ينظر المعارف، ص26، وما بعدها، والعقد الفريد، 312/3، ففيها تفصيل عن سام وذرّيته، وينظر تاريخ الطبري، 203/1.

(2) وهرز: قائد فارسي، بعث به كسرى مع سيف بن ذي يزن ليعينه على استرداد ملكه من الحبشة، ينظر المعارف، ص638و664، ورسائل الجاحظ، 201/1و290/2و346.

(3) من هنا إلى قوله: «... عليه وسلّم» ينقله صاحب العقد الفريد، 409/3، وصاحب بلوغ الأرب، 170/1 عن هذا الكتاب باختلاف يسير.

(4) في سنن أبي داود، 520/2: «لا تخيّروني على موسى...».

(5) آل عمران، 33.

(6) آل عمران، 34

إسرائيل شيء واحد في النسب. وفيما أوحى الله إلى موسى: «إنّي سأقيم لبني إسرائيل من إخوتهم مثلك أجعل كلامي على فيه»[1]، يريد أنّه يقيم لهم من العرب نبيًا مثل موسى، يعني نبيّنا محمدًا ﷺ، وهذا علم من أعلامه، وحجّة من حججنا على أهل الكتاب من كتبهم.

فإن قالوا في ذلك: إنَّه يقيم لهم من بني إسرائيل نبيًّا مثل موسى، وقالوا: إنَّ بني إسرائيل بعضهم إخوة بعض، أكذبهم النظر؛ لأنّه لو أراد ذلك لقال لهم: من أنفسهم، ومنهم. كما أنَّ رجلاً لو أراد أن يبعث رسولاً من خندف لم يقل سأبعث رسولاً من إخوة خندف. فإن كان دفْعُهم ولد إسماعيل عن تشابك نسبهم بولد إسحاق لنزول إسماعيل الحرم ونكاحه في جرهم[2]، فإنَّ الديار قد تتناءى، والمحالَّ قد تتباين، والرجل قد ينكح في البعد، وقد يولد له من الإماء، ولا تنقطع الأرحام والأنساب، وإن كان إسماعيل نطق بالعربية فليس اختلاف الناس في الألسنة يخرجهم عن نسب آبائهم، وإخوانهم، وعشائرهم، فهؤلاء أهل السريانية قد خالفوا في اللسان أهل العبرانية، وهذه الروم كفرت بالله – ولا شيء أقطع للعصمة من الكفر – وتكلّمت بالرومية، ورغبت عن لسان آبائها، وليس ذلك بمخرجها عن ولادة إسحاق بن إبراهيم، على أنَّ إسماعيل[3] لم يكن أوّل مَنْ نطّق بالعربية، وإنَّما تعلَّمها[4]، وإنَّما أصل العربية لليمن؛ لأنَّهم من ولد يعرب بن قحطان. وكان يعرب أوّل مَنْ تكلّم بالعربية حين تبلبلت الألسنة ببابل، وسار حتى نزل اليمن في ولده، ومَنْ تبعه من أهل بيته[5]، ثمّ نطق بعده ثمود بلسانه، وشخص حتى نزل الحِجر[6].

حدَّثني أبو حاتم قال: حدّثني الأصمعي قال: أخبرني أبو عمرو بن العلاء قال: تسع

---

(1) جاء في التوراة السامرية، ص318: «كاملاً تكون مع الله آلهك... نبيًا أقمت لهم من جملة إخوتهم مثلك، وجعلت خطابي بفيه، فيخاطبهم بكلّ ما أوصيه». سفر تثنية الاشتراع. الإصحاح الثامن عشر. وتنظر مقدمة تحقيق هذه التوراة؛ ففيها حديث مستفيض عن البشارة بنبوة رسول الله ﷺ.

(2) تنظر قصة النكاح في تاريخ الطبري، 256/1، والكامل في التاريخ/104.

(3) من هنا إلى رجز العجاج القادم ينقله صاحب الزينة بحروفه حيث يقول: «قال عدّة من العلماء، أحدهم عبد الله بن مسلم بن قتيبة، واللفظ له...»، غير أنَّه لم يُشر إلى الكتاب الذي ينقل عنه، ينظر الزينة، 141/1، وما بعدها.

(4) ينظر تفصيل هذا الأمر في المفصَّل، 538/8، وما بعدها مع مصادره.

(5) ينظر تفصيل هذا الأمر في المفصَّل، 14/1، وما بعدها، و362/1، وما بعدها مع مصادره.

(6) الحِجْر: ديار ثمود ناحية الشام عند وادي القُرى، وهي غير الحَجْر – بسكون الجيم – فهذه قصبة اليمامة، ينظر معجم البلدان، 368/1، والمعارف، ص27، ولسان العرب، 170/4، والمفصّل، 310/1، وما بعدها مع مصادره.

قبائل قديمة: طَسم، وجديس، وعهنية، وضجم (بالجيم والحاء)[1]، وجعم، والعماليق، وقحطان، وجرهم، وثمود[2].

وحدَّثني أبو حاتم قال: حدَّثنا الأصمعي قال: حدَّثنا ابن أبي الزِّناد عن رجل من جرهم قال: نحن بدء الخلق لا يشركنا أحد في أنسابنا[3].

يقول: من قدمنا فهؤلاء قدماء العرب الذين فتق الله ألسنتهم بهذا اللسان، وكانت أنبياؤهم عربًا: هود، وصالح، وشعيب.

حدَّثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبّه أنَّه سُئل عن هود: أكان أبا اليمن الذي ولَدهم؟ قال: لا، ولكنّه أخو اليمن في التوراة، فلمّا وقعت العصبية بين العرب، وفخرت مُضر بأبيها إسماعيل، ادّعت اليمن هودًا ليكون لهم والدٌ من الأنبياء[4].

قال: وأمّا شعيب من[5] ولد رهطٍ من المؤمنين تبعوا إبراهيم، لمّا هاجر إلى الشام، ولم يكن يثبت لهم نسب في بني إسرائيل، ولم تكن مدين قبيلة، ولكنّها أمة بُعث إليها[6]، فلمّا بوّأ الله إسماعيل الحرم – وهو طفل – وأنبط له زمزم، مرَّت به من جُرهم رفقة، فرأوا ما لم يكن يعهدونه، وأخبرتْهم هاجر بنسب الصبي، وحاله، وما أمر الله أباه فيه وفيها، فتبرّكوا بالمكان، ونزلوه وضمّوا إليهم إسماعيل، فنشأ معهم، ومع ولدانهم، ثمّ أنكحوه، فتكلّم بلسانهم[7]، فقيل: نطق بالعربية، إلاّ أنَّ الياء زيدت في الاسم فحذفت في النسب، كما تُحذف أشياء من الزوائد وغيرها، كما تُغيَّر أشياء عن أصولها، والدليل على أنَّ أصل اللسان لليمن أنّهم يقال لهم: العرب العاربة، ويقال لغيرهم: العرب المتعرّبة، يراد الداخلة

(1) القوسان وما بينهما في المطبوع.

(2) ينظر عن هذه القبائل، المفصَّل، 294/1، وما بعدها مع مصادره، وهي التي تُسمّى بالعرب البائدة، أو العاربة.

(3) وهي التي يسميّها النّسابون والأخباريون (جرهم الأولى)، تمييزًا لها عن (جرهم الثانية) القحطانية، ينظر المفصّل، 345/1.

(4) ينظر تفصيل هذا الأمر من حيث الاختلاف والتنازع، في المفصَّل، 313/1، وما بعدها، و356/1، وما بعدها، مع مصادره.

(5) لعلَّ الأوجه إضافة فاء إلى (من) لتصبح: وأمّا شعيب فمن ولد...، وبها يستقيم الكلام.

(6) ينظر تاريخ الطبري، 325/1، وفيه أنَّ شعيبًا «بُعث إلى أمتين: إلى قومه أهل مدين، وإلى أصحاب الأيكة»، والكامل في التاريخ، 157/1.

(7) ينظر تفصيل هذا الأمر في تاريخ الطبري، 254/1، وما بعدها، والكامل في التاريخ، 102/1، وما بعدها.

في العرب، المتعلّمة منهم. وكذلك معنى التفعّل في اللغة، يقال: تنزّر الرجل: إذا دخل في نزار، وتمضَّر: إذا دخل في مضر، وتقيّس: إذا دخل في قيس، قال الشاعر[1]:

وقيس عيلان ومَنْ تقيَّسا[2]

ولو كان كلُّ من تعلّم لسانًا غير لسان قومه ونطق به خارجًا من نسبهم، لوجب أن يكون كلُّ مَنْ نطق بالعربية من العجم عربيًا.

وسأقول في الشرف بأعدل القول، وأبيّن أسبابه، ولا أبخسُ أحدًا حقّه، ولا أتجاوز به حدّه، فلا يمنعني نسبي في العجم أن أدفعه عمّا تدَّعيه لها جهلتها، وأثني أعنَّتها عمّا تقدّم إليها سفْلَتُها[3]، وأختصر القول، وأقتصر على العيون والنّكت، ولا أعرض للأحاديث الطوال في خُطب العرب، وتعداد أيامها، ووفدات أشرافها على ملوك العجم ومقاماتها، فإنَّ هذا وما أشبهه قد كثر في كتب الناس حتى أخلق، ودرس حتى مُلَّ، لاسيما وأكثر هذه الأخبار لا طريق لها، ولا نُقلت من الثقات، والمعروفين أيضًا، تُخبر عن التكلّف، وتدلّ على الصنعة، وأرجو ألا يطَّلع ذوو العقول وأهل النظر منّي على إيثار هوى ولا تعمُّدٍ لتمويه، وما أتبرأ بعده من العثرة والزلَّة، إلاّ أن يوفقني الله، وما التوفيق إلاّ به.

وعَدلُ القول في الشرف أنَّ الناس لأب وأم، خُلقوا من تراب، وأعيدوا إلى التراب، وجروا في مجرى البول، وطُووا على الأقذار، فهذا نسبهم الأعلى الذي يردع أهل العقول عن التعظيم والكبرياء، ثمَّ إلى الله مرجعهم فتنقطع الأسباب، وتبطل الأحساب، إلاّ مَنْ كان حسبه تقوى الله، وكانت ماتَّته[4] طاعة الله[5].

---

(1) هو العجّاج الراجز.

(2) ديوانه، ص138.

(3) هذا كلام نفيس يومئ إلى منهج سديد، وإنصاف جميل، وهو ليس بغريب على مَنْ كان مثل ابن قتيبة: دين ثخين، وعلم واسع.

(4) الماتَّة: الحرمة والوسيلة والسبب.

(5) نقل صاحب العقد الفريد، 412/3، من قوله: «وعدل القول...» إلى «... طاعة الله»، ويسوق قول «بعض مَنْ يرى رأي الشعوبية فيما يردّ به على ابن قتيبة» في هذا الموضع، وهو قوله: «وما رأيت أعجب من ابن قتيبة في كتاب تفضيل العرب، إنَّه ذهب فيه كلَّ مذهب من فضائل العرب، ثم ختم كتابه بمذهب الشعوبية، فنقض في آخره كلَّ ما بنى في أوله، فقال في آخر كلامه: وأعدل القول عندي أنَّ الناس...»، أقول ليس هناك من نقض للكلام الأول كما يرى ذلك الشعوبي، إنَّما هو خلق الإسلام الذي تأدّب به ابن قتيبة؛ ذاك الذي يولي الدنيا نصيبًا غير أنَّ الآخرة في فكره وقلبه دومًا لا ينساها.

وأمّا النسب الأدنى الذي يقع فيه التفاضل بين الناس في حكم الدنيا، فإنّ الله خلق آدم من قبضة جميع الأرض[1]، وفي الأرض السهل والحَزْن، والأحمر والأسود، والخبيث والطيّب. يقول الله عزّ وجل: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾[2]، فجرت طبائع الأرض في ولده، فكان ذلك سببًا لاختلاف غرائزهم؛ فمنهم الشجاع والجبان، والبخيل والجواد، والحييّ[3] والوقاح[4]، والحليم والعجول، والدَّمث والعبوس، والشكور والكفور.. وسببًا لاختلاف ألوانهم وهيئاتهم؛ فمنهم الأبيض والأسود، والأسمر والأحمر، والأقشر[5] والوسيم، والخفيف على القلوب والثقيل، والمحبَّب إلى الناس من غير إحسان، والمبغَض إليهم من غير ذنوب.. وسببًا لاختلاف الشهوات والإرادات؛ فمنهم مَنْ يميل به الطبع إلى العِلم، ومن يميل به إلى المال، ومَنْ يميل إلى اللهو، ومَنْ يميل به إلى النساء، ومَنْ يميل به إلى الفروسية. ثمّ يختلفون أيضًا في ذلك؛ فمنهم مَنْ يُسرع إلى فَهْمه الفقه ويبطئ عنه الحساب، ومنهم مَنْ يعلق بفهمه الطبُّ وينبو عنه النجوم، ومنهم من يتيسَّر له الدقيق الخفيُّ ويعتاص عليه الواضح الجليُّ، ومنهم مَنْ يتعلَّم فنًّا من العِلم فيرسخ في قلبه رسوخ النَّقر في الحجر، ويتعلَّم ما هو أخفُّ منه فيدرس[6] دروس الرَّقم[7] على الماء.

ومِنْ طَلَبة المال مَنْ يطلبه بالتجارة، ومَنْ يطلبه بالجراية[8]، ومَنْ يطلبه بالسلطان، ومَنْ يطلبه بالكيمياء، فيتلف بالطمع الكاذب والتماس المُحال أثلة[9] المال.

---

(1) ينظر عن خلق آدم، واختلاف طبائع البشر، تاريخ الطبري، 90/1، وما بعدها، والكامل في التاريخ، 27/1، وما بعدها.

(2) الأعراف، 58.

(3) في المطبوع: (والحيّ)، ولا معنى لها هنا، والحييّ: ذو الحياء؛ نقيض الوقاح.

(4) الوقاح: قليل الحياء.

(5) الأقشر: شديد الحمرة.

(6) يدرس: يندثر ويبلى.

(7) الرَّقم: الكتابة والختم.

(8) الجراية: الجاري من الوظائف، المستمر.

(9) أثلة كلّ شيء: أصله، أي يذهبُ المال كلّه.

ومِنْ طلبة النساء مَنْ يريد المهفهفة[1]، ومَنْ يريد الضناك[2]، ومَنْ يريد الغِرَّة الصغيرة، ومَنْ يريد النَّصَف[3] الوثيرة، وأعجب من هذا مَنْ حُبِّب إليه العجوز[4]، قال الشاعر:

عــجــوزٌ عـلـتـهـا كَــبــرةٌ ومــلاحــةٌ
أقــاتــلــتــي يــا لــلــرجــال عــجــوزُ

عــجــوزٌ لَــوَ انَّ الــمــاء مِــلــكُ يمينها
لــمــا تــركــتــنــا بــالــمــيــاه نــجــوزُ[5]

ومن لؤم الغرائز أنَّ من الناس مَنْ يُحبُّ الذمَّ كما يُحبُّ غيره المدح، ويرتاح للهجاء كما يرتاح غيره للثناء، ومنهم مَنْ يُغرى بذم قومه، وسب نفسه وآبائه، وشتم عشيرته؛ منهم عميرة بن جعل التغلبي[6]، وهو القائل:

كــســا الله حــيَّــي تــغــلــب ابــنــة وائــلٍ
مــن الــلــؤم إصــغــارًا بــطــيــئًا نصولها[7]

---

(1) المهفهفة من النساء: الضامرة البطن.

(2) الضناك من النساء: الضخمة المكتنزة الصلبة اللحم.

(3) النّصف في النساء: بين الشابة والكهلة.

(4) في الشعر والشعراء، 702/2، أنَّ أبا وجزة السعدي أحد مَنْ شبّب بعجوز، وينظر خزانة الأدب، 182/4.

(5) البيتان في عيون الأخبار، 44/4، وفيه: (عليها كرَّة)، ويعلِّق المحقّق بقوله: «كذا بالأصل، ولعلَّ صوابه: عجوز علتها كبرة وملاحة»، والأوائل، 27/2 باختلاف.

(6) في المطبوع: (عُميرة بن جُعيل) بضمّ العين، وهو شاعر جاهلي، وأثبتنا ما في المفضليات، ص257، إذ ساق المحققان الفاضلان أقوالاً مختلفة في اسمه، وانتهيا إلى هذا الاسم، وفي الشعر والشعراء، 650/2: «... وهو أحد مَنْ هجا قومه».

(7) المفضليات، ص257، وينظر التخريج هناك.

ومنهم الحرمازي[1]، وهو القائل:

إنَّ بني الحرماز قومٌ فيهمُ

عجزٌ وتسليطٌ على أخيهمُ

فابعثْ عليهم شاعرًا يخزيهمُ

يعلم منهم مثل علمي فيهمُ[2]

ومنهم النحيف[3]، وهو القائل في أمّه:

يا ليتما أمُّنا شالت نعامتُها

أيما إلى جنَّة أيما إلى نارِ[4]

ليست بشبعى ولو أسكنتها هجراً

ولا بريا ولو حلَّت بذي قارِ

تلهَّمُ الوَسْقَ مشدودًا أشظَّته

كأنَّما وجهها قد طُلْيَ بالقارِ[5]

---

(1) الحرمازي: هو عبد الله بن الأعور الملقَّب بالكذاب الحرمازي، شاعر، راجز، له حديث طويل مع العجّاج الراجز، كان يهجو قومه، ويكثر من الكذب، فغلبت هذه الصفة عليه، ينظر: الشعر والشعراء، 2/684–685، والمؤتلف والمختلف، ص170، والبيان والتبيين، 3/276، والحيوان، 3/484، ومجمع الأمثال، 1/74، وجمهرة الأمثال، 1/450.

(2) نُسب الشعر له في الشعر والشعراء، 2/685، والمؤتلف والمختلف، ص170، باختلاف يسير، وينظر هامش البيان والتبيين، 3/276.

(3) في المطبوع: (القحيف) بالقاف، وهو خطأ مطبعي، وقد أثبتنا الصواب (النحيف) بالنون، وهو لقب سعد بن قُرط من عبد القيس، قال هذه الأبيات يردّ فيها على أمّه بعد أن عذلته في امرأة تزوّجها لم تكن لترضاها له، ينظر شرح التبريزي للحماسة، 4/352، وخزانة الأدب، 11/88، وشرح شواهد المغني للسيوطي، 1/186، وفيه: (النحيت الحدري)، مع مصادره.

(4) في المطبوع: [إيما]، وقد أثبنا [أيما]، وفي الخزانة، 11/86، حديث طويل عن هذا الموضوع فلينظر هناك.

(5) يقول محقّق خزانة الأدب، 11/88: إنّ تسكين عين الثلاثي المبني للمجهول في (طُلي)، و(سفع) لغة لبكر بن وائل، وناس كثير من بني تميم، والوَسْق: حمل بعير من الطعام أو التمر. والأشظة: جمع شظاظ؛ وهو عود يُجعل في عروة الجوالقين إذا وُضعا على البعير، يريد أنّها لشدّة نهمها تأكل حمل بعير كاملاً غير منقوص.

خرقاء في الخير لا تُهدى لوجهته

وهْيَ صَنَاعُ الأذى في الأهل والجارِ(1)

ومنهم الحطيئة، هجا أباه، وأمَّه، ونفسه، فقال في أمِّه:

تنحَّيْ فاقعدي منّي بعيدًا

أراح الله منكِ العالمينا

ألم أوضح لك البغضاء منّي

ولكنْ لا إخالكِ تعقلينا

أغربالاً إذا استودعتِ سرًّا

وكانونًا على المتحدّثينا(2)

وقال لأبيه:

لحاكَ الله ثمّ لحاكَ حقًّا

أبًا ولحاكَ من عمٍّ وخالِ

فبئس الشيخ أنت على المخازي

وبئس الشيخ أنت لدى المعالي(3)

جمعت اللؤم - لا حيّاك ربِّي -

وأبواب السفاهة والضَّلالِ(4)

---

(1) الأبيات باختلاف يسير منسوبة إلى النحيف في: حماسة أبي تمام، ص632-633، وشرح الحماسة للتبريزي، 354/4، الأبيات الثلاثة الأولى، وزيادات مجالس ثعلب، وينقلها المحقّق من شرح شواهد المغني للسيوطي، تنظر مجالس ثعلب، 740/2، وشرح الشواهد، 181/1، وفيه: «كانت امرأة من عبد القيس لها ابن يقال له سعد بن قرط، يلقّب النحيت الحدري، يعقّها، وكان شريرًا، فقال يهجوها...»، وساق الأبيات، وخزانة الأدب، 88/11.

(2) ديوانه، ص100، باختلاف في ترتيب الأبيات.

(3) في الديوان: (فنعم) بدل (فبئس)الأولى، ولعلَّ رواية الديوان أصوب.

(4) ديوانه، ص334، باختلاف يسير.

وقال لنفسه:

أبـــت شـــفـــتـــاي الـــيـــومَ إلاّ تـكـلُّـمـا

بـشـــرّ فـمـا أدري لـمـن أنـــا قـائـلُـهْ

أرى لـــيَ وجـــهًـــا شـــوَّه الله خـلـقـه

فـقُـبِّـح مــن وجــه وقُـبِّـح حاملُهْ[1]

وأتى عتيبة بن النّهاس العجلي مادحًا، فقال عتيبة لوكيله: اذهب معه إلى السوق فلا يشيرنَّ إلى شيء، ولا يسومنَّ به إلاّ اشتريته له[2]. فلمّا انصرف عنه قال:

سُـئـلـتَ فـلـم تـبـخـلْ ولـم تُـعـطِ طـائـلاً

فـسـيّـان لا ذمٌّ عـلـيـك ولا حمدُ[3]

ومن لؤم الغرائز أيضًا في الناس[4] أنَّ منهم مَنْ يؤثر ريح الكراييس[5] على ريح اليلنجوج[6]، وريح الحشوش[7] على نفحات الورد، ويهتاج من النساء لذات القبح والدفر[8]، ويكسل عن الحسناء ذات العطر.

ومنها أنَّ الرجل يكون في رخاء بعد بؤس، وسعة بعد ضيق، فيسأم ما هو فيه، ويرغب

---

(1) ديوانه، ص333.

(2) في الديوان، ص266، هو عتيبة بن النّهاس العجلي، من أشرف وجوه بكر بن وائل، وينظر الشعر والشعراء، 324/1، والأغاني، 139/2–140، والعقد الفريد، 283/1، وخزانة الأدب، 410/2، وما بعدها.

(3) ديوانه، ص268.

(4) يستأنف ابن قتيبة كلامه الذي استطرد منه إلى آخر؛ وهو الحديث عن اختلاف طبائع البشر.

(5) الكراييس: في المطبوع: (الكرابيس)، بباء فياء، وهو تحريف؛ إذ الكرابيس مفردها الكرباس وهو القطن، ولا معنى لها هنا، أمّا الكراييس بياءين، فمفردها الكرياس وهو الكنيف الذي يكون مشرفًا على سطح بقناة إلى الأرض، فإذا كان أسفل فليس بكرياس، وسمّي كرياسًا لما يعلق به من الأقذار فيركب بعضه بعضًا ويتكرَّس، ينظر لسان العرب، 194/6–195، والحيوان، 468/5 ففيه فقرة عن (اشتهاء ريح الكرياس)، وبهذا المعنى يستقيم كلام ابن قتيبة.

(6) اليلنجوج: عود طيب الريح، وهو ممّا يُتبخَّر به.

(7) الحشوش: الكُنُف، ومواضع قضاء الحاجة.

(8) الدفر: نتن الرائحة.

عنه إلى ما كان عليه. وقال أعرابي قدم المصر فحسنت حاله[1]:

أقــــول بـالـمـصـر لـمّـا ســاءنـي شبعي
ألا ســبـيـل إلـــى أرضـــٍ بـهـا جـــوعُ
ألا ســبـيـلَ إلـــى أرضـــٍ بـهـا غَـــرَثٌ
جـــوع يـصــدَّع مـنـه الــرأس يَــرْقــوعُ[2]

وهذا وأشباهه من لئيم الغرائز كثير في الأمم، وهذه الطبائع هي أسباب الشرف وأسباب الخمول، فذو الهمَّة تسمو به نفسه إلى معالي الأمور، وترغب به عن الشائنات فيخاطر في طلب العظيم بعظيمته[3]، ويستخفُّ في ابتغاء المكارم بكريمته[4]، ويركب الهول، ويدَّرع الليل، ويحطُّ إلى الحضيض، وتأبى نفسه إلاّ علوًا حتى يسعد بهمَّته، ويظفر ببغيته، ويحوز الشرف لنفسه وذرّيته، ومَنْ لا همَّة له جثَّامةٌ لُبد[5]، يغتنم الأكلة ويرضى بالدون، ويستطيب الدَّعة، وإن أَعْدم لم يأنف من ذُلِّ السؤال، والجبان يفرّ عن أمِّه وأبيه، وصاحبته وبنيه، والشجاع يحمي مَنْ لا يناسبه بسيفه، ويقي الجار والرفيق بمحبَّته، والبخيل يبخل على نفسه بالقليل، والجواد يجود لمن لا يعرفه بالجزيل. وقال الله عز وجل: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾**﴾[6]، يريد قد أفلح من أنمى نفسه بالمعروف وأعلاها، وقد خاب مَنْ أسقطها بلئيم الأخلاق وأخفاها.

وقد يكون الرجل مخالفًا لأبيه في الأخلاق، وفي الشمائل، أو في الهمم، أو في جميع ذلك، لعرق نزعه من قبل أجداده لأبيه وأمِّه، وقال الشاعر[7]:

---

(1) في عيون الأخبار، 222/3: «اشتاق أعرابي بالبصرة إلى البادية»، وساق البيتين.
(2) البيتان بلا نسبة في عيون الأخبار، 222/3، وفيه: (عُرُس) بدل (غرث)، ويعلق مصحّح الكتاب بقوله: «كذا بالأصل، ولعلّها غَرَث – بالغين المعجمة والثاء المثلثة – بمعنى الجوع ليناسب المقام»، ويرقوع: شديد، وفي جمهرة الأمثال، 259/1 الأول وحده، باختلاف يسير.
(3) العظيمة: النازلة الشديدة.
(4) الكريمة: جمعها كرائم، وهي نفائس الأموال التي تتعلّق بها نفس مالكها.
(5) جثّامة لُبَد: الذي يلزم مكانه لا يبرحه، ولا يطلب معاشًا.
(6) الشمس،9 – 10.
(7) هو العباس بن مرداس السُّلمي، كما في الحيوان، 463/6، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، من شعراء سليم المتقدمين، وأحد فرسانهم، أمّه الخنساء الشاعرة. توفيّ في خلافة عثمان ﷺ، تنظر مقدمة ديوانه مع مصادرها.

وأشْـــبــهـــتَ جَــــدَّك شـــرَّ الــجـدو

د، والــعِـــرْق يـســري إلـــى النائمِ[1]

ومن الناس الشريف الحسيب، وذلك الذي جمع إلى محاسن آبائه محاسن نفسه، ومنهم الشريف ولا حسب له، وذلك إذا كان لئيم النفس، ومنهم مَنْ لا شرف له ولا حسب، وذلك إذا كان لئيم النفس، لئيم السلف.

وقال قس بن ساعدة: لأقضينَّ بين العرب قضية ما قضى بها أحد قبلي، ولا يردُّها أحد بعدي: أيّما رجل رمى رجلاً بملأمة دونها كرم فلا لوم عليه، وأيّما رجل ادّعى كرمًا دونه[2] لؤم فلا كرم له. يعني أنَّ أوْلى الأمور بالمرء خصاله في نفسه؛ فإن كان شريفًا في نفسه وآباؤه لئام لم يضرّه ذلك، وكان الشرف أولى به، وإن كان لئيمًا في نفسه وآباؤه كرام لم ينفعه ذلك.

ومثله قول عائشة[3]: كلُّ شرف دونه لؤم فاللؤم أولى به، وكلُّ لؤمٍ دونه شرف فالشرف أولى به، وقال الشاعر في مثله:

ومَــــنْ يـــكُ ذا لــــؤم ومــجــدٍ يـعـدُّه

فـــأولـــى بـــه مـــن ذاك مـــا كـــان أقـــربـــا

فـــلا لــــؤم عـــــودًا بــعـد مـجـد يـهـدُّه

ولا مـجـدَ مـعــدودًا إذا الــلــؤم عقّبـا

والحسَب مأخوذ من قولك: حسبت الشيء أحسبه حسبًا إذا عددته. وكان الرجل الشريف يحسب مآثر آبائه، ويعدُّهم رجلاً رجلاً، فيقال: لفلان حسب؛ أي آباء يُعدّون،

(1) ديوانه، ص147، وعجز البيت من أمثالهم، ينظر مجمع الأمثال، 411/2.

(2) في المطبوع: (دوله)، وهو خطأ مطبعي.

(3) القول في الفاضل، ص7 باختلاف، والعقد الفريد، 291/2 و411/3، وقدّم صاحب العقد شرحًا هو: «تريد أنَّ أولى الأمور بالإنسان خصال نفسه، فإن كان كريمًا وآباؤه لئام لم يضرّه ذلك، وإن كان لئيمًا وآباؤه كرام لم ينفعُه ذلك»، وهو يقترب من كلام ابن قتيبة السابق.

وفضائل تُحسب[1]، فالمصدر مسكَّن، والاسم مفتوح، كما تقول: هدمت الحائط هدْمًا، فتسكّن المصدر، وتقول: لِما سقط إلى الأرض: هَدَمٌ، فتفتح الدّال من الاسم.

وكذلك الأمم: فيها أمَّة كرم بلبانها[2]، كالعرب؛ فإنَّها لم تزل في الجاهلية تتواصى بالحلم، والحياء، والتذمُّم، وتتعاير بالبخل، والغدر، والسَّفه، وتتنزَّه من الدناءة، والمذمَّة، وتتدرَّب بالنجدة، والصبر، والبسالة، وتوجب للجار من حفظ الجوار ورعاية الحق فوق ما توجبه للحميم والشقيق؛ فربما بذل أحدهم نفسه دون جاره، ووقى ماله بماله،وقتل دون حميمه، ومنهم كعب بن مامة[3]، وكان إذا جاوره جار فمات بعض لُحمته وداه[4]، وإذا مات له بعير، أو شاة أعطاه مكان ذلك مثله.

ومنهم عمير بن سَلمى الحنفي[5] أحد أوفياء العرب، وكان له جار فخالفه أخوه قُرين إلى امرأته، فاشتدَّ الرجل في حفظ امرأته فقتله، وكان عمير غائبًا، فلمّا قدم وخُبِّر بذلك، دفع قُرينًا إلى ولي المقتول فقتله، واعتذر إلى أمِّه، وعِظَم جُرمه، فقالت[6]:

تــعـــدُّ مــــعـــــاذرًا لا عـــــذر فـيـهـا

ومَــــــنْ يـقــتــل أخــــــاه فـقــد ألامـــــا[7]

ومن أعجب أمرٍ في الجوار قصّة أبي حنبل، جارية بن مرّ[8]، وكان الجراد سقط بقرب

---

(1) ينظر لسان العرب، 310/1.

(2) بلبانها: بأصولها.

(3) كعب بن مامة من أجواد العرب المشهورين، وعدّه أبو عبيدة واحدًا من ثلاثة هم أجواد العرب. ينظر الديباج، ص23، والشعر والشعراء، 241/1، والوسيط في الأمثال، ص66، ففيه كلام قريب من هذا الذي ساقه المؤلف.

(4) اللُّحمة: القرابة. وداه: دفع ديته.

(5) عُمير بن سلمى الحنفي أحد أوفياء العرب الثلاثة، وأحفظُهم لجاره، وهو شاعر أيضًا. ينظر الديباج، ص46، والمحبّر، ص351، ومعجم الشعراء، ص343.

(6) اسمها (حُسينة)، كما في الديباج، ص55.

(7) الخبر والبيت في المحبَّر، ص251–352، وجعله ابن حبيب في (الوافون من العرب)، والديباج، ص54، والكامل، 463/1، ولسان العرب، 588/12، والعجز وحده بلا نسبة في غريب القرآن، ص422، والقرطين، 140/2، وألام: أتى ما يُلام عليه، والبيت وحده في تمام المتون، ص259.

(8) في المطبوع: (حارثة)، وهو تحريف. جارية بن مرّ الطائي من المشهورين بالوفاء والمنعة، وكان يلقّب بمجير الجراد كما سنرى، ويوصف بدقة الساق. ينظر البرصان والعرجان، ص284، مع مصادر المحققّ، وينظر المزيد من أخباره، ومصادرها في شعر طيئ، 382/2، وتمام المتون، ص263.

بيته، فقصده الحي لصيده، فلمّا رآهم قال: أين تريدون؟ قالوا: نريد جارك هذا. فقال: أيّ جيراني؟ قالوا: الجراد. فقال: أمّا إذا جعلتموه لي جارًا فوالله لا تصلون إليه[1]. ثمّ منع منه حتى انصرفوا[2]، ففخر بعضهم فقال[3]:

لــنــا هــضْـــبــةٌ ولـــنـــا مــعــقِـلٌ   **صــعــدنــا إلـيـــه بــصُـــمّ الـصـــعــادِ**

مــلــكــنــاه فـــي أولــــيــــاتِ الــزمــا   **نِ مــن بــعــد نـــوحٍ ومـــن بــعــد عــادِ**

ومـــنَّـــا ابــــنُ مـــرّ أبــــو حــنــبــلٍ   **أجـــار مــن الـنــاس رَجْــــلَ الــجــرادِ**

وزيـــــــدٌ لـــنـــا ولــــنــــا حـــاتـــمٌ   **غـيـاثُ الــورى فـي الـسـنـين الشدادِ**[4]

وقال قيس بن عاصم[5] يذكر قومه:

لا يــفــطــنــون لــعــيـــبِ جـــارهـــمُ   **وهـــمُ لـحـفـظ جـــــوارِه فُــطُـــنُ**[6]

---

(1) ومثله صنيع مالك بن أدهم الباهلي الذي خرج يتصيّد، فأثار، أصحابه ثعبانًا فدخل خيمته، وأراد أصحابه قتله فقال لهم: «قد استجار بي فأجيروه، ولا تقتلوه» ففعلوا ذلك. ينظر الأخبار الموفقيات، ص189.

(2) ينظر الشعر والشعراء، 118/1، والديباج، ص54–56، ومجمع الأمثال، 393/1، والمستقصى، 88/1، وعدّه صاحب المحبَّر، ص252، من (الوافون من العرب)، وفي جمهرة الأمثال، 408/1–409، أنَّ الذي حمى الجراد هو مدلج بن سويد الطائي.

(3) هو هلال بن معاوية الطائي، كما في شرح نهج البلاغة، 275/3.

(4) الأبيات في شرح نهج البلاغة، 275/3، وشعر طيئ، 706/2، باختلاف يسير، والثالث والرابع في مجمع الأمثال، 393/1، والثالث في المستقصى، 88/1.

(5) مرَّت ترجمته.

(6) البيت مع ثلاثة منسوبة إلى قيس بن عاصم في: حماسة أبي تمام، ص516، وعيون الأخبار، 286/1–287، والأمالي، 239/1، والعقد الفريد، 277/2، وزهر الآداب، 965/2–996، وديوان المعاني، 135/1، ومعجم الشعراء، ص324، ومجمع الأمثال، 391/1–392، والمستقصى، 71/1، والوسيط في الأمثال، ص67، والمختار من شعر بشار، ص192، والاستيعاب، 183/9.

وقال مسكين الدارمي[1]:

نــــاري ونــــــارُ الـــجـــار واحـــــدةٌ

وإلـــــيــــه قـــبــلــي تـــنــــزل الـــقـــدرُ

مـــا ضـــــرَّ جـــــــارًا لـــي يـــجـــاورنـــي

ألاّ يـــكـــون لـــبـــابِـــه ســِــــتـــرُ[2]

وقال الحطيئة يعدُّ محاسن قومه:

أولـــئـــك قـــومٌ إن بـــنـــوا أحـــســـنـــوا البـــنـــا

وإن عـــاهـــدوا أوفـــوا وإن عـــقـــدوا شـــدّوا

وإن كـــانـــت الـــنَّـــعـــمـــاء فـــيـــهـــم جـــزوا بـــهـــا

وإن أنـــعـــمـــوا لا كـــدَّروهـــا ولا كـــدُّوا

يـــســـوســـون أحـــلامًـــا بـــعـــيـــدًا أنـــاتُـــهـــا

وإن غـــضـــبـــوا جـــاء الـــحـــفـــيـــظـــةُ والـــجـــدُّ

أقِـــلّـــوا عـــلـــيـــهـــم لا أبـــا لأبـــيـــكـــمُ

مـــن الـــلـــوم أو سُـــدُّوا الـــمـــكـــانَ الـــذي سدّوا[3]

ولهم الضيافة عامَّة شاملة في جميع البادين منهم، والإيثار على النَّفس، والجود بالموجود، وأفضل العطاء جهد المقلّ.

---

(1) مسكين الدارمي: ربيعة بن عامر بن أنيف بن عمرو بن زيد بن عبد الله بن عُدس بن دارم، لُقِّب مسكينًا ببيت قاله. شاعر من شعراء الدولة الأموية، كانت له صلات واسعة مع شعراء عصره مثل الأخطل والفرزدق وعبد الرحمن بن حسان، أغلب شعره في الحكمة والفخر والحماسة. توفي سنة 89 للهجرة، تنظر مقدّمة ديوانه مع مصادرها.

(2) ديوانه، ص45، باختلاف يسير.

(3) ديوانه، ص65–66، مع اختلاف في ترتيب الأبيات.

وقال عثمان بن أبي العاص[1]: لَدِرهَمٌ يُخرجه أحدكم من جَهد فيضعه في حق، خير من عشرة آلاف درهم يخرجها أحدنا غيضًا من فيض[2].

ولولا ما تواصوا به من الضيافة، وتحاضُّوا عليه من الإيثار، لمات الخير، وأُبدع[3] به دون غايته.

وقال أرطاة بن سهيَّة[4]:

وما دون ضيفي من تلادٍ تحوزه

إلى النفس إلاّ أن تصانَ الحلائلُ[5]

وقال ابن أبي الزنّاد: قال عبد الملك بن مروان[6]: ما يسرّني أنَّ أحدًا من العرب ولدني إلاّ عروة بن الورد؛ لقوله:

وإنّي امرؤ عافى إنائيَ شركةٌ

وأنت امرؤ عافى إنائك واحدُ

أتهزأ منّي أن سمنتَ وأن ترى

بجسميَ مسَّ الحقِّ والحقُّ شاهدُ

أقسّم جسمي في جسومٍ كثيرة

وأحسو قراحَ الماءِ والماءُ باردُ[7]

---

(1) عثمان بن أبي العاص بن بشير بن عبد بن دهمان بن عبد الله بن همام الثقفي نزيل البصرة، أسلم في وفد ثقيف، استعمله رسول الله ﷺ على الطائف، وأقرَّه أبو بكر ثمّ عمر، ثمّ استعمله عمر على عمان والبحرين سنة خمس عشرة، سكن البصرة حتى مات بها في خلافة معاوية سنة إحدى وخمسين أو خمس وخمسين، وهو الذي منع ثقيفًا من الردّة. الإصابة؛ 338/6، رقم [5433]، وينظر العقد الفريد، 61/1.

(2) القول في لسان العرب، 201/7، وأورد شرحًا له هو: «قليل أحدكم مع فقره خير من كثيرنا مع غنانا».

(3) أبدع به: أي نُقل إلى غاية هي ليست له في الأصل.

(4) مرّت ترجمته.

(5) البيت مع اثنين منسوب إلى أرطأة في: عيون الأخبار، 239/3، والشعر والشعراء، 522/1، والحيوان، 367/1.

(6) القول في الشعر والشعراء، 675/2، والعقد الفريد، 236/1، وديوان المعاني، 107/1، والأغاني، 71/3.

(7) ديوانه، ص51–52، باختلاف يسير.

يريد أنّه يقسم قوته على أضيافه، فكأنَّه قسم جسمه؛ لأنَّ اللحم الذي ينبت ذلك الطعام يصير لغيره، ويحسو قراح الماء في الشتاء، ووقت الجدب؛ لأنَّه يؤثر باللبن، فتوقّفْ على هذا الشعر، وعلى ما فيه من شريف المعاني.

وقال آخر[1]:

إذا ما عملتِ الزاد فالتمسي له
أكيلاً فإنّي غيرُ آكلِه وحدي

بعيدًا قصيًّا أو قريبًا فإنَّني
أخافُ مذمّاتِ الأحاديث من بعدي

فكيف يُسيغ المرء زادًا وجارُه
خفيفُ المِعى بادي الخصاصة والجهدِ[2]

ولعلَّ الطاعن أن يقول في هذا الموضوع: فأين هو من ذكر مُزرَّد[3]، وحُميد الأرقط[4]، وهجائهما للأضياف، وأين هو من مطاعمهما الخبيثة من الحيَّات،

---

(1) هو قيس بن عاصم المنقري.

(2) الأبيات في ديوان حاتم الطائي، طبعة بيروت، ص62، وهي ليست له، بل لقيس بن عاصم، وقد أشرنا فيما سبق إلى تصحيح النسبة إلى قيس حين وقفنا عند واحد من أبياته. ينظر ديوان حاتم الطائي، طبعة القاهرة، ص295، والكامل، 709/2، والممتع، ص57، وشرح شواهد المغني، 586/2، وهي منسوبة إلى قيس فيها، وينظر أيضًا شعر بني تميم، ص149.

(3) مزرّد: هو يزيد بن ضرار بن حرملة بن صيفي، أخو الشماخ الشاعر المعروف، ومزّرد لقبه الذي لُقّب به لبيت قاله. شاعر فارس له شهرة، أدرك الإسلام وأسلم، وهو أحد مَنْ هجا قومه، والأضياف الذين كان يمنّ عليهم بما قراهم به، ولذلك كان خبيث اللسان، ويبدو أنَّه أقلع عن الهجاء أخيرًا. ينظر: المفضليات، ص75، والشعر والشعراء، 315/1، والاشتقاق، ص286، والممتع، ص197، والمؤتلف والمختلف، ص190، ومعجم الشعراء، ص496، والحيوان، 72/1، وخزانة الأدب، 102/4.

(4) حُميد الأرقط: هو حُميد بن مالك بن ربعي بن مخاشن بن قيس بن نضلة... بن زيد مناة بن تميم، شاعر مجيد من شعراء الدولة الأموية. كان معاصرًا للحجاج، لُقّب بالأرقط لآثار كانت بوجهه، ويصفه صاحب العقد الفريد بقوله: «هو ألام اللئام كلّهم وأبخل البخلاء... ويقال له هجّاء الأضياف»، وجعله أبو عبيدة ثاني أربعة هم بخلاء العرب. ينظر الديباج، ص13، والبرصان والعرجان، ص100، والعقد الفريد، 186/6، وأمالي ابن الشجري، 204/2، ومعجم الأدباء، 1225/3، وخزانة الأدب، 395/5.

والـضبـاب، واليـرابيـع[1]، والعلهز[2]، وشربهم الفظّ، والمجدوح[3]، وأكل مياسرهم لحوم الإبل حنيذًا[4] غير نضيج، ونيًّا، والعروق، والعلابي[5]، وسقط المائدة لا يعافون شيئًا، ولا يتقذّرون أكل السباع، ونهش الكلاب، ويفخر عليهم بأطعمة العجم، وحلوائها وآدابها على الطعام، وأكلها بالبارجين[6]، والسكين.

فأمّا هذان الشاعران اللذان يهجوان الأضياف، ويصفانهم بكثرة الأكل، وجودة اللقم، فإنَّ أحدهما كان فقيرًا، ضعيف الحال، فإذا نزل به الضيف لم يجد بُدًّا من إيثاره بقليل ما عنده، أو مشاركته فيه، فيبيت طاويًا، ويصبح جائعًا، ويجيش صدره بما حلَّ به. والشاعر بمنزلة المصدور؛ لابد له من أن ينفث، فيستريح إلى ذكر لقم الضيف ووصف أكله وحديثه. قال – هو أو غيره – يذكر الضيف[7]:

تُـجـهّـزُ كـفّـاه ويـحـدُرُ حـلقـه

إلـى الـزَّور مـا ضـمَّـت إلـيـه الأنـامـلُ

---

(1) اليرابيع: واحده يَرْبوع: دُوَيْبَّة فوق الجُرْذ.

(2) العلْهز: هو الوبر بالدم، وقد أكلته مضر بعد أن أصيبت بالجدب لدعاء رسول الله ﷺ عليها بقوله: «اللهم أشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسني يوسف»، فأجدبوا سبع سنوات، ينظر غريب الحديث، 409/2، وبخلاء الجاحظ، ص217، والكامل، 604/2، ولسان العرب، 381/5.

(3) الفظّ والمجدوح: شرابان، أمّا الفظّ فهو عصارة الفَرْث يشربونها إذا أصابهم العطش في المفاوز، وأمّا المجدوح فإنّهم إذا بلغ العطش منهم المجهود نحروا الإبل، وتلقوا ألبابها بالجفان كيلا يضيع من دمائها شيء، فإذا برد الدم ضربوه بأيديهم،، وجدحوه بالعيدان جدحًا حتى ينقطع، فيعتزل ماؤه من ثفله كما يخلص الزبد بالمخض، هذا ما بيّنه الجاحظ في البخلاء، ص216، وجعل هذا الطعام، والشراب وأشباهه من المذموم عند العرب. وينظر لسان العرب، 421/2، و452/7.

(4) الحنيذ: الشواء الذي لم يبالغ في نضجه.

(5) العلابي: جمع العلباء وهو العَصَب.

(6) في المطبوع: (باليارحين)، بالياء، وعلّق الأستاذ كرد عليها بقوله: «لم نجد اليارحين في الكتب التي بيدي»، وفي بخلاء الجاحظ، ص68 قولٌ هو: «وحين أكلوا بالبارجين»، بالباء، وشرح الأستاذ الحاجري ص335، هذه اللفظة فقال: «يظهر أنَّ هذه الكلمة مأخوذة من المصدر الفارسي (برجنيدن) ومعناه الالتقاط، ويلاحظ أنَّ مادة الفعل (برجين)، ويؤخذ من سياق ذكرها هنا أنّها أداة من أدوات الأكل، ولعلّها كانت شيئًا قريبًا من الشوكة المستعملة الآن». ويتفق هذا الشرح الذي قدَّمه الأستاذ الحاجري مع سياق كلام ابن قتيبة السابق، ولذلك أثبتنا ما في البخلاء، وينظر المعجم الذهبي، ص107، وفيه: «برجيدن: التقاط، قطف».

(7) هو حُميد الأرقط، وقد مرَّت ترجمته.

يـقـولُ وقـد ألـقـى الـمـراسـيَ لـلـقـرى:

أبـــنْ لـيَ مـا الـحـجَّـاج بـالـنـاس فـاعـلُ

فـقـلـت لـــه: مـــا إن لـــهـــذا طـرقـتـنـا

فـكُـلْ ودعِ الأخـبــار مـا أنــت آكــلُ

أتـــانـــا ولـــم يـعـدلـه سـحـبـانُ وائـــلٍ

بـيـانًـا وعـلـمًـا بـالـذي هـو قـائـلُ[1]

وقال أيضًا يذكر الأضياف[2]:

بـاتـوا وجـلَّـتـنـا الـشـهـريـز بـيـنـهـمُ

كـأنَّ أظـفـارَهـم فـيـهـا السكاكينُ[3]

فـأصـبـحـوا والـنَّـوى عـالـي معرَّسـهـم

ولـيـس كـلّ الـنـوى يـلـقي المساكينُ[4]

---

(1) الأبيات منسوبة إلى حميد باختلاف يسير في: عيون الأخبار، 243/3، والعقد الفريد، 187/6، و302، الأول والرابع، ويسوق صاحب العقد أبياتاً غير هذه لحميد في هجاء الأضياف، والاشتقاق، ص273، الرابع وحده، ومجمع الأمثال، 289/2، والأمثال، ص368، الرابع وحده، وفصل المقال، ص497، والمستقصى، 256/1، الرابع وحده، والوسيط في الأمثال، ص72، عدا الأول، وثمار القلوب، ص102، وبهجة المجالس، 77/3، وسرح العيون، ص378، الرابع وحده، وخزانة الأدب، 255/4، الأبيات عدا الأول، ولسان العرب، 62/11، الأبيات عدا الرابع، ونهاية الأرب، 299/3، وأمالي ابن الشجري، 204/2، والحماسة البصرية، 272/2، عدا الأول، والرابع وحده بلا نسبة في المعارف، ص611، وجمهرة الأمثال، 72/2، الرابع وحده مع آخر منسوبان إلى حميد بن ثور، وهما في ديوانه، ص117، غير أنَّ محقّق الديوان يورد نسبتها إلى حُميد في بعض المصادر، ويعلّق بقوله: «... وهما بمذهبه أليط».

(2) هو حُميد الأرقط أيضًا.

(3) في المطبوع: (الشهرين) ولا معنى لها، وأثبتنا الشهريز؛ وهو ضرب من التمر، ويسمّى أيضًا: الأوتكي، والقطيعي، والسوادي، ويلفظ أيضًا بالسين. ينظر كتاب النخلة للسجستاني، ص158، وبخلاء الجاحظ، ص197، وعيون الأخبار، 226/3، والمعرّب، ص199، ولسان العرب، 362/5.

(4) البيتان منسوبان إلى حميد باختلاف يسير في: عيون الأخبار، 243/3، وفيه: (الصهباء) بدل (الشهريز)، وفي الهامش يقول المحقّق إنَّ لفظة (السهرين) وردت في أصل المخطوط، ولعلّها – كما يقول – محرّفة عن (السهريز)، غير أنّه أثبت (الصهباء) نقلاً عن كتاب سيبويه، ولم نَدْر الحكمة في ذلك، وفي الكتاب، 70/1، الثاني وحده، ويسوق المحقق في الهامش البيت الأول وفيه (السهريز) وليس (الصهباء)، والعقد الفريد، 187/6 و303، وأمالي ابن الشجري، 204/2، والأزمنة والأمكنة، 317/2، الثاني وحده، وخزانة الأدب، 270/9، الثاني وحده بلا نسبة.

أراد: من الأضياف مَنْ يأكل التمر بالنوى، وهذا يدلّ على شدة فقره.

وأما مزرّد[1] فكان شرهًا منهومًا، والشَّرَهُ رفيق البخل، وهو القائل:

لبكتُ بصاعَيْ حنطة صاعَ عجوة
إلى صاعِ سمنٍ فوقه يتريَّعُ

فقلت لبطني: أبشرِ اليومَ إنّه
حوى أمنا ممّا تحوزُ وترفعُ

فإن يك مصفورًا فهذا دواؤه
وإن يكُ غرثانًا فذا يومَ يشبعُ[2]

وقال الحطيئة:

أعددتُ للضيفان كلبًا ضاريًا
عندي، وفَضْلَ هراوة من أرزنِ[3]

ومعاذرًا كذبًا ووجهًا باسرًا
وتشكِّياً عضَّ الزمانِ الألزنِ[4]

(1) مرَّت ترجمته.

(2) الأبيات منسوبة إلى مزرّد باختلاف يسير في: عيون الأخبار، 204/3، ويسوق ابن قتيبة مع الأبيات خبرًا قبلها رواه الأصمعي، والعقد الفريد، 302/6، ويسوق هو الآخر خبر الأصمعي، والكامل، 1442/3، البيت الأول وحده، وديوان المعاني، 305/1، ولسان العرب، 138/8.

(3) الأرزن:شجر صلب تتّخذ منه العصيّ، وفي معجم أدشير، ص72: «الأرزن: معرّب أرزن؛ وهو شجر شبيه بشجر الجوز الجبلي ثمره مرّ... وتتخّذ من أغصانه العصي، ودشت الأرزن أي صحراؤه، مكان بالقرب من شيراز يكثر فيه هذا الشجر».

(4) البيتان ليسا للحطيئة، ويخلو منهما ديوانه، والأول في حماسة البحتري، ص415، والحماسة البصرية، 377/2، نسباه إلى وبر بن معاوية الأسدي الذي «كان يعامل تجار المعدن، ويلويهم بحقوقهم»، كما يقول البحتري، وهما بلا نسبة في غريب الحديث، 177/1، وفيه أنَّ الخليفة المنصور أنشدهما وعمرو بن عبيد يسمع، والبيان والتبيين، 79/3، والأول وحده في الحيوان، 210/2، والبخلاء، ص38، وعيون الأخبار، 242/3، ولسان العرب، 80/13و385، الثاني وحده، وخزانة الأدب، 270/9، الثاني وحده. والباسر: العابس، والألزن، الضيق الشديد.

وهذا شرُّ القوم، وليس من الناس صنفٌ إلاّ وفيه الخير والشرّ، على ذلك أُسِّست الدنيا، وعليه درج الناس، ولولا أحدهما ما عرف الآخر، وإنَّما يُقضى بأغلب الأمور، ويحكمون بأشهر الأخلاق.

وليس في ثلاثة من الشعراء أو أربعة ما هدر مكارم أخلاق آلاف من الناس، وبدَّد صنائعهم. فهذا كعب بن مامة[1] آثر بنصيبه من الماء رفيقه النَّمري حتى مات عطشًا.

وهذا حاتم الطائي قسَّم ماله بضع عشرة مرّة، ومرَّ في سفره على عَنَزة وفيهم أسير، فاستغاث به ولم يحضره شيء، فاشتراه من العنزيين فخلاّه، وأقام مكانه في القدّ حتى أدى فداءه[2].

وكلُّ فخر في طيئ فهو راجع إلى نزار – ولهم الجبلان وهما بنجد[3] – وأخذهم بآدابهم، وتخلّقهم بأخلاقهم.

وهذا عديّ شاطر ابن دارة[4] الشاعر ماله. وهذا معن[5] في الإسلام كان يقال فيه: حدِّث

(1) مرّ ذكره، وهو من أجواد العرب، ومفاد الخبر الذي يسوقه ابن قتيبة هو أنَّ كعبًا سافر مع جماعة في حمارة القيظ، فأعوزهم الماء إلاّ يسيرًا، وكان مع كعب رجل من بني النمر بن قاسط، فكلّما وزّعوا الماء بينهم وبلغت النوبة كعبًا نظر إليه النمري، فيقول كعب للساقي: اسق أخاك النمري، فذهبت مثلاً، وفعل ذلك مرارًا حتى نفد الماء وسقط كعب ميتًا عطشًا، وصار من أمثالهم: أجود من كعب، ينظر الشعر والشعراء، 237/1، والبخلاء، ص218، والكامل، 300/1، والأمالي، 221/2، والديباج، ص26، ومعجم الشعراء، ص471، والمحبّر، ص144، والأمثال، ص242، وثمار القلوب، ص126، وسمط اللآلي، 840/2، والمحاسن والمساوئ، 311/1، وجمهرة الأمثال، 94/1، والعقد الفريد، 293/1، والوسيط في الأمثال، ص65، والممتع، ص52.

(2) ينظر الفاضل، ص41، والشعر والشعراء، 241/1، والنوادر، ص187، والعقد الفريد، 287/1، والأغاني، 92/16و302/17، والديباج، ص24، وثمار القلوب، ص98، والمحاسن والمساوي، 309/1، وجمهرة الأمثال، 238/1، وسرح العيون، ص115، وتمام المتون، ص274.

(3) الجبلان هما: أجأ وسَلمى، وهما منازل طيّئ، ينظر معجم البلدان، 119/1، وما بعدها ففيه حديث طويل عن الجبلين، ومعجم ما استعجم، 109/1.

(4) ابن دارة: هو سالم بن مسافع، وأمّه دارة، من ولد عبد الله بن غطفان بن سعد. شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، كان كثير الهجاء ممّا كان السبب في قتله، ينظر الشعر والشعراء، 401/1، وما بعدها مع مصادر المحقق، وفي الإصابة، 4/5 إشارة إلى أنَّه قُتِل في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(5) معن بن زائدة الشيباني، القائد، والجواد المعروف، كان من قُوّاد بني أمية، ثمّ خُصَّ بالمنصور فأبلى معه البلاء الحسن، فقرّبه وأعلى منزلته، ولي سجستان في أواخر عمره، وكانت الشعراء تقصده فتمدحه، وكان هو نفسه شاعرًا، وأخبار كرمه، وسعة عقله كثيرة ذائعة، ينظر وفيات الأعيان، 231/4، وتاريخ بغداد، 235/13، ومعجم الشعراء، ص400.

عن البحر ولا حرج، وعن معن ولا حرج[1]. وأتاه رجل يستحمله، فقال: يا غلام، أعطه فرسًا، وبرذونًا، وبغلاً، وعَيرًا، وبعيرًا، وجارية، ولو عرفت مركوبًا غير هذا لأعطيتكه[2].

وهذا نَهيك بن مالك بن معاوية باع إبله، وانطلق بأثمانها إلى منى فأنهبها، والناس يقولون: مجنون. فقال:

لستُ بمجنونٍ ولكنّي سَمِحْ

أُنهبكم مالي إذا عزَّ القمحْ[3]

وهذا شيء يكثر جدًا، ويتّسع القول فيه، ويخرج الكتاب من فنّه باستقصائه. وكان غرضنا في هذا الكتاب أن ننبّه بالقليل من كلّ شيء في عيون الأخبار.

وأمّا تعييرهم إيّاهم بخبيث المطعم كالعلهز والحيّات، وخبيث المشرب كالفظّ والمجدوح، فإنَّ هذا وأشباهه طعام المجاوع[4] والضرورات، وطعام نازلة القفر[5] والفلوات[6]؛ وقال الشاعر[7]:

إذا السَنة الشهباء حلّ حرامُها

(1) صار هذا من أمثالهم. ينظر البيان والتبيين، 113/2، وعيون الأخبار، 338/1، والعقد الفريد، 302/1، ومجمع الأمثال، 368/1، وتمثال الأمثال، 423/2، وفي ثمار القلوب، ص203، يقال: «حدّث عن البحر ولا حرج، وعن الفضل ولا حرج»، وهو الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك.

(2) ينظر عيون الأخبار، 338/1، والعقد الفريد، 302/1.

(3) الخبر والشعر في عيون الأخبار، 339/1، وكُتب الشعر على هيئة النثر هناك، والمؤتلف والمختلف، ص189، وفيه أنَّ اسمه كهيل بن مالك بن معاوية، ويُعرف بابن المحدقة، وهي أمّ أبيه.

(4) يقول ابن قتيبة في غريب الحديث، 248/2: «... وهذه أشياء كانوا يفعلونها عند الضرورات، وفي الأسفار، والمجاعات... وإنَّما يكون هذا عيبًا لو كانت العرب مختارة له في حال الغنى واليسر، وكانت تمدحه وتحمد أكله». وانتقل هذا المطعن إلى الأندلس بعد هذا إذ نرى ابن غرسية يضمّنه في الطعن على العرب وتفضيل العجم عليها. ينظر، ص250، نوادر المخطوطات مع الردود عليها.

(5) في المطبوع: [الفقر] وهو خطأ مطبعي.

(6) يقول الجاحظ: «... والشعوبية، والآرادمردية المبغضون لآل النبي ﷺ وأصحابه، ممَّن فتح الفتوح، وقتل المجوس، وجاء بالإسلام تزيّد في جشوبة عيشهم، وخشونة ملبسهم، وتنقّص من نعيمهم، ورفاغة عيشهم»، البخلاء، ص228، ويقول أيضًا: «... والشعوبية تهجو العرب بأكل العلهز والغثّ، والدعاع، والهبيد»، الحيوان، 442/5.

(7) هو الفرزدق كما في الأزمنة والأمكنة، 300/2، والديوان.

يريد أنَّهم يأكلون فيها الميتة. وقال الراعي:

إلـــى ضـــوء نـــار يـشــتـوي الـقــدَّ أهلُـهـا

وقــد يـكـرم الأضــيــاف والـقــدُّ يُشتوى[1]

وإنّما كان يكون هذا عيبًا لو كانت العرب مختارةً له في حالة اليُسر، كما تختار بعض العجم الذبابَ وبهم عنه غنى، والسراطين[2] والدجاج لهم مُعرضَة. فأما حال الضرورة فالناس كلهم يعسرون، فمن لم يجد اللحم أكل اليربوع والضبَّ، ومَنْ لم يجد الماء شرب المجدوح والفظ.

قال الأصمعي: أغير على إبل حُريثة، فذهب فركب بَحيرة، فقيل: أتركب الحرام؟ فقال: يركب الحرام مَنْ لا حلال له[3]. وقال الشاعر[4]:

يــا لـيـت لـي نـعـلـيـن مــن جـلـد الـضّـبُـعْ

كـلُّ الـحـذاءِ يـحـتـذي الـحـافـي الوَقِعْ[5]

---

(1) ديوانه، ص2. والقدّ: هو السَّير الذي يُقَدُّ – أي: يُقطع – من الجلد، وفي الديوان أنَّ ضيفًا طرق الراعي في سنة مجدبة، ولم يحضره قرى وكان الضيف على جمل له، فأمر الراعي ابن أخته أن ينحر الجمل ويطعمه الضيف ففعل، فعُيِّر بذلك.

(2) السراطين: جمع سرطان، دابة من خلق الماء، تسمّيه الفرس فُخ. ينظر لسان العرب، 314/7.

(3) ينظر العقد الفريد، 429/3، وفيه: (خزيمة) بدل (حريثة)، وجمهرة الأمثال، 380/1، وفيه: (جرَّية بن أوس)، وساق قصة مع أبيات. والبحيرةُ: الناقة أو الشاة تشقّ أذنهما إذا نتجتا عشرة أبطن، فلا ينتفع منها بلبن ولا ظهر، وتترك لترعى وترد الماء، ويحرَّم لحمها على النساء ويحلّل للرجال، فنهى الله عن ذلك في محكم الكتاب. ينظر لسان العرب، 43/4، وتفسير غريب القرآن، ص147، وسيرة ابن هشام، 79/1، والأصنام، ص24و69، والقرطين، 147/1، و171، وفي المعمرّون والوصايا، ص45، حديث طويل عنها، والأوائل ص48–49.

(4) هو أبو المقدام، واسمه جسّاس بن قطيب كما في المستقصى، 224/2، ولسان العرب، 407/8، وفي العقد الفريد، 113/3: «قال أعرابي»، وفي جمهرة الأمثال، 164/2: «... وهو من أرجوزة لبعض الأعراب».

(5) الشطر الثاني من أمثالهم، ينظر مجمع الأمثال، 13/3، والتمثيل والمحاضرة، ص300، وفصل المقال، ص318، والوسيط في الأمثال، ص143، وفيها الشعر بلا نسبة، وينظر كذلك: غريب الحديث، 243/2، والبيان والتبيين، 109/3، والحيوان، 446/6، والبخلاء، ص188، والبرصان والعرجان، ص306، والعقد الفريد، 80/1 و280و113/3 و429و228/6، وجمهرة الأمثال، 164/2و429، والاشتقاق، ص291، ولسان العرب، 407/8، وفيه: «قال الأزهري: معناه أنَّ الحاجة تحمل صاحبها على التعلّق بكلّ شيء قدر عليه». والوقع: الذي أصابت الحجارة قدميه فأوهنتها.

وممّا يدلُّك على أنَّ أهل الثروة منهم على خلاف ما عليه الصعاليك والعُثُر[6]: قول الشاعر[1]:

فـمـا لـحـم الـغـراب لـنـا بـزادٍ

ولا سـرطـانُ أنـهـارِ البَريصِ[2]

فانتفى من أكل لحوم الغربان، وعيّر بها قومًا. وقال آخر[3] لامرأته:

أكـلـتُ دمًـا إن لـم أرُعْـكِ بـضـرَّة

بـعـيـدة مـهـوى الـقـرط طـيّـبـة النَّشْرِ[4]

فلو كان شُربُ المجدوح عنده محمودًا لم يجعل يمينه شُرب الدم، كما يقول القائل: شركت بالله إن لم أفعل كذا وكذا.

وقال آخر:

نـعـافُ وإن كـانـت خـمـاصًـا بـطـونُـنـا

لـبـاب الـنَّـقـيِّ والـعـجـابَ الـمـجـرَّدا

---

(1) هو وعلة الجرمي كما في غريب الحديث، 203/1، والممتع، ص442، والحيوان، 317/2، ومعجم البلدان، 483/1، ولسان العرب، 6/7، ونهاية الأرب، 211/10، وهو وعلة بن عبد الله بن الحارث بن بُلع بن سُبيلة الجرمي، شاعر جاهلي من فرسان قضاعة وأنجادها وأعلامها. ينظر المؤتلف والمختلف ص196، والمفضليات، هامش صفحة 164.

(2) البيت منسوب لوعلة في المصادر السابقة، وفي غريب الحديث: «وكانت العرب تتعاير بأكل لحم الغراب، وتعدّه من الخبائث». وهو بلا نسبة في خزانة الأدب، 383/4، والبريص: موضع بدمشق.

(3) من هنا يبدأ المخطوط.

(4) البيت بلا نسبة في حماسة أبي تمام، ص637، وفيه: «قال بعض الأعراب يخاطب امرأته حين تزوجها فلم توافقه، فقيل له: إنَّ حمّى دمشق سريعة في موت النساء، فحملها إلى دمشق»، وشرح التبريزي للحماسة، 358/4، وفيه: (قال بعضهم)، ومعاني أبيات الحماسة، ص251، وأورد المحقّق نسبة البيت إلى أنيف بن قترة الكلبي نقلاً عن الأشباه والنظائر، 290/2، أو عروة الرحال نقلاً عن سمط اللآلي، 672/2، وينظر الهامش الأول، والحماسة البصرية 308/2، عن تخريج القطعة، وفي سمط اللآلي أنَّ عروة الذي نُسب إليه الشعر هو عروة بن عتبة بن جعفر ابن كلاب، وسميّ رحّالاً؛ لأنَّه كان وفَّادًا على الملوك، قتله البرّاض بن قيس الكناني، وبسببه هاجت حرب الفجار بين حييّ خندف وقيس، ينظر، 672/2، وتنظر بعض أخبار عروة في سرح العيون، ص90.

يريد أنّه يرغب – وإن كان جائعًا – عن أكل الخبز بالتمر إلى أكله بالشحم.

ونزل رجل من العرب[1] فقدّم إليه جرادًا، فعافها[2]، وأنشأ يقول:

لحى الله بيتًا ضمّني بعد هَجعة
إليه دجوجيٌّ من الليل مظلمُ
فأبصرتُ شيخًا قاعدًا بفنائه
هو العَير إلا أنّه يتكلّم
أتاني بيرقانِ الدَّبى في إنائه
ولم يكُ في يَرْقِ الدّبى ليَ مطعمُ
فقلت له: غيّب إناءك واعتزل
فهل ذاق هذا – لا أبا لك – مُسلمُ[3]

وأمّا أكلهم العلابي[4]، والعروق، واللحم النيّ، وتركهم طيب الأطعمة والأطبخة، وحسن الأدب عند الأكل، فهذا لعمري هو الأغلب على مَنْ الأغلب عليه الفقر، فأما ذوو النعمة واليسار[5] والأقدار، فقد كانوا يعرفون أطايب الطعام، ويأكلونها، ويأخذون بأحسن الأدب[6] عليها[7].

فالمضيرة لهم، واسمها يدلُّك على ذلك؛ تُطبخ[8] باللبن الماضر، وهو الحامض، فاشتق اسمها منها[9]. والهريسة لهم، سُمّيت بذلك لأنّها تُهرس؛ أي تدق[10]، ويقال للمدق: المهراس.

---

(1) في عيون الأخبار، 211/3، تتمّة مفيدة هي: «... برجل من الأعراب فقدّم...».
(2) في المخطوط: [فعافه].
(3) الأبيات بلا نسبة مع اختلاف يسير في: عيون الأخبار، 211/3، والعقد الفريد، 188/6، واليرقان: دود يكون في الزرع ثم ينسلخ فيصير فراشًا، والدبّى: الجراد قبل أن يطير، وقيل: هو نوع من الجراد.
(4) العلابي: جمع العلباء، وهو العصب.
(5) في المخطوط: (منهم) بدلاً (واليسار).
(6) في المخطوط: (الآداب).
(7) يقول الجاحظ: «وإذا نظرت في أشعارهم علمت أنّهم قد أكلوا الطيب، وعرفوه». البخلاء، ص229.
(8) في المخطوط: (فإنّها تطبخ).
(9) ينظر أدب الكاتب، ص169، وفي العقد الفريد 291/6: «المضيرة سميت بذلك لأنّها طبخت باللبن الماضر الحامض»، ولسان العرب، 178/5.
(10) ينظر أدب الكاتب، ص169، والعقد الفريد، 291/6، والنوادر، ص81، ولسان العرب، 257/6.

والوشيقة لهم، والعامة تسمّيها العشيقة، سُمّيت بذلك لأنها توشق بأي: تقطع صغارًا[1].

والعصيدة لهم، سُمِّيت بذلك لأنّها تُعصد إذا عملت؛ أي: تلوى، وكل شيء ألويته فقد عصدته[2]، ومنه قيل للمائل عنقه[3]: عاصد[4]، وقال مزرّد[5]:

لبكتُ بصاعَيْ حنطة صاع عجوة

إلى صاع سمن فوقه يتريع[6]

وهذا[7] هو العصيدة. وقال[8] أميّة بن أبي الصلت[9] في عبد الله بن جدعان:

له داعٍ بمكة مشمعلٌّ

وآخرُ فوق دارته ينادي

إلى رُدُحٍ من الشيزى ملاء

لباب البُرّ يُلبك بالشهادِ[10]

وهذا هو الفالوذ.

وهم أوصف الناس للطعام[11]، وألطفهم في ذكره. حدّثني أبو حاتم قال: حدّثني[12]

---

(1) الوشيقة: من اللحم، وهو أن يغلى إغلاءة ثم يُرفع. ينظر العقد الفريد، 290/6، وغريب الحديث، 2/47–48، ولسان العرب، 10/ 381.

(2) ينظر أمالي القالي، 122/1، ولسان العرب، 291/3.

(3) في المخطوط: (العنق).

(4) ينظر أدب الكاتب، ص169.

(5) مرّت ترجمته.

(6) مرَّ تخريج البيت.

(7) في المخطوط: (فهذا).

(8) في المخطوط: (وأمّا).

(9) في المخطوط: (فإنَّه قال في).

(10) ديوانه، ص33، والمشمعل: النشيط السريع. والرُدُح: الجفان العظيمة، والشيزى: خشب أسود تصنع منه الجفان.

(11) في المخطوط: (الطعام).

(12) في المخطوط: (عن) بدل (قال: حدّثني).

الأصمعي قال: [حدَّثنا أبو طُفيلة قال:][1] حدَّثنا شيخ من أهل البادية قال: ضفنا فلانًا بحنطة كأنها مناقير النُّغران، وتمر كأنّه[2] أعناق الورلان، يوحل فيه الضرس[3].

وحدَّثنا الأصمعي أيضًا عن أعرابي أنَّه قال: تمرنا خرسٌ فُطس[4]، يغيب فيه الضرس، كأنَّ نواه ألسن الطير، تضع التمرة في فيك فتجد حلاوتها في كعبك[5].

وحدّثني عبد الرحمن عن عمّه قال: قال شيخ من أهل المدينة: [أتيت فلانًا][6] فأتاني بمرقة كأنَّ فيها مشقًا[7]، فلم أرَ إلاّ كبدًا طافية، فغمست يدي فوجدت مضغة، فمددتها فامتدَّت حتى كأنّي أزمر في ناي[8].

ولهم أطبخة كثيرة، ومن أطبختهم الغسّانية، وهي لا تعرفها عامّتنا كالحيسة[9]، والربيكة[10]، والخزيرة[11]، واللفيتة[12]، تركت ذكرها، واقتصرتُ على ما تعرف. وكانوا

---

(1) ما بين المعقوفين ساقطة في المخطوط.

(2) في المطبوع: (كأنَّها).

(3) ينظر عيون الأخبار، 201/3، وبخلاء الجاحظ، ص180، وديوان المعاني، 291/1، والنُّغران جمع نُغرة، وهي صغار العصافير، والورلان: جمع الوَرَل، دابّة على خلقة الضبّ إلاّ أنَّه أعظم منه. ينظر لسان العرب، 223/5، و724/11، والإمتاع والمؤانسة، 81/3.

(4) ما سيأتي إلى قوله: «... والإمامة هي التقدّم...» ساقط من المخطوط.

(5) ينظر عيون الأخبار، 201/3، وديوان المعاني، 41/2، وفيه أنَّ صاحب القول هو الغاضري، والعقد الفريد، 488/3، وجمهرة الأمثال، 222/2.

(6) ما بين المعقوفين ساقط في المطبوع، والزيادة من عيون الأخبار، 199/3، وبها يستقيم الكلام.

(7) المشق: طين يصبغ به الثوب، ينظر لسان العرب، 345/10، كأنَّه يعرِّض بثخانة هذه المرقة ولا شيء فيها.

(8) ينظر عيون الأخبار، 199/3 باختلاف يسير.

(9) الحيسة: طعام يتّخذ من التمر والأقط، يدقّان ويعجنان بالسمن عجنًا شديدًا، ثم يسوّى كالثريد. ينظر لسان العرب، 61/6.

(10) الربيكة: طعام يتّخذ من الأقط والتمر والسمن، يعمل رخوًا. ينظر لسان العرب، 431/10، وغريب الحديث، 614/1.

(11) الخزيرة: في المطبوع: (الخريزة) ولا معنى لها هنا، أمّا الخزيرة فطعام يتّخذ من اللحم يقطع صغارًا، فإذا نضج ذُرَّ عليه الدقيق فعُصد به، ينظر لسان العرب، 337/4، وغريب الحديث، 140/2، وربما اتخذت الخزيرة من الدسم والدقيق وحدهما، ويقول جرير:

ودعا الزبير فما تحركت الحُبى
لو سُمْتهم جُحْفَ الخزير لثاروا

ديوانه، ص157.

(12) اللفيتة: العصيدة المغلَّظة. ينظر لسان العرب، 85/2، وغريب الحديث، 140/2.

يقولون: أطيب اللحم عُوَّذُه[1]، يريدون: أطيبه ما ولي العظم، كأنَّه عاذ به[2].

وكانوا يقولون: إذا أكلتم فسمّوا وأدنوا. يريدون بـ «أدنوا» كلوا ممّا بين أيديكم[3].

وكانوا يكرهون أكل الدماغ، ويرون استخراجه رغبًا، وحرصًا. وقال قائلهم[4]:

....

ولا ينتقي المخَّ الذي في الجماجمِ[5]

ومن قبائل العرب مَنْ يعاف ألية الشاة، ويقولون: هي طبق الاست[6].

وقال قائلهم[7]:

ولَلموتُ خيرٌ من زيارة باخل

يلاحظ أطرافَ الأكيلِ على عمدِ[8]

وكانوا يمدحون بقلّة الأكل. وقال أعشى باهلة[9]:

---

(1) في المطبوع: [عوذة]، وهو تحريف.

(2) ينظر مجالس ثعلب، 215/1، وفيه: «قيل لابن الأعرابي: ما أطيب اللحم؟ قال: عوّذه: ما عاذ بالعظم»، وعيون الأخبار، 198/3، ولسان العرب، 500/3، وفيه: «قال ثعلب: قلت لأعرابي...».

(3) ينظر لسان العرب، 272/14.

(4) هو النجاشي، واسمه قيس بن عمرو بن مالك من بني الحارث بن كعب. شاعر هجّاء رقيق الدين، حدّه علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه في خمر شربها في رمضان، وكان عمر بن الخطاب ﷺ هدّده بقطع لسانه إن هو هجا الناس. كان شاعر العراق في صفين، غير أنَّه فارق عليًا وانتقل إلى معسكر معاوية. ينظر الشعر والشعراء، 329/1، والاشتقاق، ص400، وسمط اللآلي، 890/2، وخزانة الأدب، 420/10، وشرح نهج البلاغة، 87/4.

(5) هذا عجز بيت، وصدره: «ولا يأكل الكلب السَّروق نعالهم»، وهو منسوب إلى النجاشي في المعاني الكبير، 483/1، والبيان والتبيين، 109/3، وشرح نهج البلاغة، 88/4، وفي العقد الفريد، 184/6، وجمهرة الأمثال، 574/1، العجز وحده، وخزانة الأدب، 491/9، الصدر وحده، وبلا نسبة في لسان العرب، 52/3و340/15، وفي البيان والعقد: قال يونس: كانوا لا يأكلون الأدمغة». وفي المطبوع: (ينتقي)، ولا يتلاءم مع سياق المدح الذي ورد البيت بموجبه، وأثبتنا [ينتقي] لملاءمتها السياق، وفي لسان العرب، 340/15: «انتقيت العظم: إذا استخرجت نقيّه أي مخَّه».

(6) ينظر عيون الأخبار، 220/3.

(7) هو قيس بن عاصم.

(8) ينسب البيت مع أبيات إلى حاتم، وهي ليست له، بل لقيس، ينظر ديوان حاتم الطائي، طبعة مصر، ص295 مع التخريج، ولم يرد في التخريج الأغاني، 114/12، ونُسبت فيه إلى قيس.

(9) أعشى باهلة: عامر بن الحارث بن رياح بن أبي خالد بن ربيعة بن معن بن أعصر. شاعر جاهلي مجيد، وضعه ابن سلام في طبقة أصحاب المراثي، تنظر ترجمته ومصادرها في الأصمعيات، ص87، وجمهرة أشعار العرب، 713/2.

تكفيه حزّة فَلْذ إن ألمَّ بها

من الشواء ويروي شربَه الغَمْرُ[1]

ويعيبون بالشره، والنَّهم، والكسل، ويقولون للبخيل الأكول: أبرَمًا قَرونًا[2]. يريدون أنَّه لا يُخرج مع أصحابه شيئًا، ويأكل تمرتين. وأصل البرم: الذي لا يسير مع القوم. وقال بعض الرّجاز[3]:

لا تسألنْ عن بعلها أيّ فتى

خَبٌّ شجاعٌ وإذا جاع بكى

لا حَطَبَ القوم ولا القومَ سقى

ولا ركابُ القومِ إن ضلّت بغى

ويأكل التمر ولا يُلقي النَّوى

ولا يواري فرجه إذا اصطلى

كأنَّه غِرارةٌ ملأى حثا[4]

---

(1) الأصمعيات، ص91، وينظر تخريجه هناك. وفي المطبوع (فلذان) بدل (فلذ إن) و(شربة) بدل (شربه)، وأثبتنا ما في الأصمعيات، لاسيما أنَّ المؤلف سيختار هذه الرواية في صفحات قادمة من الكتاب حين يعود للاستشهاد بالبيت نفسه.

(2) من أمثالهم، ينظر مجمع الأمثال، 180/1، وجمهرة الأمثال، 220/2، وعيون الأخبار، 203/3، والمستقصى، 17/1، وفيه: «أبرمًا وقرونًا، والبرم الذي لا يدخل في الميسر وهو موسر لبخله، والقرون فعول من قرن بين الشيئين، يُضرب للبخيل يجرّ المنفعة إلى نفسه، أو لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين»، ونهاية الأرب، 12/3، والميسر والقداح، ص46، وفي العقد الفريد، 186/6: «ما علمتُك إلاّ برمًا قرونًا»، وينظر أيضًا، 299/6–300.

(3) هو الجميح كما في جمهرة الأمثال، 42/2، منقذ بن الطماح بن قيس بن طريف بن عمرو بن قعين الأسدي. شاعر جاهلي، وهو أحد الفرسان في يوم جبلة وبه قُتل، كان صاحب الغارة على إبل النعمان بن ماء السماء، وأبوه الطماح صاحب امرئ القيس الذي دخل معه بلاد الروم. ينظر الشعر والشعراء، 274/1، والمؤتلف والمختلف، ص403، والمفضليات، ص34، وسمط اللآلي، 895/2، وخزانة الأدب، 249/10، وفي ديوان الشماخ، ص377، ينسب المحقّق الشعر ضمن أرجوة طويلة للجليح بن شديد التغلبي، ويذهب إلى أنَّ نسبتها إلى الجميح تصحيف من الجليح، وقال الجليح هذه الأرجوزة يردّ فيها على الشماخ، غير أنَّه ينتهي إلى أننا «لا نملك القطع بنسبة هذه الأرجوزة للجليح»، وينظر الديوان أيضًا، ص353، الهامش الرابع.

(4) الرجز باختلاف يسير في: جمهرة الأمثال، 42/2، ولسان العرب، 164/14، بلا نسبة و18/5، وديوان الشماخ، ص390، وينظر مزيد من التخريج هناك، والغرارة: الجوالق التي للتبن، والحثا: حطام التبن.

وقال الأحنف: جنِّبوا مجلسنا ذكر النساء والطعام؛ فإنِّي أبغض أن يكون الرجل وصَّافًا لبطنه وفرجه، وإنَّ من المروءة أن يترك الرجل الطعام وهو يشتهيه[1].

وقال قائلهم: أقلل طعامًا تحمد منامًا[2]، وقال أيضًا: غلبت بطنتي فطنتي[3].

وقال عمرو بن العاص لمعاوية يوم حكم الحكمان: أكثروا الطعام، فوالله ما بطن قوم إلاّ فقدوا بعض عقولهم، وما مضت عزمة رجل بات بطينًا[4].

ومثل هذا كثير لمن تتبَّعه، فكيف تكون المعرفة بالطعام والأدب عليه إلاَّ كما وصفنا؟

فأمّا تركهم إنضاج اللحم فلا أعلمه إلاّ في موضع واحد، وهو إذا سافروا وغزوا فإنَّهم يتمدَّحون بترك الإنضاج لعجلة الزِّماع[5]. وقال الشماخ[6]:

وأشعث قَدْ قَدَّ السِّفارُ قميصَه
يجرُّ الشِّواء بالعصا غيرَ منضَجِ[7]

وقال الكميت:

ومرضوفةٍ لم تؤنَ في الطَّبخ طاهيًا
عجلتُ إلى مُحورِّها حين غرغرا[8]

---

(1) ينظر عيون الأخبار، 220/3، والعقد الفريد، 304/6، وأمالي القالي، 269/1.

(2) من أمثالهم، ينظر مجمع الأمثال، 502/2، والمستقصى، 286/1، وعيون الأخبار، 219/3.

(3) ينظر عيون الأخبار، 219/3.

(4) ينظر عيون الأخبار، 219/3، ونهاية الأرب، 342/3، والعقد الفريد، 347/4، وفي البيان والتبيين، 81/2: «قال عمرو بن العاص: البطنة تُذهب الفطنة»، ومجمع الأمثال، 185/1، والتمثيل والمحاضرة، ص180و454، وأمالي ابن الشجري، 205/2.

(5) الزِّماع: المضاء في الأمر والعزم عليه.

(6) الشماخ بن ضرار بن سنان بن أمامة، أحد بني سعد بن ذبيان. شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، عدَّه الحطيئة في وصيته أشعر غطفان، وجعله ابن سلام في الطبقة الثالثة من الجاهليين ووصفه بأنَّه شديد متون الشعر، وهو من وصّافي القوس والحمار الوحشي المعدودين. ينظر طبقات ابن سلاّم، 132/1، والأغاني، 154/9.

(7) ديوانه، ص80.

(8) ديوانه، 199/1، المرضوفة: القدر التي أُنضجت بالرَّضف؛ وهي الحجارة التي حميت بالشمس أو النار، واحدتها رَضْفَة، ولم تؤن: لم تُحْبس ولم تُبطئ. والمحورّ: القدر المُبيضَّة بالسنام، وغرغر: صوت القُدر إذا غَلَت.

ولـم يزل الشّرب إذا اجتمعوا، الأحداث من أولاد الملوك وغيرهم، يبادرون بالنشيل[1] قبل النضج. قال أعرابي[2] نحر بعيره وشرب:

علِّلاني إنَّما الدّنيا عَلَلْ

ودعاني من ملام وعَذلْ

وانشلا ما اغبرَّ من قدريكما

واسقياني أبعدَ اللهُ الجملْ[3]

وأمّا أكلهم سَقَطَ المائدة فإنَّه إكرام للطعام، وإعظام للنّعمة، وجنس من الشكر لواهبها، ونبذُه في المزابل استخفاف به، وتصغير له، وبخس بموئتيه حقّ عطيَّته. ومَنْ وهب لك شيئًا فصنته[4] وعظَّمته سمحت لك نفسه بالزيادة منه، وإن احتقرته وازدريته كان حرِيًّا أن يقطعه. والطعام أعظم نعم الله على خلقه بعد معرفته؛ لأنَّه مثبت الروح، وممسك الرَّمق، فَمَنْ صانه فقد عظَّم نعمة الله، واستوجب زيادة الله، ومَنْ امتهنه في غير ما خُلق له فقد صغَّرها، واستوجب سُخط الله[5].

حدَّثنا يزيد بن عمرو قال: حدَّثنا أيوب بن سليمان عن محمد بن زياد عن ميمون بن مهران عن ابن عباس قال: ولا أعلمه إلاّ عن النبي ﷺ أنَّه قال: «أكرموا الخبز؛ فإنَّ الله سخَّر له السموات والأرض»[6]. وقد أمرنا ﷺ بأكل سقط المائدة، ورغَّبنا فيه.

---

(1) النشيل: فعله (نشل) إذا أخذ بيده عضوًا فتناول ما عليه من اللحم بفيه.

(2) هو عجير السلولي كما في الأغاني، 60/13، وديوان المعاني، 115/1، اسمه العجير بن عبد الله بن عبيدة بن كعب ابن عائشة... بن عبدالله ابن سلول. شاعر إسلامي مقلّ من شعراء الدولة الأموية، جعله ابن سلاّم في الطبقة الخامسة من شعر الإسلام، ينظر طبقات ابن سلام، 593/2، والأغاني، 56/13، والمؤتلف والمختلف، ص166، وجمهرة أنساب العرب، 272.

(3) البيتان في الأغاني، 60/13و72، وديوان المعاني، 115/1، منسوبان إلى العجير. وهما بلا نسبة في عيون الأخبار، 313/3، وفيه: «ومرَّ رجل من سلول بفتيان يشربون فشرب معهم، فلمّا أخذ منه الشراب قام إلى بعيره فنحره، وقال: ...»، وساق الشعر.

(4) في المطبوع: (صنته)، والزيادة يستقيم بها الكلام.

(5) في عيون الأخبار، 220/3، حديث لرسول الله ﷺ: «مَنْ أكل من سَقَط المائدة عاش في سعة، وعوفي في ولده وولد ولده من الحمق». وينظر العقد الفريد، 293/6، عن سَقَط المائدة.

(6) ينظر عيون الأخبار، 206/3، والعقد الفريد، 293/6، والإمتاع والمؤانسة، 16/3، وهو منسوب في نثر الدرّ،

والعجب عندي من قوم نحلتُهم الإسلام، ونبيهم محمد ﷺ، ثمَّ تتابعت الأخبار عنه بشيء أمر به، أو نهى عنه، فيعارضون ذلك بالعيب وبالطعن، من غير أن يعرفوا العِلَّة، ولا أن يكون لهم في الإنكار له نفع، أو عليهم في الإقرار به ضرر.

وأمّا أكلهم بالبارجين[1] والسكين فمفسدٌ للطعام، ناقص للذّته، والناس يعلمون، إلاّ مَنْ عاند منهم وقال بخلاف ما تعرفه نفسه، أنَّ أطيب المأكول ما باشرته كفُّ آكله، ولذلك خُلقت الكفُّ للبطش، والتناول. والتقذّر من اليد المُطهرة ضَعْف وعجب، وأولى بالتقذّر من اليد الريق، والبلغم، والنخاع الذي لا يسوغ الطعام إلاّ به، وكفُّ الطبّاخ والخبَّاز تُباشره، والإنسان ربَّما كان منه أقلَّ تقذّرًا، أو أشدَّ أُنسًا.

وأمّا الشجاعة فإنَّ العرب في الجاهلية أعزُّ الأمم نفسًا، وأعزُّها حريمًا، وأحماها أنوفًا، وأخشنُها جانبًا، وكانت تغير في جنبات فارس، وتطرقها حتى تحتاج الملوك إلى مُداراتها، وأخذ الرَّهن منها. والعجم تفخر بأساورة الفرس، ومرازبتها[2]، وقد كان لعمري لهم البأس، والنجدة، غير أنَّ بين العرب وبينها فرقًا؛ منه أنَّ العجم كانت أكثر أموالاً، وأجود سلاحًا، وأحصن بيتًا، وأشدَّ اجتماعًا، وكانت تحارب برياسة مُلك، وسياسة سلطان، وهذه أمور تقوّي المُنَّة[3]، وتشدُّ الأركان، وتؤيّد القلوب، وتثبّت الأقدام. والعرب يومئذ منقطعة ليس لها نظام، ومتفرِّقة ليس لها التئام، وأكثرها يحارب راجلاً بالسيف الكليل، والرمح الذليل، والفارس منها يُحارب على الفرس العربي الذي لا سرج له، وعلى السَّرج الرثِّ الذي لا ركاب له، والأغلب على قتال العجم الرمي، والأغلب على قتال العرب السيف والرمح، وهما أدخل في الجدّ، وأبعدُ من الفرار، وأدلُّ على الصبر.

وشجعاؤهم في الجاهلية مثل عُتيبة بن الحارث بن شهاب صيّاد الفوارس[4]، وبسطام

353/1، إلى جعفر الصادق مرة، ولابن عباس، 416/1، مرّة أخرى، وفي زاد المعاد، 163/3: «... وذكر البيهقي من حديث عائشة g ترفعه: أكرموا الخبز، ومن كرامته أن لا ينتظر به الأدم»، وفي مكارم الأخلاق، ص177، أقوال منسوبة إلى أمير المؤمنين علي، وجعفر الصادق عن الخبز وفضله. وفي كتاب الموضوعات لابن الجوزي، 193/1، أنَّ هذا الحديث موضوع لا يصحّ، مع أحاديث أخرى موضوعة عن الخبز، فلينظر.

(1) ينظر ما سبق عن (البارجين).

(2) المرازبة: جمع مرزبان، أعجمي، معرّب، وهو الرئيس من الفرس، ينظر المعرَّب، ص317، ومرَّ تفسير الأساورة.

(3) المُنَّة: قوة القلب.

(4) عتيبة بن الحارث، شاعر، فارس بني تميم غير مدافع، كان قائد الناس في يوم الجونين، إذ أغار على طوائف من بني

ابن قيس[1]، وبجير وعفاق[2]، ابني أبي مليل[3]، وعامر بن الطفيل[4]، وعمرو بن ودّ[5]، وأشباههم. وفي الإسلام مثل الزُّبير، وعليّ، وطلحة، ورجال من الأنصار، وعبد الله بن خازم السُّلمي[6]، وعباد بن الحصين[7].

وقال[8]: ما ظننت أنَّ أحدًا يعدل بألف فارس حتى رأيتُ عبّادًا ليلة كابُل[9]. وقطرّي بن

كلاب فأطرد إبلّهم. نوَّه بشجاعته عمرو بن معدي كرب، ينظر: الديباج، ص15، والحيوان، 104/1، والأغاني، 277/15، وخزانة الأدب، 80/3، وشعر بني تميم، ص213، ففيه تفصيل آخر.

(1) بسطام بن قيس من المضروب بهم المثل في الشجاعة، غزا اثنتين وعشرين غزوة ظفر منها في عشرين، وأسر في واحدة، وقتل في الثانية، ينظر تفصيل ذلك في الممتع، ص164، وعدّه أبو عبيدة فارس ربيعة، ثمار القلوب، ص101، وفي جمهرة الأمثال، 109/2: «بسطام... فارس بكر، ولم يكن في الجاهلية أفرس منه، وتعجّب الجاحظ من ضرب الناس المثل في الشجاعة بعمرو بن معدي كرب... وعنترة، وتركهم ضرب المثل ببسطام».

(2) في المطبوع: (عفاف) وهو تحريف، وأثبتنا الصواب بالقاف (عفاق).

(3) بجير وعفاق: من فرسان العرب المشهورين، كان أبوهما سيّد بني ثعلبة، لهما ذكر في أيام العرب في الجاهلية، قتلهما بسطام ابن قيس. ينظر: الديباج، ص20، وشرح النقائض، 733/2، ولسان العرب، 254/10، وفيه: [مُلَيْك] بدل [مليل].

(4) عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر، فارس مشهور، له وقائع في مذحج، وخثعم، وغطفان، وسائر العرب، وصلت أخبار شجاعته إلى قيصر الروم، أراد الغدر مع أربد بن قيس برسول الله ﷺ فحفظه الله منهما في خبر طويل، مات بغدَّة في عنقه في بيت امرأة من سلول فجعل يقول: «أغدَّة كغدَّة البعير، وموتًا في بيت سلولية»، تنظر ترجمته ومصادرها في المفضليات، ص360.

(5) هو عمرو بن عبد ودّ كما في السيرة، فارس شجاع، معروف، قاتل المسلمين في يوم بدر حتى أثبتته الجراحة، فلم يشهد يوم أحد، قتله عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه يوم الخندق بعد محاورة بينهما، ورثاه شعراء المشركين بعد هذا مبيّنين شجاعته وإقدامه. ينظر سيرة ابن هشام، 235/3–236و278–281.

(6) في المطبوع: (حازم)، وفي الإصابة، 56/6، رقم (4632): عبد الله بن خازم بالمعجمتين، صحابي من أشجع الناس، كان يعتمّ بعمامة خزّ سوداء، ويقول: كسانيها رسول الله ﷺ، وليَ خراسان عشر سنوات، وكان أسود، وهو أحد غربان العرب وفتّاكهم، قتله بنو تميم بخراسان. ينظر المحبِّر، ص221، وما بعدها، والكامل، 315/1و601/2، وفي عيون الأخبار، 175/1، والعقد الفريد، 17/1، والممتع، ص339: «وكان يقال: ما استحى شجاع أن يفرَّ من عبد الله بن خازم، ومن قطري بن الفجاءة»، وفي ثمار القلوب، ص160: «كان والي خراسان لعبد الله بن الزبير... وكان نهاية في الشجاعة والنجدة». وينظر ذيل الأمالي، ص31.

(7) عباد بن الحصين الحبطي، فارس بني تميم في دهره غير مدافع، الاشتقاق، ص202، وجعله المهلب بن أبي صفرة واحد ثلاثة هم أشجع الناس، وقال فيه: «ما كنّا في كربة إلاّ فرَّجها»، ولقبّه براكب البغلة، والأخبار الموفقيات، ص561، ويصفه ابن قتيبة في عيون الأخبار، 128/1، بأنَّه أشدُّ رجال أهل البصرة، وينظر كذلك المحبّر، ص222، والممتع، ص339، والمعارف، ص414، والكامل، 315/1، و890و1307، والبرصان والعرجان، ص459، وخزانة الأدب، 282/4.

(8) القول في المعارف، ص414، والممتع، ص249، وهو منسوب فيهما إلى الحسن.

(9) كابُل: بضم الباء الموحَّدة، ولاية كبيرة بين هند وغزنة، وهي من ثغور طخارستان، ولها عدد من المدن تابعة لها مثل: أذان، وخواش، وجزه، وغيرها. غزاها المسلمون أيام بني مروان وفتحوها. ينظر معجم البلدان، 483/4، ومعجم ما استعجم، 1108/3، مع تعليق المحقق.

الفجاءة، وشبيب الحروري[1] وأمثال هؤلاء عدد الرمل والحصى، ليس منهم أحد إذا أنت توقّفت على أخباره، وحاله في شجاعته، إلاَّ وجدته فوق كلّ أسوار[2].

والرجليون للعرب خاصة. قال أبو عبيدة[3]: رجليّو العرب المشهورون: المنتشر بن وهب الباهلي[4]، وسليك بن عمير السعدي[5]، وأوفى بن مطر المازني[6]. وكان الرجل منهم يلحق بالظبي حتى يأخذَ بقرنيه، وإذا كان زمان الربيع جعلوا الماء في بَيْض نعام مثقوب ثمَّ دفنوه، فإذا كان الصيف، وانقطع الغزو غزوا، وهم أهدى من القطا، فيأتون على ذلك الماء، ويستثيرونه، ويشربونه[7].

وحدَّثني أبو حاتم قال: حدَّثني الأصمعي: أنَّ السليك كان يعدو فتقع سهامه من كنانته بالأرض فترتز[8]. وكان يقول في دعائه: اللهمّ إنِّي أعوذ بك من الخيبة، وأمّا الهيبة فلا

---

(1) هو شبيب بن يزيد بن نُعيم بن قيس بن الصلب بن قيس الخارجي، كان أبوه من مهاجرة الكوفة، خرج في خلافة عبد الملك بن مروان، وكان قبلها مع صالح بن مسرح رأس الصفرية، فلما مات صالح بالموصل أوصى إليه. بعث إليه الحجاج خمسة قواد قتلهم جميعًا، وادّعى الخلافة حتى أرسل إليه عبد الملك جيشًا كثيفًا بقيادة سفيان بن الأبرد الكلبي، وسانده الحجاج بجيشه، وظلَّ يلاحقه حتى مات غرقًا في نهر دجيل، وحُملت جثته إلى الحجاج فمثّل بها. تروي المصادر أخبارًا كثيرة عن شجاعته، وثبات جأشه. ينظر المعارف، ص410–411، وجمهرة أنساب العرب، ص327، ووفيات الأعيان، 163/2، وما بعدها، وشرح نهج البلاغة، 225/4، وما بعدها.

(2) الأسوار: قائد الفرس، وقد مرَّ شرحه.

(3) النص في الديباج، ص31، وما بعدها.

(4) المنتشر بن وهب الباهلي: فارس من الرؤساء في الجاهلية، وهو أخو أعشى باهلة لأمّه، كان رئيس الأبناء يوم أرمام، وهو أحد يوميْ مضر في اليمن، كان يومًا عظيمًا قُتل فيه خلق كثير، قُتل المنتشر وهو في طريقه لزيارة ذي الخلصة؛ وهي الكعبة التي كانت باليمن. و(الأبناء) الذي ورد سابقًا هم أبناء عسكر الفرس الذين أعانوا سيف بن ذي يزن على الحبشة. ينظر: معجم الشعراء، ص468، وسمط اللآلي، 740/2، وخزانة الأدب، 188/1، والأعلام، 222/8–223، والنهاية في غريب الحديث، 17/1.

(5) سليك بن عمير السعدي، ويسمى سليك بن السلكة وهي أمّه، وكانت سوداء، وهو أحد أغربة العرب وصعاليكهم، كان له بأس ونجدة، من أدلّ الناس بالأرض وأجودهم عدوًا على رجليه، وهو شاعر أيضًا، قتله أسد بن مدرك الخثعمي، ينظر الشعر والشعراء، 365/1، مع مصادر المحقّق، والأغاني، 346/20، وما بعدها، وشعر بني تميم، ص42–51.

(6) أوفى بن مطر المازني: من الذين يُضرب بهم المثل في الوفاء، وضعه ابن حبيب في مقدمة (الوافين من العرب)، ينظر المحبّر، ص348، وجمهرة الأمثال، 96/2، وعن سرعة عدوه ينظر البرصان والعرجان، ص248، وخزانة الأدب، 346/3، و401/11، وعن شاعريته ينظر معجم الشعراء، ص468، وشعر بني تميم، ص390.

(7) ينظر الأغاني، 347/20، ومعجم الشعراء، ص468.

(8) ينظر غريب الحديث، 576/2، وترتزّ: تثبت بقوّة.

هيبة[1].

وقرأت في كتب العجم أنّ بهرام جور كان في حجر ملك العرب بالبادية[2]، فلمّا بلغه هلاك أبيه، وأنَّ الفرس عزموا على أن يملِّكوا غيره، سار بالعرب حتى نزل السواد، وطالبهم بالمُلك، وجادلهم عنه، حتى اعترفوا له بالحقّ، وملَّكوه.

وقد كان كسرى أغزى بني شيبان جيشًا، فاقتتلوا بذي قار، فهزمت بنو شيبان أساورة كسرى، فهو يوم ذي قار[3]. ثمَّ كان من أمر العرب وأمر فارس حين جمعهم الله لقتالهم بالإمام، وساسهم بالتدبير، ما لا حاجة بنا إلى الإطالة بذكره لشهرته.

وممّا يدلُّك على تعزّز القوم في جاهليتهم، وأنفتهم، وشدّة حميّتهم، أنَّ أبرويز ملك فارس، وأشدَّها سطوة، وإثخانًا في الأرض، خطب إلى النّعمان بن المنذر إحدى بناته، فردَّه رغبة بها عنه، ولم يزل هاربًا منه حتى ظفر به فقتله[4].

وكان لقريش بيت الله الحرام العتيق، المنصور من الجبابرة بالطير الأبابيل، لم يزالوا ولاته، وسدنته، والقائمين لأموره، والمعظِّمين لشعاره، وكان يقال لهم: أهل الله، وجيران الله[5]؛ لنزولهم الحرم، وجوارهم البيت.

وكان منهم بقايا من الحنيفية[6] يتوارثونها عن إسماعيل ﷺ، منها: حجُّ البيت الحرام وزيارته، والختان، والغُسل، والطلاق، والعتق، وتحريم ذوات المحارم بالمقاربة

---

(1) قول السليك في عيون الأخبار، 1/175–176، والشعر والشعراء، 1/365، والأغاني، 20/347، والممتع، ص341، وثمار القلوب، ص105، وسرح العيون، ص126.

(2) ينظر تاريخ الطبري، 2/68، وما بعدها، ومروج الذهب، 1/287، والكامل في التاريخ، 1/401، وما بعدها، وفيها أنَّ الملك هو المنذر بن النعمان.

(3) ينظر تاريخ الطبري، 2/193، ومروج الذهب، 1/306، والكامل في التاريخ، 1/482.

(4) ينظر تفصيل ذلك في الشعر والشعراء، 1/229–230، والحيوان، 4/375، وما بعدها.

(5) ينظر سيرة ابن هشام، 1/59و137و3/500، والعقد الفريد، 3/313، والممتع، ص81، ورسائل الجاحظ، 3/340، وخزانة الأدب، 4/247، وثمار القلوب، ص10، وقد أسهب الثعالبي في الحديث عن أهل الله فلينظر هناك. وبقيت هذه التسمية بعد الإسلام، إذ قال رسول الله ﷺ لعتّاب بن أسيد لمّا بعثه إلى مكة: «هل تدري على مَنْ استعملتُك؟ استعملتك على أهل الله».

(6) قدّم صاحب المحبَّر تفصيلاً وافيًا عن بقايا الحنيفية التي يوردها ابن قتيبة في فصل ضاف سمّاه (السنن التي كانت الجاهلية سنَّتها فبقّى الإسلام بعضها، وأسقط بعضها)، ص309، وينظر العقد الفريد، 3/324، والحيوان، 7/27، وتأويل مختلف الحديث، ص115، وما بعدها.

والرَّضاع، والصهر[1].

وقد كان حاجب بن زرارة وفد على كسرى فرأى العجم ينكحون الأخوات، والبنات، فسوَّلت له نفسه التأسّي بهم، والدخول في ملَّتهم، فنكح ابنته، ثمّ ندم على ذلك[2]، فقال:

لحا الله دينَك من أغلفٍ ... يُحلُّ الخوات لنا والبناتْ

أحَشْتُ[3] على أسرتي سوءةً ... وطوَّقتُ جيديَ بالمخزياتْ

وأبقيت في عُنُقي سُبَّةً ... مشاتم يَحيَيْن بعد المماتْ

فتاة تجلَّلها شيخها ... فبئس الشيوخُ ونعم الفتاةْ[4]

وممّا كان بقي فيهم من الحنيفية إيمانُهم بالملكين الكاتبين. حدَّثني بعض أصحابنا عن عبد الرحمن بن خالد الناقد قال: كان الحسن بن جَهْور – مولى المنصور – خرَّج إلى بعض ولد سليمان بن عليّ بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب كتابًا كان لعبد المطلب بن هاشم كتبه بخطِّه، فإذا هو مثل خط النساء، وإذا هو: باسمك اللّهم. ذكْر حق عبد المطلب بن

(1) يقول صاحب المحبَّر، ص325: «وكانت العرب لا تنكح البنات ولا الأمهات، ولا الأخوات، ولا الخالات، ولا العمات». وينظر المفصّل، 528/5، وما بعدها ففيه تفصيل وافٍ عن هذا الموضوع مع مصادره.

(2) فصَّل صاحب المفصّل الحديث عن هذا الأمر، وشكّ في زواج حاجب بابنته (دختنوس)، كما شكَّ في الشعر الذي قاله حاجب بعد هذا لأسباب يوردها، ينظر، 544/5، وما بعدها، وينظر شعر بني تميم، ص333.

(3) في المطبوع: (أجشت) وأثبتنا (أحشتُ) لملاءمتها السياق، وفي لسان العرب، 290/6: «حشنا الصيد حوشًا... أخذناه من حواليه لنصرفه إلى الحبالة، وضممناه»، فكأنَّ فعلته هذه جلَّلت أسرته بالعار من الجوانب جميعها مثل الصيد.

(4) الأبيات الثلاثة الأولى منسوبة إلى حاجب باختلاف يسير في الزينة، 148/1، والأغلف: الأصمّ عن سماع الحق وفعله.

هاشم من أهل مكّة على فلان ابن فلان الحميري من أهل زَوْل صنعاء، عليه ألف درهم فضّة طيبّة كَيْلاً بالحُديدة، ومتى دعا بها أجابه. شهد الله بذلك، والملكان[1].

وقال الأعشى:

ولا تحسبنّي كافرًا لك نعمةً

على شاهدي يا شاهد الله فاشهدِ[2]

قوله: على شاهدي؛ أي على لساني شاهد الله؛ أي الملك[3].

ومن ذلك أحكام كانت في الجاهلية أقرّها الله في الإسلام، لا يبْعدُ أن تكون من بقايا دين إسماعيل ﷺ؛ منها: دية النَّفس مئة من الإبل[4]، ومنها اتباع حُكم المَبال في الخنثى[5]، ومنها البينونة بطلاق الثلاثة، وللزوج على المرأة في الواحدة والاثنتين[6].

---

(1) الخبر في نثر الدرّ، 393/1، وفيه: (أول) بدل (زول)، والفهرست، ص7–8، وفيه: (وزل) بدل (زول)، وفي معجم البلدان، 179/3، نصّ مهم قريب منه هو: «... قال ابن خالويه: الزول اسم مكان باليمن، وُجد بخطّ عبد المطلب بن هاشم، وإنَّهم وصلوا إلى زول صنعاء، قال: وكان علي بن عيسى يتعجّب من هذا، ويقول: ما عرفنا أنَّ عبد المطلب يكتب إلاَّ من هذا الحديث»، أمّا (أول) فهو موضع في بلاد غطفان بين خيبر وجبليْ طيئ. ينظر معجم البلدان، 336/1، ومعجم ما استعجم، 213/1، ولا علاقة له بصنعاء اليمن، كما لم يرد ذكر (وزل) في المعجمين السابقين، ومن المفيد أن نشير هنا إلى أنَّ عبد المطلب بن هاشم كان يزور اليمن كثيرًا، ينظر طبقات ابن سعد، 86/1. وقد توقّف الدكتور ناصر الدين الأسد، في كتابه مصادر الشعر الجاهلي، ص68–69، عند هذا النصّ وكان له رأي فيه فلينظر هناك.

(2) ديوانه، ص229، باختلاف يسير.

(3) ينظر الشعر والشعراء، 226/1، ففيه حديث عن هذا البيت، وتأويل مختلف الحديث، ص112.

(4) في طبقات ابن سعد، 89/1، ونثر الدرّ، 393/1، أنَّ أول مَنْ سنّ هذه الدية عبد المطلب بن هاشم، وفي الأوائل ذكر لأشخاص آخرين، ينظر، ص23–24.

(5) ينظر المعمّرون والوصايا، ص57، وفيه أنَّ أول من حكم بهذا الحكم أَمَة كانت لعامر بن الظرب العدواني، وقضى عامر بحكمها هذا، ويضيف أبو حاتم: «... فلما جاء الإسلام شدّد القضية، فصارت سنّة في الإسلام، يعني الإسلام شدّدها». وينظر كذلك سيرة ابن هشام، 129/1، ففيها حديث مستفيض، والأوائل، ص55، وبلوغ الأرب، 179/1، والخنثى: الذي له ما للرجال والنساء جميعًا، والمبال: مكان خروج البول؛ ومفاد الحكم هو مكان خروج البول فإذا خرج من مكان خروج الأنثى عُدَّ الخنثى أنثى، والعكس صحيح.

(6) فصَّل الدكتور جواد علي الحديث عن هذا الموضوع في المفصّل، 548/5 وما بعدها، فلينظر مع مصادره. ويريد بالواحدة والاثنتين الطلقة والطلقتين.

فهذه حالها في الجاهلية، مع أحوال كثيرة في العلم والمعرفة سنذكرها بتمامها[1] بعدُ إن شاء الله.

ثمّ أتى الله بالإسلام فابتعث منها النبي ﷺ، سيّد الأنبياء، وخاتم الرُّسل، وناسخ كل شرعة، وحائز كلّ فضيلة. فنشر[2] عددها، وجمع كلمتها، وأمدَّها بملائكته، وأيَّدها بقوَّته، ومكَّن لها في البلاد، وأوطأها رقاب الأمم، وجعل فيها خلافة النبوة، ثمَّ الإمامة خالدة تالدة حتى يأتي المسيح ﷺ فيصلي خلف الإمام منها، فاردة لا يستطيع أحد أن يأتي بمثلها. وخاطبها يومئذ [و][3] لا عَجَم فيها، فقال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[4]، فلها فضل هذا الخطاب، والأمم طُرًّا داخلة عليها فيه. وأمّا قوله لبني إسرائيل: ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[5] فإنَّه في باب العام الذي أُريد به الخاص، كقوله حكاية عن إبراهيم: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[6]، وحكاية عن موسى: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[7]. وقد كانت الأنبياء قبلهما مؤمنين، ومسلمين، فإنَّما أراد موسى زمانه، وكذلك قوله: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[8]، يريد عالمي زمانهم، وقوله لقريش: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾[9] ليس فيه دليل على أنَّ أهل اليمن خير من قريش في الحسب، ولا أنَّهم مثلهم، وهم من ولد إبراهيم ﷺ، ومن الذرّية التي اصطفى الله على العالمين، وليس لليمن والد من الأنبياء دون نوح. وإنَّما خاطب الله بها مشركي قريش، ووعظهم بمن قبلهم من الأمم الهالكة لمعصيته، وحذَّرهم أن ينزل بهم مثل ما أصابهم فقال: (أهم خير) من أولئك الذين كانت فيهم التبابعة[10]، والملوك ذوو الجنود والعدد، فأهلكناهم بالذّنوب. والخير قد يقع في أسباب كثيرة، يُقال:

---

(1) حبس ابن قتيبة الجزء الثاني من هذا الكتاب على تلك الأحوال التي يشير إليها.

(2) في المطبوع: (ونشر)، وما أثبتناه يتلاءم مع السياق.

(3) زيادة يقتضيها السياق.

(4) آل عمران، 110.

(5) الأعراف، 140، وفي المطبوع: (وفضلكم)، بسقوط (هو).

(6) الأنعام، 163.

(7) الأعراف، 143.

(8) البقرة، 47و122، وفي المطبوع: (وفضلّتكم) بسقوط (أنّي).

(9) الدخان، 37، وينظر عن (عالمي زمانهم) تفسير الطبري، 127/13، وتفسير القرطبي، 142/6.

(10) التبابعة: ملوك اليمن، واحدهم تُبّع، سُمّوا بذلك لأنَّه يتبع بعضهم بعضًا كلّما هلك واحد قام مقامه آخر تابعًا له على مثل سيرته. لسان العرب، 31/8.

هذا خير الفارسين؛ يريد أجلدهما، وهذا خير العودين؛ يريد أصلبهما، وكانت قريش – كما قال الله – قليلاً فكثَّرهم، ومستضعفين فأيَّدهم بنصره، وخائفين أن تتخطَّفهم الملوك فآمنهم بحرمه بما رهصه[1] لهم، وأراد من تمكينهم، وإعلاء كلمتهم، وإظهار نوره لهم، وتغيير ممالك الأمم لهم.

ومَنْ ذا من المسلمين يصحُّ إسلامه ويصحُّ عقده يُقدِّم على قريش، أو يعادل بها؟ وقد قضى الله لها بالفضل على جميع الخليقة، إذ جعل الأئمة منها، والإمامة فيها، مقصورة عليها ألا تكون لغيرها، والإمامة[2] هي التقدُّم[3]، وهذا نص ليس فيه حيلة لمتأوّل.

قال رسول الله ﷺ: «الأئمَّة من قريش»[4].

وروى وكيع عن الأعمش عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «الناس تبع لقريش في الخير والشرّ»[5].

وروى وكيع عن سفيان عن ابن خشيم عن إسماعيل عن عبد الله عن أبيه عن جدّه قال[6]: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ قريشًا أهل صبر وأمانة، فمن بغاهم الغوائل كبّه الله لوجهه يوم القيامة»[7].

ورُوي عن عبد الأعلى عن معمر عن الزُّهري عن سهل بن أبي حثمة أنَّ رسول الله ﷺ قال[8]: «تعلَّموا من قريش ولا تُعلِّموها، وقدّموا قريشًا ولا تؤخِّروها»[9].

---

(1) رهص: أسّس وثبّت.

(2) ينتهي الخرم في المخطوط هنا، ذلك الذي أشرنا إليه فيما سبق.

(3) ينظر لسان العرب، 24/12.

(4) مسند الإمام أحمد، 129/3و183و421/4، وله تتمّة هي: «إذا استرحموا رحموا، وإذا عاهدوا وفوا، وإذا حكموا عدلوا، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين». وينظر العقد الفريد، 258/4، وتاريخ الخلفاء، ص9.

(5) صحيح مسلم، 200/12، وصحيح الترمذي، 503/4.

(6) سقط السند في المخطوط.

(7) إرشاد الساري، 6/6، وفتح الباري، 533/6.

(8) سقط السند في المخطوط.

(9) ينظر فتح الباري، 530/6، والعقد الفريد، 320/3.

[وروى يزيد بن هارون عن ابن أبي ذئب][1] عن الزهري عن طلحة بن عبد الله بن عوف عن عبد الرحمن[2] بن جبير بن مطعم أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ لقريشي[3] قوَّة رجلين من غير قريش». قيل للزُّهري: ما عنى بذلك؟ قال: فضل الرأي[4].

قال: وكان يقال: قريش الكتبة الحسبة، ملح هذه الأمة، علم عالمها طباق الأرض[5].

وحدَّثني يزيد بن عمرو عن محمد بن يوسف عن أبيه عن إبراهيم عن مكحول[6] أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا يقومنَّ أحد إلاّ لهاشميّ».

وحدَّثني يزيد بن عمرو قال: حدَّثنا نصر بن خلف الضَّبي قال: حدَّثنا علي بن عبد الله[7] بن وثّاب المدني عن مطرف بن خُويلد[8] الهذلي قال: سمع رسول الله ﷺ رجلاً وهو يقول:

إنّي امروٌ حميريٌّ حين تنسبني

لا من ربيعة آبائي ولا مُضَرُ

فقال: ذاك أضرع لخدِّك، وأبعد لك من الله ورسوله[9].

وحدَّثنا محمد بن عُبيد قال: حدَّثنا أبو زيد شجاع بن الوليد قال: حدَّثنا أبو قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه[10] عن سلمان قال: قال رسول الله ﷺ: «يا سلمان لا تبغضني فتفارق دينك». قال: قلت: يا رسول الله، كيف أبغضك وبك هداني الله؟ قال: «لا تبغض العرب فتبغضني»[11].

---

(1) ما بين المعقوفين ساقط في المخطوط.

(2) في المخطوط: (عبد الرحمن بن الأزهر).

(3) في المخطوط: (للقرشيّ).

(4) في المخطوط: (في فضل الرأي).

(5) ينظر غريب الحديث، 364/1.

(6) سقط السند في المخطوط.

(7) في المخطوط: (عبدالله بن علي).

(8) في المخطوط: (بن أبي خويلد).

(9) ينظر المحاسن والمساوئ، 118/1، ونُسب البيت في نور القبس إلى السيد الحميري، وهو خطأ؛ لأنَّ السيد وُلد عام 105 للهجرة، وتوفي عام 173 للهجرة، ويخلو ديوان السيّد من البيت، وهو بلا نسبة في العمدة، 326/1، وكفاية الطالب، ص135.

(10) سقط السند في المخطوط.

(11) صحيح الترمذي، 723/5، وفيه: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلاّ من حديث أبي بدر بن شجاع بن الوليد، وسمعت محمد بن إسماعيل يقول: أبو ظبيان لم يدرك سلمان، مات سلمان قبل علي»، وينظر العثمانية، ص220، ففيه حديث طويل.

وروى محمد بن بشر العبدي قال: حدَّثنا أبو عبد الرحمن عن حصن بن عمير عن مخارق بن عبد الله بن جابر عن طارق بن شهاب عن عثمان بن عفان[1] قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ غشَّ العرب لم يدخل في شفاعتي، ولم تنله مودَّتي»[2].

وروى حُميد بن عبد الرحمن عن عبد الله بن المؤمل عن عطاء عن ابن عباس قال[3]: قال رسول الله ﷺ: «إذا اختلف الناس فالحقُّ في مضر»[4].

وروى أبو نعيم عن الثّوري عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث عن المطلب ابن أبي وداعة [والمطلب بن ربيعة][5] أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ الله خلق الخَلْقَ فجعلني في خير خلقه، وجعلهم فرقًا فجعلني في خيرهم فرقة، وخلق قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة، وجعلهم بيوتًا فجعلني في خيرهم بيتًا»[6].

ثمّ يتلو[7] العرب في شرف الطَّرفين أهل خراسان، أهل الدعوة، وأنصار الدولة، فإنَّهم لم يزالوا في أكثر مُلك العجم لقاحًا[8]، لا يؤدُّون إلى أحد إتاوة، ولا خراجًا.

وكانت[9] ملوك العجم قبل ملوك الطوائف تنزل بلخ[10]، ثمَّ نزلوا بابل، ثمّ نزل أردشير

---

(1) سقط السند في المخطوط.

(2) مسند الإمام أحمد، 72/1، وصحيح الترمذي، 724/5، وفيه: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلاّ من حديث حُصين ابن عمير الأحمسي عن مخارق، وليس حصين عند أهل الحديث بذلك القويّ».

(3) سقط السند في المخطوط.

(4) ينظر المحاسن، والمساوئ، 118/1.

(5) ما بين المعقوفين ساقط في المخطوط.

(6) للحديث تتمة في المخطوط هي: «فأنا خيركم بيتًا، وخيركم نفسًا»، ينظر المحاسن والمساوئ، 118/1–119، والعقد الفريد، 316/3و251/4، وطبقات ابن سعد، 20/1، وسنن الترمذي، 545/5، ومسند الإمام أحمد، 324/3.

(7) في المخطوط: (تتلو)، ومن هنا إلى قوله: (وقتلوا كسرى بن فيروز) ينقله صاحب معجم البلدان، 402/2، باختلاف يسير، ويشير إلى ابن قتيبة.

(8) لقاح: يقال قوم لقاح؛ أي: لم يدينوا للملوك، ولم يُملكوا. وقد وُصِفَتْ قريش بهذا الوصف في مواضع كثيرة.

(9) من هنا إلى قوله: «... واستباحوا عسكره» ينقله صاحب العقد الفريد باختلاف يسير بلا إشارة إلى ابن قتيبة. ينظر 126/1–127.

(10) بَلْخ: مدينة من أجلِّ مدن خراسان، وأكثرها خيرًا، وأوسعها غلَّة، وقيل إنَّ الإسكندر هو الذي بناها، وكانت تسمى الإسكندرية، ينظر معجم البلدان، 568/1.

بابك فارس[1]، فصارت دار ملكهم، وصار بخراسان ملوك الهياطلة[2]، وهم الذين قتلوا فيروز بن يزدجر[3] بن بهرام ملك فارس، وكان غزاهم، فكادوه في طريقه بمكيدة حتى سلك سبيلاً معطشة مهلكة، ثمّ خرجوا إليه فأسروه، وأكثر أصحابه، فسألهم أن يمنّوا عليه، وعلى مَنْ أُسِرَ معه، وأعطاهم موثقًا من الله ألاّ يغزوهم، ولا يجوز حدودهم، ونصب حجرًا بينه وبين بلدهم جعله الحدَّ الذي حلفَ عليه[4]، وأطلقوه، فلمّا عاد إلى مملكته أخذته[5] الأنفة والحميَّة بما أصابه، فعاد لغزوهم ناكثًا لأيمانه، غادرًا بذمَّته، وحمل الحجر الذي كان نصب[6]، أمامه في مسيره، يتأوّل أنّه ما تقدَّم الحجر؛ فإنَّه لم يجزه، فلمّا سار إليهم ناشدوه الله، وأذكروه[7] ما جعل على نفسه من عهد، وذمَّته، فأبى إلاّ لجاجًا ونكثًا، فواقعوه فقتلوه، وقتلوا حُماته وكُماته، واستباحوا عسكره، وأسروا ضعفته، ولبثوا في أيديهم أسرى، ثمّ أعتقوهم وأطلقوهم، وغبروا بعد ذلك زمانًا طويلاً، وقتلوا كسرى بن فيروز، وهذا شيء يُخبر به عن فارس[8] فيما دوَّنوا في سير ملوكهم من أخبارهم. ومَنْ أقرَّ بها على نفسه لعدوّه، وأباحه[9] لخصمه، فما ظنَّك بمن ستر وزيَّن من أمره؟

وكان فيما حكوا من الكلام الدائر بين ملك الهياطلة وبين فيروز كلام أحببت أن أذكره في هذا الموضع؛ لأدلَّ به على حكمة القوم، وحزمهم في الأمور، وعلمهم بمكايد[10] الحروب، قالوا: لمّا التقى الفريقان ثمّ تصافُّوا للقتال، أرسل إخشنواز [ملك الهياطلة إلى

---

(1) في المطبوع: (أزدشير)، وهو خطأ مطبعي، والصواب (أردشير)، وينظر الأخبار الطوال، ص42، وما بعدها في أمر نزوله فارس واستيلائه عليها.

(2) الهياطلة: جيل من الناس كانت لهم شوكة، وكانت لهم بلاد تخارستان، ينظر مفاتيح العلوم، ص152.

(3) ينظر تاريخ الطبري، 82/2، وما بعدها، وفيه القصة التي يوردها ابن قتيبة باختلاف يسير، وفيه أنَّ أنو شروان قتل ملك الهياطلة «مطالبًا بوتر جدّه فيروز»، ينظر، 103/2، ومروج الذهب، 289/2، ويشير المسعودي إلى أنَّ أنوشروان قتل بعد هذا ملك الهياطلة أخشنواز بجدّه فيروز هذا. ينظر 294/1، والعقد الفريد، 126/1، وما بعدها، والأخبار الطوال، ص602.

(4) في المخطوط تتمة هي:(وأشهد على ذلك الله ومَنْ حضره من مرازبته وأساورته فمنّوا عليه).

(5) في المخطوط: (دخلته).

(6) في المخطوط: (نصبه).

(7) في المخطوط: (واذكروه به و).

(8) في المخطوط: (أهل فارس).

(9) ساقطة في المخطوط.

(10) في المخطوط: (مكايد).

فيروز يسأله أن يبرز فيما بين الصَّفين ليكلِّمه، فخرج إليه. فقال[1] إخشنواز:][2] قد ظننت أنّه لم يدعُك إلى مقامك هذا إلاّ الأَنَف[3] ممَّا أصابك، ولعمري لئن كُنَّا احتلنا لك بما رأيت، لقد كنت التمست منَّا أعظم منه، وما ابتدأنا ببغي ولا ظُلم، ولا أردنا إلاّ دفعك عن أنفسنا وحريمنا، ولقد كنت جديرًا أن تكون من سوء مكافأتنا عليك، وعلى مَنْ معك، ونقض[4] العهد والميثاق الذي أكَّدت على نفسك أعظم أنفًا، وأشدَّ امتعاضًا ممّا نالك منّا، فإنَّا أطلقناكم وأنتم [أسارى، ومننَّا عليكم وأنتم مشرفون على الهلكة، وحقنَّا دماءكم وبنا على سفكها قدرة، وإنَّا لم نجبرك على ما شرطت لنا، بل كنت الراغب إلينا فيه، والمريد لنا عليه.

ففكِّر في ذلك، ومثِّل بين هذين الأمرين فانظر أيُّهما أشد عارًا، وأقبح سماعًا: أن طلب رجل أمراً فلم يُتح له،وسلك سبيلاً فلم يظفر فيها بُبغية، واستمكن منه عدوه على حال جهد منه، وضيقة ممَّن معه، فمنَّ عليهم، وأطلقهم على شرط شرطوه، وأمر اصطلحوا عليه، فاصطبر لمكروه القضاء، واستحيا من الغدر والنكث، أم أنّ يقال نقض العهد، وختر[5] بالميثاق، مع أنِّي قد ظننت أنَّه يزيدك لجاجة ما تثق به من كثرة جنودك، وما تراه من حُسن عدَّتهم، وما أجدني أشكُّ في أنَّهم – أو أكثرهم – كارهون لما كان من شخوصك بهم، عارفون بأنَّك قد حملتهم على غير الحقّ، ودعوتهم إلى ما يُسخط الله، فهم في حربنا غير مستبصرين، ونيّاتهم اليوم في مناصحتك مدخولة، فانظر ما غَناء مَنْ يقاتل على هذه الحالة، وما عسى أن تبلغ نكايته في عدوِّه إذا كان عارفًا أنَّه إن ظفر فمع عار، وإن قُتل فإلى النار.

فأنا أذكِّرك الله الذي جعلته على نفسك كفيلاً، ونعمتي عليك، وعلى مَنْ معك بعد يأسكم من الحياة، وإشرافكم على الممات، وأدعو إلى ما فيه حظُّك، ورُشدّك من الوفاء بالعهد، والاقتداء بآبائك الذين مضوا على ذلك في كلِّ ما أحبّوا، أو كرهوا، فأحمدوا عواقبه، وحسن عليهم أثره، ومع ذلك إنَّك لست على ثقة من الظفر بنا، والبلوغ لبغيتك فينا، وإنَّما تلتمس منا أمرًا نلتمس منك مثله، وتبادئ عدوًا لعلَّه يُمنح النَّصر عليك.

(1) يورد ابن قتيبة في عيون الأخبار، 119/1، وما بعدها هذه المحادثة باختلاف يسير.

(2) ما بين المعقوفين ساقط في المخطوط.

(3) في المخطوط: (الأنفة).

(4) في المخطوط: (ومن نقض).

(5) الخَتْر: أسوأ الغدر وأقبحه، وفي الحديث: «ما ختر قومٌ بالعهد إلاّ سُلِّط عليهم العدو».

فدونك هذه النصيحة، فبالله ما كان أحد من أصحابك ببالغ لك أكثر منها، ولا زائد لك عليها، ولا يحرمنَّك منفعتَها مخرجُها منِّي، فإنَّه لا يُزري بالمنافع عند ذوي الرأي أن تكون من الأعداء][1]، كما لا يُحبّب المضارَّ إليهم أن تكون على أيدي الأولياء، ونحن نستظهر بالله الذي اعتذرنا إليه، ووثقنا بما جعلت لنا من عهده، إذا استظهرت بكثرة جنودك، وازدهتك عدَّة أصحابك.

واعلم أنَّه ليس يدعوني إلى ما تسمع من مقالتي[2] ضعف أحسُّه من نفسي، ولا قلَّة من[3] جنود، ولكنّي أحببت أن أزداد بك حجَّة واستظهارًا، وأزداد به[4] للنَّصر[5] والمعونة من الله استيجابًا، ولا أوثر على العافية والسلامة ما وجدت إليهما سبيلاً.

فأبى فيروز إلاّ لجاجًا، وتعلّقًا بحجَّته في الحجر الذي قدَّمه أمامه، فقال له اخشنواز: لا يغرَّنك ما تخدع به نفسك من حمل الحجر أمامك؛ فإنَّ الناس لو كانوا يعطون العهود على ما تُقدِّمه من إسرار أمر وإعلان آخر، [إذًا][6] ما كان ينبغي لأحد أن يغترَّ بأمان، ولا يثق بعهد، وإذًا [لما][7] قَبِلَ الناس ذلك، ولكنَّه وضع على العلانية، وعلى نيَّة مَنْ تُعقد له العهود والشروط. ثمَّ أخرج أخشنواز الصحيفة التي كتبها إليهم فيروز، فرفعها على رمح [لينظر إليها أهل عسكر فيروز][8]، فتذكَّروا غدره [وبغيه، وخرجوا من متابعته][9]، وانتقض عسكره [واختلفوا، وما لبثوا إلاّ يسيرًا حتى انهزموا][10]، فقُتلوا إلاّ قليلاً، وأُسروا، [وقُتل][11] فيروز، [فقال][12] اخشنواز: أن لقد صدق الذي قال: لا ردَّ لما [قُدِّرَ، و][13] لا أشدَّ إحالة لنافع الرأي من الهوى واللجاج، ولا أضيع من نصيحة يُمنحها مَنْ لا يوطِّن نفسه على قبولها، والصَّبر على مكروهها، ولا أسرع عقوبة وأسوأ عاقبة من البغي والغدر، ولا أجلب لعظيم العار والفضوح من إفراط العجز والأنف.

---

(1) ما بين المعقوفين ساقط في المخطوط.

(2) في المخطوط: (مقالي).

(3) ساقطة في المخطوط.

(4) ساقطة في المخطوط.

(5) إلى هنا آخر ما جاء في المطبوع، ويُستأنف الكلام في المخطوط.

(6) طمس بمقدار كلمة، والزيادة من عيون الأخبار، 120/1.

(7) كلمة ساقطة من المخطوط، والزيادة من عيون الأخبار، 120/1، وبها يستقيم الكلام.

(8) (9) (10) (11) (12) (13) طمس في المخطوط، والزيادة من عيون الأخبار، 121/1.

قالوا: ولمّا ملك أنو شروان صاهر خاقان،[1] واستعان به على الهياطلة، فأعانه عليهم حتى أدرك ثأره، وقتل ملكهم وأهل بيته، فاستغاثتُه بملك الترك دليل على الضعف [ ][2].

فهذه حال أهل خراسان قبل الإسلام، ثمَّ[3] أتى الله بالإسلام فكانوا فيه أحسن الأمم رغبة، وأشدَّهم إليه مسارعة منًّا من الله عليهم، وتفضيلاً لهم، وإحسانًا إليهم، وأسلموا طوْعًا، ودخلوا فيه أفواجًا، وصالحوا عن بلادهم صُلحًا، فخفَّ خراجهم، وقلَّت [نـ][4]ـوائبهم، ولم يجرِ عليهم سباء، [ولم يسفك فيما بينهم][5] دم.

ولما رأى الله [ ][6] العزيز وأهل السيئات [ ][7] وإخراجهم البلاد واستئـ[ثارهم][8] بالفيء، و[تهالكهم][9] على المعازف والملاهي، وإعراضهم عمّا وجب عليهم فيما قلَّدهم، ابتعث لهم جنودًا من أهل خراسان جمعهم من أقطارها كما يُجمع قزع[10] الخريف، وألبسهم الهيبة، ونزع من قلوبهم الرَّحمة، فساروا نحوهم كقطع الليل المظلم، وقد أخذوا بلبس السواد، وطوَّلوا الشعور، وشدّوا المآزر دون النساء[11]، حتى انتزعوا مُلك بني أميَّة من أكبر ملوكهم نسبًا، وأشدِّهم حنكة، وأحزمهم رأيًا، وأكثرهم عُدَّة وعديدًا[12]، وأثخنهم[13] كاتبًا ووزيرًا[14]، وسلّموه إلى بني العبّاس.

---

(1) ينظر تاريخ الطبري، 103/2، ففيه حديث المصاهرة، ورسائل الجاحظ، 82/1، وخاقان هو ملك الترك الأعظم.

(2) كلمة غير مقروءة.

(3) من هنا إلى قوله: [فيما بينهم دم] ينقله صاحب معجم البلدان، 402/2، وهو يشير إلى ابن قتيبة.

(4) حرف غير مقروء، والزيادة من معجم البلدان، 402/2.

(5) طمس في المخطوط، والزيادة من معجم البلدان، 402/2.

(6) طمس في المخطوط.

(7) طمس في المخطوط.

(8) طمس في المخطوط والزيادة يقتضيها السياق.

(9) طمس في المخطوط والزيادة يقتضيها السياق.

(10) قَزَع: واحدتها قَزَعة؛ وهي السحاب المتفرّق.

(11) شدوا المآزر دون النساء: كناية تشير إلى ابتعادهم عن النساء والانشغال بهن، والانصراف إلى الحرب والاستعداد.

(12) يريد به مروان بن محمد بن مروان بن الحكم، وهو كما ذكر ابن قتيبة، وساق من أوصافه. ينظر تفصيل حياته كتاب مروان بن محمد، سعدي أبو جيب، فقد كسر الكتاب كلّه على حياته وجوانبها المختلفة المضطربة.

(13) أثخنهم: رجل ثخين: حليم رزين، ثقيل في مجلسه، قويّ في رأيه.

(14) يريد به عبد الحميد بن يحيى الكاتب المشهور الذي فتق أكمام البلاغة، وسهَّل طرق الكتابة، ووصف بأنّه أول مَنْ بدأ الكتابة. كان كاتب (مروان بن محمد)، وموضع سرّه، ولُقِّب بوزير مروان لمكانته العالية عنده. قتله العباسيون بعد معركة الزاب التي أنهت الدولة الأموية، ينظر كتاب عبد الحميد الكاتب. د. إحسان عباس ففيه تفصيل وافٍ عن حياته، ومكانته.

وقد كان محمد بن علي بن عبد الله بن العباس قال لدعاتهم حين أراد توجيههم إلى الأمصار: أمّا الكوفة فشيعة عليٍّ وولده، وأمّا البصرة وسوادها فعثمانية [تدين بالكف[1]][2] [وتقول: كن عبد][3] الله المقتول ولا تكن [عبدالله القاتل، وأمّا][4] الجزيرة فحرورية مارقة، [وأعراب كأعلاج، ومسلمون في أخلاق][5] النصارى، وأمّا أهل الشام [فليس يعرفو]ن[6]، إلاَّ آل أبي سفيان، وطاعة بني مروان، وعداوة راسخة، وجهلاً متراكمًا. وأما مكة والمدينة فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر رحمهما الله، فعليكم بأهل خراسان، فإنَّ هناك العدد الكثير، والجَلَد الظاهر، وهناك صدور سليمة، وقلوب فارغة لم تتقسَّمها الأهواء، ولم تتوزَّعها النِّحل، ولم يقدح فيها فساد، وهم جند لهم أبدان وأجسام ومناكب وكواهل وهامات ولحى وشوارب، وأصوات هائلة[7]، ولغات فخمة تخرج من أفواه منكرة. وبعد، فإنِّي أتفاءل إلى المشرق، وإلى مطلع سراج الأرض، ومصباح الخلق.

ولمّا بلغ الله إرادته في بني أميَّة وبني العباس، قام أهل خراسان مع خلفائهم على أسْكن ريح، وأحسن دعة، وأشدّ طاعة، وأكثر تعظيم لسلطان، وأحمد سيرة في رعيَّة، يُتزيَّن عندهم الحسن، ويـ [ستتر منهم بالقبيح، إلى ما كان][8] من قضاء الله، ورأي [الخلفاء الراشدين في الاستبدال بهم، وتصيير][9] التدبير لغيرهم، ولا [ ][10] المستعان.

ولخراسان [ ][11] طيب [ ][12] التربة، وعذوبة الثمر [ ][13]م الصنعة، وتمام الخلقة، وطول القامة، وحسن الوجوه، وجودة السلاح والدروع والثياب، وأهل التجارب، على أنَّ ما كان له أصل بخراسان فهو خير من جميع ما في الأرض من ذلك

---

(1) الكفّ: الامتناع عن القتال. وفي تاريخ الدعوة العباسية يرد مصطلح [الكفيَّة] وهم مَنْ أجاب الدعوة قبل ظهور أبي مسلم، ومَنْ دخل في الدعوة بعد ظهور أبي مسلم فليس من الكفيّة. ينظر أخبار الدولة العباسية، ص205.

(2) و(3) و(4) و(5) و(6) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط، والزيادة من عيون الأخبار، 204/1، وأخبار الدولة العباسية، ص206، ومعجم البلدان، 403/2، وتنظر رسائل الجاحظ، 16/1، وفيها يرد القول تامًا باختلاف يسير.

(7) تنظر رسائل الجاحظ، 18/1–20.

(8) طمس في المخطوط والزيادة من معجم البلدان، 403/2.

(9) طمس في المخطوط والزيادة من معجم البلدان، 403/2.

(10) و(11) و(12) و(13) طمس في المخطوط.

الجنس [   ][1] الترك أشدُّ الناس بأسًا، وأغلظهم أكبادًا، وأصبرهم على البؤس أنفسًا، وأقلَّهم شغبًا وخفضًا[2]، يثخنون فيهم القتل، ويأسرونهم، وبهم يدفع الله عن المسلمين حربهم، وكيدهم، وقد جاء في الحديث: «تاركوا الترك ما تاركوكم»[3]، وجاء عن النبي ﷺ فيها ما لا أعلم أنَّه جاء مثله في شيء من البلاد إلاّ في الحرمين، والأرض المقدَّسة.

حدّثني أحمد بن الخليل قال: حدَّثنا محمد بن الخصيب بن حمزة عن سليمان بن بريدة قال: حدَّثني أوس بن عبد الله بن بريدة: [قال النبي صلى الله علـ][4] ـيه وسلّم: «يا بُرَيْدة، إنَّه [سيبعث بعدي بعوث، فإذا][5] بُعثت فكن في [أهل بعث المشرق [ثمّ كن][6] في بعث خراسان ثمَّ في بعث][7] أرض يقال لها: مرو، فإذا أتيتها [فانزل][8] مدينتها؛ فإنَّه بناها ذو القرنين، وصلَّى فيها. [غزيرة][9] أنهارها تجري بالبركة، على كل نقب منها مَلَك شاهر سيفه يدفع عن أهلها السوء إلى يوم القيامة». فقدمها بُرَيدة[10] فمات فيها رحمه الله[11].

وجهد[12] الطاعن على أهل خراسان أن يدَّعي عليهم البخل، ودقَّة النظر[13]، ويشنِّع

---

(1) طمس في المخطوط.

(2) يذهب الدكتور عبد الله الجبوري في كتابه عن ابن قتيبة، ص20، إلى أنَّه من أبناء الترك، أو الأكراد لأسباب، وقرائن ساقها في ذلك الكتاب، ولعلَّ في حديث ابن قتيبة السابق عن الترك ما يؤكد نسبته إليهم من حيث إطراؤه الواضح لهم، واستغراقه في مديحهم، والثناء عليهم.

(3) مجمع الزوائد، 312/7، وتفسير القرطبي، 85/11، ورسائل الجاحظ، 58/1، و76 وفيها أنَّه من الأخبار المأثورة، ونثر الدرّ، 243/1، ومعجم البلدان، 27/2، وسنن أبي داود، 486/4 مع التخريج.

(4) و(5) و(6) و(7) و(8) و(9) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط، والزيادة من عيون الأخبار، 215/1، ومعجم البلدان، 132/5–133.

(10) الحديث في عيون الأخبار، 215/1، وبريدة هو الصحابي بُريدة بن الحصيب بن عبدالله بن الحارث الأسلمي، أسلم حين مرّ به رسول الله ﷺ مهاجرًا بالغميم، وأقام في موضعه حتى مضت بدر وأحد، وشهد الحديبية فكان ممَّن بايعه بيعة الرضوان تحت الشجرة، وسكن البصرة، وغزا خراسان في زمن عثمان، ثمَّ تحوَّل إلى مرو فسكنها إلى أن مات في خلافة يزيد بن معاوية سنة ثلاث وستين، وقبره بالحصن، وهي مقبرة بمرو. ينظر الإصابة، 241/1، رقم (629)، والاستيعاب، 41/2، رقم (218).

(11) في كتاب الموضوعات، لابن الجوزي، 363/1–364 حديث طويل عن فضائل بعض مدن خراسان، ومنها مرو، وفيه هذا الحديث الذي يصفه ابن الجوزي بقوله: «هذا حديث لا يشكّ في وضعه».

(12) من هنا إلى قوله: «... في جميع الأرض»، ينقله صاحب معجم البلدان، 133/5.

(13) يقول صاحب العقد الفريد، 174/6: «أجمع الناس على بخل أهل مرو ثمَّ أهل خراسان»، وينقل الثعالبي في ثمار القلوب، ص693، قول يحيى بن أكثم لرجل سأله: «أخطأت باب الرزق من ثلاثة أوجه: أحدها أنّي امرؤ مروزي، وبخل أهل مرو مضروب به المثل». وممّا يذكر هنا أنَّ النقباء الاثني عشر الذين تولّوا نشر الدعوة العباسية في زمن استتارها كانوا جميعًا من أهل مرو، ثم إنَّ أربعين رجلاً من أصل سبعين هم نظراء النقباء كانوا من أهل مرو أيضًا، ينظر أخبار الدولة العباسية، ص216–217.

بمثل قول ابن ثمامة[1]: إنَّ الديك في كلِّ بلد لافظة[2] إلاَّ بمرو[3]؛ فإنَّها تستلب من الدجاج ما في مناقيرها من الحَب. وهذا كذب بيِّن ظاهر للعيان، لا يُقدم على مثله إلا الوقاح[4] البهات، الذي لا يتوقَّى الفضوح والعار. وما ديكة مرو إلاّ كالديوك في جميع الأرض، ولا أهل خراسان في البُخل إلاّ كسائر الناس؛ لأنَّ البخل خلة مــن خلال الشر، وأهل خلال الشر أضعــاف أهــل [ ][5] الأذى ليس فيهم من الأ [ ][6] ومن الحكماء والشجعان [ ][7] سخفاء جبناء بخلاء ومقاربو[ ][8] على هذا أسَّست الدنيا، وبه جرى تقدير اللطيف [الخبير][9].

وقد يُرى أهل خراسان عند أهل العراق في هذا الباب ممَّن يرون من الحاجّ[10]، وأكثر الحاجّ في كلّ سنة أهل الرساتيق[11]، وأهل القرى، والأوباش، والأغلب على هذه الطبقة دقَّة النظر، وسوء الأدب.

ولأهل خراسان أجواد مبرزون لا يُجارَون، ولا يُبلغ شأوهم، فمنهم البرامكة، ولا نعلم أنَّ أحدًا قرب من السلطان قربهم، فأعطى عطاءهم، وصنع صنيعهم، واعتقد[12] بيوت الأموال حرًّا كان أم عبدًا منًّا عليهم، ومن المشهور عنهم أنَّه لم يكن لخالد بن برمك أخ إلاّ بنى له دارًا على قدر كفايته، ثمَّ وقف على أولاده ما يعيشهم أبدًا، ولم يكن لأحدٍ من

---

(1) هو ثمامة بن أشرس النميري، أحد المعتزلة البصريين. ورد بغداد واتصل بالخليفة هارون، وغيره من الخلفاء، أثنى عليه الجاحظ ثناءً جميلاً غير مرّة. ينظر البيان والتبيين، 111/1، ورسائل الجاحظ، 61/1، وتاريخ بغداد، 145/7.

(2) في الحيوان، 152/1: «اللافظة الديك الشاب». وينظر لسان العرب، 461/7.

(3) مَرو: هي مَرو الشاهجان أشهر مدن خراسان، وقصبتها وتسمّى أمّ خراسان، مدينة كبيرة كثيرة الخيرات، شهدت أحداثًا جسامًا في أواخر الدولة الأموية، وبداية الدولة العباسية، ينظر معجم البلدان، 132/5، ومعجم ما استعجم، 1216/4، وثمار القلوب، ص255.

(4) الوقاح: قليل الحياء.

(5) و(6) و(7) و(8) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط.

(9) ظهرت الراء وحدها فأثبتنا [الخبير] لملاءمتها السياق.

(10) الحاجّ: جماعة الحجيج، ومنه قوله: أقبل الحاجّ والداجّ، وهؤلاء الداجّ وليسوا بالحاجّ، والداجّ الذي يخرج للتجارة، ينظر لسان العرب، 227/2.

(11) الرساتيق: جمع رستاق، فارسي معرّب، وهو السواد والقرى. ينظر المعرب، ص158، ولسان العرب، 116/10، والمفصّل في الألفاظ الفارسية المعرّبة، ص209.

(12) اعتقد الشيء: اقتناه.

إخوانه ولد إلاّ من جارية هو وهبها له[1].

ومنهم القحاطبة[2] [ ][3] هو خير في قرآن [ ][4] ألف ألف دينار [ ][5] لا عن أن يوهب.

وممّن [يؤثر على][6] نفسه بما ملك عبد الله بن المبارك[7]، كان [يفرّق][8] ماله على إخوانه، ويؤثرهم بأرباحه، ويلبس ثوبًا بثلث دينار، ويُعطي صاحب الحمّام أحيانًا دينارًا، والحاجم دينارًا.

وأمّا الأمة التي بسق أولها وعفا آخرها، فأهل فارس؛ كانوا في سالف الدَّهر أعظم الأمم مُلكًا، وأكثرهم أموالاً، وأشدَّهم شوكة، وكانت الملوك في جميع الأطراف والأقاليم تعترف بذلك، [ ][9] أن يهادنهم. وكانت العرب تدعوهم الأحرار، وبني الأحرار؛ لأنَّهم كانوا يسبون ويستخدمون، ولا يُسبون ولا يُستخدمون، ثمّ أتى الله بالإسلام فكانوا كنار خمدت، وكرماد اشتدَّت به الريح، فتبدَّد جمعهم، ونخبت[10] قلوبهم، ومُزّقوا كلّ ممزَّق، فلم يَبْقَ منهم في الإسلام بقية تذكر، ولا شريف يُشهر، إلاّ أن يكون ابن المقفع، والفضل [ابن سهل، وأخاه الحسن][11] [ ][12]

---

(1) ينظر عيون الأخبار، 339/1.

(2) نسبهم إلى أبيهم قحطبة بن شبيب الطائي الذي كان أحد النقباء الاثني عشر، وهو من أهل مرو، أبلى بلاء كبيرًا في دعم الدعوة العباسية والقتال تحت لوائها، وكان قائدًا شجاعًا، وكذلك ولداه حميد والحسن فقد كانا من نظراء النقباء. ينظر أخبار الدولة العباسية، ص216و219.

(3) و(4) و(5) طمس في المخطوط.

(6) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط، واجتهدت في قراءتها.

(7) عبد الله بن المبارك الحنظلي ولاء، المرزوي الخراساني، ولد بمرو سنة 118 للهجرة، فقيه، محدّث، زاهد، شاعر ومن الكرماء الذين يشار لهم بالبنان، توفي سنة 181 للهجرة. ينظر عن سيرته وكرمه كتاب الدكتور عبد المجيد المحتسب (عبد الله بن المبارك المرزوي)، وفي معجم البلدان، 404/2: «كان عبد الله بن المبارك يعدّ من أجواد الزهاد والأدباء».

(8) ما بين المعوقفين طمس في المخطوط، والزيادة تتلاءم مع السياق.

(9) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط.

(10) نخبت قلوبهم: دخلها الجبن والفزع.

(11) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط، والزيادة من معجم ما استعجم، 490/2، وهو ينقل عن هذا الكتاب بلا إشارة.

(12) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط.

تدفع فارس عن [صلى][1] الله عليه: لو كان الإيمان [منوطًا بالثريا لتناوله رجا][2] ل من فارس[3]. قلنا له: في هذا [الحديث][4] دليل على رغبة الموقوفين له بالدين، ومسارعتهم إليه، وتمسُّكهم بسنن النبي ﷺ فيه. وإنَّما هو كقولك: لو كنت بأقاصي البلاد لزرتك؛ تريد: لتجشَّمت الوصول إليك [ ][5]. ولا خلاف بقول الله عز وجل ولا تبديل.

فإذا نحن تطلَّبنا مصادق هذا القول في أهل فارس لم نجده أولاً ولا آخرًا؛ لأنَّ أوَّل أمرهم في الإسلام على ما قدمَّتُ من شدَّة العداوة للمسلمين ومحاربتهم، حتى قُهروا، وهُزموا [ ][6]، ومُزّقوا، فلا [ ][7] مَنْ كانت هذه حاله، ولم نجد لهم بعد ذلك رجالاً برعوا في العِلم، وعُرفوا بالحفظ للأثر، والتفقّه في الدين، والاجتهاد في العبادة، إلاّ أن نجد من ذلك الشيء اليسير، والنُّبَذ [ ][8]ها في أهل خراسان [الإ][9] سلام رغبة وطوعًا [أو] ل أمرهم، ثم هم أحسن الناس بقيَّة، وأشدُّهم [هم بالد][10] ين تمسكًا، فمنهم المحدِّثون النبل المشهورون، [ومنهم العلـ][11] ـماء بالفقه المتقدّمون، والعبّاد المجتهدون. ورغبات الناس في الخير والعِلم والأدب تنقص، ورغباتهم تزيد، وحرص الناس على مرَّ الأيام يخلق، وحرصهم مجدَّد، ومن [ ][12] ذلك طلبة الحديث وجَدَه [ ][13] لأنَّك تجد أهل خراسان في كلِّ بلد فيه محدِّث أو [ ][14] وأكثر، وباقيهم من جميع الأمصار.

فإن قال قائل: فإنَّ رسول الله صلّى الله عليه جعله في أهل فارس، فكيف جعلته في أهل خراسان؟ قلنا: إنَّ فارس وخراسان كانتا عند العرب شيئًا واحدًا لأنَّهما يتحاذيان ويتّصلان، ولأنَّ لسان أهل فارس ولسان أهل خراسان الفارسية، فهم يسمّون الفريقين:

---

(1) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط، والزيادة تتلاءم مع السياق.

(2) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط، والزيادة من تفسير الطبري، 66/13، وتفسير القرطبي، 258/16، ومعجم البلدان، 257/4، ومعجم ما استعجم، 490/2، وسنن الترمذي، 682/5، ومسند الإمام أحمد، 95/15.

(3) تنظر المصادر السابقة.

(4) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط، والزيادة تتلاءم مع السياق.

(5) و(6) و(7) و(8) و(9) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط.

(10) و (11) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط، والزيادة تتلاءم مع السياق.

(12) و(13) و(14) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط.

الفرس، وكذلك المتكلِّمون بالعربية عند مَنْ لا يُفْصح من الأ [ ][1] أهل اليمن، وأهل الحجا [ز][2]، وكانوا يقضون على ما [ ][3]، بأنَّه منها، يدلُّك على ذلك [أبـ][4] ـي بكر رَحِمَهُ اللهُ في خطبة له ذكر فيها الموت، ثمَّ قال: أيّ بلادكم خرسةٌ؟ فإنَّ الله سيفتح عليكم أقصاها، كما فتح أدناها[5]. أفما تراه يسأل عنها ثمَّ يعبّر باللفظ باسمها؛ لقلَّة ما يجري ذكرها، ولأنَّهم كانوا إذا ذكروا المشرق كلَّه قالوا: فارس[6]، ومن الدليل أيضًا حديث حدَّثنيه أحمد بن عمر بن [جيـ][7] ـلان قال: الدنيا كلُّها أربعة وعشرون ألف فرسخ؛ فملك السودان منها اثنا عشر ألف فرسخ، ومُلك الروم ثمانية آلاف فرسخ؛ ومُلك فارس ثلاثة آلاف فرسخ، وأرض العرب ألف فرسخ[8]. فذكر فارس ولم يذكر خراسان وهي أوسع منها؛ لأنَّه يجعل المشرق كلَّه من فارس، وكذلك ذكر الروم ولم يذكر ما حاذاها من بلاد الأعاجم؛ لأنَّه جعل ذلك كلَّه للروم. [ ][9] ث أنَّ رجلاً قال [ ][10] بتنا عليك هذه [ ] المسلم، سمعتُ النبي ﷺ يقو[ل][11] كم على الدين عودًا كما ضربتموه عليه أولاً. و[إذ]ا نحن طلبنا مصداق ذلك في العجم وجدناه في أهل خراسان؛ لأنَّهم هم الذين ضاربوا بالسيوف، العرب وأهل الشام غضبًا لدين الله، وإنكارًا لسيرة بني أميّة حتى ابتزّوهم السلطان، ونقلوا الملك من الشام إلى العراق.

وروى يزيد بن أبي زياد عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود أنَّ النبيّ صلى الله عليه قال: إنَّ أهل بيتي يلقون بعدي بلاء وتطريدًا، حتى يجيء قوم من أهل المشرق معهم رايات سود، يسألون الحقّ فلا يُعطونه، فيقاتلون فيُنصرون، فيُعطون ما سألوا فلا يقبلونه، حتى يدفعوها إلى

---

(1) و(2) و(3) و(4) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط.

(5) الخطبة في عيون الأخبار، 233/2، وفي الهامش بشأن لفظة خرسة: «كذا في الأصل والبيان والتبيين، ولم نوفق إلى تصويبها، أو تفسير صحيح لها»، ووجدت الجاحظ في الحيوان، 408/4، يتحدَّث عن السحابة الخرساء وهي التي لا صوت لها فهي لا تبشّر بالمطر»، فلعلَّ الخرسة في خطبة أبي بكر تشير إلى المحل والجدب، وينظر البرصان للجاحظ، ص285، حيث يقول: ويقال غمامة خرساء وهي التي لا رعد فيها ولا برق، كما يقول المحقق.

(6) في معجم ما استعجم، 490/3، ما يأتي: «... والعرب إذا ذكرت المشرق كلَّه قالوا: فارس، فخراسان من فارس».

(7) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط، والزيادة من معجم البلدان، 33/1.

(8) ينظر عيون الأخبار، 215/1، والعقد الفريد، 247/6، وكتاب النخلة، ص119، ومعجم البلدان، 34/1، باختلاف يسير، وهناك أقوال أخرى عن مساحة الأرض أوردها صاحب معجم البلدان، 33/1، وما بعدها فلتنظر هناك.

(9) و(10) و(11) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط.

رجل من أهل بيتي فيملؤها قسطًا كما ملؤوها جَوْرًا، فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبْوًا على الثلج[1].

وقرأت في الإنجيل [ ][2] قوم من المشرق [ ][3] في ملكوت السماء و[ ][4] بحيث يكون البكاء وصر[يف الأ][5] سنان[6].

وممّا يزيد ما قلنا في فارس وضوحًا [أنَّ النبـ] ـيّ صلّى الله عليه كان بعث خنيس ابن عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى، وكتب كتابًا بدأ فيه بنفسه، فلمّا قرأه كسرى غضب، ومزَّقه، وبعث إليه بتراب[7]، فقال النبيّ صلى الله عليه: «مزَّق كتابي، أما إنّه سيُمزَّق ملكه، وبعث إليَّ بتراب، أما إنّكم ستملكون أرضه». فكيف تكون البقيّة الحسنة لمن أعلمنا رسول الله صلّى الله عليه أنَّهم سيُمزّقون؟ لا جَرم لقد خملوا، ودرسوا، ففارس إلى يومنا أبخع الناس بطاعة السلطان، وأصبرهم على الظلم، وأثقلهم خراجًا وأذلّهم [ ][8]. وأخبرني جماعة من مشايخهم أنَّهم لم يعرفوا عدلاً قط، وأنَّ سيرة عمر بن عبد العزيز شملت البلاد كلّها غير بلدهم؛ فإنَّ عامله المتوجّه إليهم هلك في مسيره [ ][9] لسواد أنّهم من أبناء [ ][10] أنَّهم نوافل من خراسان [أسـ][11] بغى عليهم بالعرب النّعمة، وظاهَرَ لهم الكرامة، [ ][12] لهم العزّ، وأبدلهم بحالهم حالاً لا يُنكرها منهم إلاّ [غـ][13] ـبيّ منقوص، أو حاسد كفور؛ لأنَّ السواد [فتحه][14] العرب عنوة، والإمام مُخَيَّر في العنوة بين القتل، والرقّ،

---

(1) ينظر أخبار الدولة العباسية، ص199، وسنن ابن ماجة، 1366/2، رقم [4082].

(2) و(3) و(4) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط.

(5) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط، والزيادة تتلاءم مع السياق، والصريف: صوت الأنياب.

(6) جاء في إنجيل متى، الإصحاح الثاني: «ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في أيام هيرودس الملك، إذا مجوس من المشرق قد جاؤوا إلى أورشليم قائلين: أين هو المولود ملك اليهود؟ فإنّنا رأينا نجمه في المشرق وأتينا لنسجد له».

(7) ينظر تاريخ الطبري، 654/2، والاستيعاب 151/6، وفيهما عبد الله بن حذافة السهمي ولا ذكر للتراب فيهما، وينظر المحبر، ص77.

(8) و(9) و(10) و(11) و(12) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط.

(13) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط.

(14) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط، والزيادة تتلاءم مع السياق.

والفدية، والمَنّ، فاختاروا خير الأمور، وحقنوا دماءهم، ومنّوا عليهم، وأقرّوا الأموال في أيديهم، ثمَّ جاوروا السلطان من بني العباس، وأولياءه من أهل خراسان. فاستخلصهم لأموره، وجعلهم موضع سرِّه، واتخذ منهم الكتّاب، والوزراء، والأصحاب، فصاروا به أسعد ممَّن بذل في التمهيد له المهجة والمال، وهؤلاء الذين ذكرناهم المشهورون من الناس، فأمّا مَنْ غيّر أمره ودخل في جملة الناس، فلا حاجة بنا أن ننصَّ عليه، ولا نذكر أوّله وآخره فنجعله خصمًا وهو سَلْم، ونفتح له بابًا إلى مثل ما عليه أولئك الطاعنون على العرب. وقد قال الأول:

كفانيَ نَقصًا أ [ ][1].

وبلغني أنَّ رجلاً من العجم [ ][2] بقول الله عز وجل: ﴿يا أيها الناسُ إنّا خلقنا][3] كم من [ذكر وأنثـ][4] ـى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لـ [تعارفوا][5] إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم[6]﴾، وقال: الشعوب من العجم، والقبائل من العرب[7]، وقد قدَّم الله الشعوب في الذّكر، والمقدّم أفضل من المؤخَّر. وكنتُ أرى أهل التسوية يحتجّون بهذه الآية، ولم أعلم أنَّ أحدًا يعقل، يدّعي الفضل بها، ولا يرضى بالمحاجزة، وقد غلط من وجهين: أحدهما أنَّ تقديم الذكر لا يوجب تقديم الفضل. قال الله عز وجل: ﴿**يَـٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ**﴾[8]، فقدَّم الجنَّ على [الإنس][9]، والإنس أفضل منها، وقال ﴿**وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ**﴾[10]، فقدَّم الأرض، والسماء أفضل منها، وهذا يكثر لو تتبّعناه.

والوجه الآخر أنَّ العجم ليست بالشعب أولى من العرب، وكلُّ قوم كثروا وانشعبوا فقد صاروا شعوبًا[11]، حكى ابن الكلبي عن أبيه أنَّ الشعب أكثر من القبيلة، ثمَّ العمارة، ثمَّ

(1) في المخطوط [فتح]، ولعلَّ ما أثبتناه يتلاءم مع السياق.

(2) و(3) و(4) و(5) و (6) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط.

(7) ينظر لسان العرب، 500/1، وتاج العروس، 320/1، ومفاتيح العلوم، ص153.

(8) الأنعام، 130.

(9) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط، والزيادة تتلاءم مع السياق.

(10) يونس، 61، وفي المخطوط: «لا يعزب عنه مثقال ذرّة في الأرض ولا في السماء».

(11) ينظر لسان العرب، 500/1، وتاج العروس، 320/1.

البطن [ثمَّ الفخذ، ثمَّ العشيرة، ثمَّ الفصيلة][1]، [ ][2].

[ ][3] ـره فلم أرَ سعدًا مثل

وقال [ ][4]:

خليطين من شعبين [ ][5]

جميعًا وكانا بالتفرّق [ ][6]

وإنَّما نُسبت العجم إلى الشعوب؛ لأنَّ ما انشعب منها أكثر ممّا انشعب من العرب، فجُعلت الشعوب علمًا لأجناسها، وأمَّا[7] أهل التسوية فإنَّ منهم قومًا غلبت عليهم السلامة، ومالت بهم الديانة، فذهبوا إلى قول الله عزَّ وجل: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[8]، وإلى قول النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «إنَّ الله قد أذهب عنكم عُبيّة[9] الجاهلية، وفخرها بالآباء، مؤمن تقي، وفاجر شقي»[10]، وإلى قوله: «كلكم بني آدم طف الصاع لم تُملأ، وليس لأحد على أحد فضل إلاّ بالتقوى»[11]، وإلى قوله: «الناس سواء كأسنان المشط»[12]، و«تجدون الناس كإبل مئة ليس فيها راحلة»[13]، فقضوا بظاهر الكلام ولم يفتّشوه، ولم يعتبروا بغيره فيعرفوه، ولو كان الناس [كلّهم سواء في أمور الدنيا، ليس لأحد][14] على أحد فضل إلاّ بأ[مر الآخرة، لم يكن في الدنيا][15] شريف ولا مشروف، ولا [ ][16] فاضل ولا

---

(1) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط، والزيادة من تاج العروس، 318/1، والعمدة، 191/2، والعقد الفريد، 335/3، ولسان العرب، 500/1، ونور القبس، ص256.

(2) و(3) و(4) و(5) و(6) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط.

(7) من هنا إلى قوله: «والحواس الخمس» ينقله صاحب بلوغ الأرب، 160/1–170.

(8) الحجرات، 13.

(9) العُبّيّة: الكبر، والترفع والتفاخر، وفي بعض المصادر (نخوة).

(10) كنز العمال، 258/1، وسنن أبي داود، 340/5، مع التخريج.

(11) مسند الإمام أحمد، 98/6، مع التخريج.

(12) ينظر البيان والتبيين، 19/2، والعقد الفريد، 19/2و419، والأمالي، 220/1، والتمثيل والمحاضرة، ص23، والأمثال، ص132، وبهجة المجالس، 650/2.

(13) ينظر صحيح البخاري، 165/5، والبيان والتبيين، 20/2، والعقد الفريد، 419/2، و131/3، والتمثيل والمحاضرة، ص23، ومجمع الأمثال، 384/3، وزهر الآداب، 24/1، ونثر الدرّ، 152/1، ونهاية الأرب، 3/3، وبهجة المجالس، 650/2، والقرطين، 91/1.

(14) و (15) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط، والزيادة من العقد الفريد، 408/3 – 409.

(16) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط.

مفضول، فما معـ [نى قولـ][1] ـه ﷺ: «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه»[2] ؟ وقوله لقوم قدموا عليه: «مَنْ سيّدكم»؟ قالوا: جَدُّ بن قيس على بخل فيه. قال: «وأيُّ داء أدوى من البخل[3]»؟ وقال لقيس بن عاصم: «هذا سيّد أهل الوبر»[4]. وقال: «يطلع عليكم من هذا الفجّ خير ذي يُمن»، فطلع جرير بن عبد الله[5]، وقال: «أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم»[6].

وكانت العرب تقول: لا يزال الناس بخير ما تباينوا، فإذا تساووا هلكوا[7]. يريدون أنَّهم لا يزالون بخير ما كان فيهم أشراف وأخيار، فإذا خملوا جميعًا هلكوا. وقال الشاعر[8] في هذا:

سـواءٌ كـأسـنـانِ الـحـمـار فـلا تـرى
لـذي شـيـبـة مـنـهـم عـلـى نـاشـئ فضلا[9]

---

(1) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط، والزيادة تتلاءم مع السياق.

(2) ينظر سير أعلام النبلاء، 532/2، مع التخريج، وصحيح الجامع الصغير، 134/1، رقم (226)، ومجمع الزوائد، 15/8، وعيون الأخبار، 200/1، والعقد الفريد، 17/1و255و124/2، ونثر الدرّ، 163/1، ونهاية الأرب، 205/3، والكامل، 247/1، وفيه: (كريمة)، وقال: «هكذا روى أصحاب الحديث».

(3) ينظر سيرة ابن هشام، 104/2، وفيها: الجدّ بن قيس، والفاضل، ص16، والجدّ من بني سلمة، والعقد الفريد، 226/1، وبخلاء الجاحظ، ص162، وبخلاء الخطيب، ص37، وفيه روايات مختلفة للحديث، ونثر الدرّ، 163/1، ومجمع الزوائد، 126/3، وأوائل العسكري، 320/1.

(4) ينظر البيان والتبيين، 33/2 و147، و284/3، والعقد الفريد، 4/2، وزهر الآداب، 6/1، والإصابة، 197/8، والاستيعاب، 180/9، والبرصان والعرجان، ص182، وجمهرة أشعار العرب، 157/1، ونثر الدرّ، 154/1.

(5) ينظر الكامل، 247/1، و1474/3، وله تتمّة هي: «عليه مسحة ملك»، وفي الكامل أيضًا، 422/1، أنَّ عليًا كرّم الله وجهه قال لجرير: «... ولكنّي اخترتك لقول رسول الله ﷺ فيك: خير ذي يمن»، وينظر أيضًا مسند الإمام أحمد، 359/4و364، وسير أعلام النبلاء، 531/2، وثمار القلوب، ص65، وجرير هو جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك البجلي الصحابي، أسلم قبل سنة عشر، قدّمه عمر ﷺ في حروب العراق على جميع بجيلة، سكن الكوفة، مات سنة إحدى أو أربع وخمسين، وفي الإصابة أنَّه المقصود بحديث رسول الله ﷺ السابق: إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه، تنظر الإصابة، 76/2، رقم (1132)، والاستيعاب، 140/2، رقم (323)، وعدّه الجاحظ نقلاً عن أهل العِلم أحد ثلاثة سادوا في الجاهلية والإسلام، ينظر البرصان والعرجان، ص114.

(6) ينظر مجالس ثعلب، 421/2، ويقول ثعلب إنَّه مثل، ومجمع الأمثال، 256/2، و384/3، والأمثال، ص52، وفصل المقال، ص45، وعيون الأخبار، 295/1، و100/3، وبهجة المجالس، 370/1.

(7) من أمثالهم، ينظر فصل المقال، ص196، ومعه حديث طويل، وعيون الأخبار، 2/2، ومجمع الأمثال، 145/3، والأمثال، ص132، والعقد الفريد، 99/3، وجمهرة الأمثال، 302/2، وبهجة المجالس، 651/2، والبرهان، ص67.

(8) هو كثيّر عزَّة.

(9) ديوانه، ص384، باختلاف يسير، وينظر الأمالي، 220/1.

[قال مطرّف[1]: الناس ثلاثة: ناس ونـ][2] سناس، وناس غُمسوا [في ماء الناس][3].

[وكان يقا][4] ل: أربع خِلال يسوِّدنَ [العبد: الأ][5] دب [والعفَّة والـ][6] ـصدق، والأمانة.

ومرَّ عمر بن الخطَّاب بقوم [يتبعو][7] ن رجلاً قد أخذ في ريبة، فقال: لا مرحبًا بهذه الوجوه التي لا تُرى إلاّ في الشرّ.

ومَنْ تتبّع أحوال الناس وأسبابهم لم يجد رجلين متساويين في خَلْق ولا خُلُق ولا فعال. وكيف يستوي اثنان؟ والواحد في نفسه لا تتساوى أعضاؤه، ولا تتكافأ مفاصله، بل لبعضها الفضل على بعض، فللرأس الفضل على جميع البدن بالعقل والحواس الخمس، وللقلب الفضل على حشوة البطن بالمعرفة والفهم، وكانت الحكماء تقول: الإنسان [ ][8] فؤاده، ويشبّهونه في البدن بالملك، ولليمين الفضل على الشمال، وللإبهام الفضل على الخنصر. وترى الرجل يكسو رأسه الخزَّ، وبدنه الكرابيس[9]، ورجليه الجلود، ولا يحسن به أن يخالف هذه الهيئة، فيجعل الكرباسة لرأسه، والخزَّ لبدنه، أو رجله، ولا عيب على الرجل [ ][10] والعيب القبيح في [ ][11] الشريف [ ][12] الخسيس من [ ][13] الشريف لأنَّهم شبّهوا بالشرف من [ ][14] وهو الرأس.

---

(1) مطرّف بن عبد الله بن الشخّير الحرشي العامري، أبو عبد الله البصري، زاهد من كبار التابعين، ثقة، فقيه، ولوالده صحبة، له كلمات في الحكمة تشير إلى سعة عقله، وعظيم زهده، ينظر وفيات الأعيان، 229/4، وتهذيب التهذيب، 175/10، والمعارف، ص436.

(2) و(3) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط، والزيادة من عيون الأخبار، 2/2، والعقد الفريد، 293/2، والنسناس الوارد في النصّ: «خلق باليمن لأحدهم عين ويد ورجل يقفز بها، وأهل اليمن يصطادونهم» عيون الأخبار، 176/2، وفي العقد الفريد، 340/2،: «وكان بعضهم يقول: ذهب الناس وبقي النسناس»، وينظر الحيوان، 189/1، ففيه حديث طويل، وينظر كذلك، 178/7، ورسائل الجاحظ، 375/2، ومروج الذهب، 208/2، وما بعدها، ولسان العرب، 231/6.

(4) و(5) و(6) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط، والزيادة من عيون الأخبار، 224/1.

(7) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط، والزيادة من عيون الأخبار، 1/2، والعقد الفريد، 295/2، وبهجة المجالس، 521/2، وفي رسائل الجاحظ، 283/1، والبرهان، ص423، القول وحده منسوب إلى عمر بن عبد العزيز.

(8) كلمة غير مقروءة.

(9) الكرابيس: مفردها الكرباس وهو الثوب من القطن.

(10) و(11) و(12) و(13) و(14) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط.

ودخل رجل على عيسى بن موسى وعنده ابن شبرمة[1]، فقال لابن شبرمة: أتعرفه؟ قال: نعم، إنَّ له لبيتًا وشرفًا وقدمًا[2]. ولم يكن يعرفه، وإنَّما أراد بالشرف أعلاه، وبالبيت بيته الذي يأوي إليه، وبالقدم قدمه التي يمشي عليها[3].

وكذلك قيل أيضًا رؤساء، وقيل للأدنياء السفلة؛ لأنَّهم شُبِّهوا بسفلة البعير، وهي قوائمه[4].

وتأويل[5] هذه الأحاديث: أنَّ النبيّ ﷺ بُعث والناس على عصبية العشائر، وتحزّب القبائل، والفَخْر بالمآثر والتقديم عليها، والتعاير بالملائم والتأخير بها، وكانوا يأخذون دية القتيل على قدر أسرته، وربّما ودَوا الواحد دية اثنين، وربّما ودوا اثنين دية واحد، وربما قتلوا بالواحد عددًا[6]، وربّما اختلف الفريقان واتّفقوا على أن [ ][7] الآخرون عليهم القصاص [ ][8] الإسلام، وفي الإسلام [حدّثـ][9] ني السجستاني قال: حدَّثنا الأصمعي قال: [ ][10] بن حيّان عن هشام بن عقبة أخي ذي الرمّة [ ][11] قال: شهدتُ الأحنف وقد جاء إلى قوم في دم فتكلَّموا، فقال: احتكموا. قالوا: نحكم ديتين. قال: ذاك لكم. فلمّا سكتوا قال: ما أعطيتكم كما أعطيتكم إلا أنا قائل لكم شيئًا: إنَّ الله تبارك وتعالى قضى بدية، وإنَّ العرب تعاطى بينها دية، وأنتم اليوم طالبون، وأخشى أن تكونوا غدًا مطلوبين، فلا يرضى الناس عنكم إلاّ مثل ما سننتم على أنفسكم، فانظروا. قالوا: قد ردَّها الله إلى دية. فحمد الله وأثنى عليه، ثمَّ قام ليركب. قال: فرأيت رداءه مشمِّرًا فوق قميصه، وقميصه مشمّرًا فوق إزاره.

---

(1) ابن شبرمة: هو عبد الله بن شبرمة بن حسان بن المنذر بن ضرار بن عمرو بن مالك بن زيد بن كعب بن بجالة الضبي، الكوفي، ولاّه أبو جعفر المنصور قضاء السواد، كان عفيفًا حازمًا، فقيهًا عاقلاً. توفي سنة 144 للهجرة ينظر تهذيب التهذيب، 250/5.

(2) القدم: التقدّم والمنزلة العالية.

(3) ينظر البيان والتبيين، 337/1، وللجاحظ تعقيب مستفيض على هذا الخبر، والعقد الفريد، 466/2، وعيون الأخبار، 201/2.

(4) ينظر لسان العرب، 338/11.

(5) من هنا إلى قوله: «... وبالواحد عددًا» ينقله صاحب جمهرة الأمثال، 523/1، باختلاف يسير بلا ذكر لابن قتيبة أو كتابه.

(6) ينظر المفصَّل، 592/5، وما بعدها، وفيه حديث مستفيض عن الديات وأنواعها، ينظر مع مصادره.

(7) و(8) و(9) و(10) و(11) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط.

فأعلمهم رسول الله ﷺ أنَّه لا فضْل لأحد على أحد في أحكام الدين لشرف، ولا مُلك، ولا عزَّ عشيرة. قال[1]: «كلُّ مأثرة كانت في الجاهلية فهي تحت قدميَّ هاتين، فمن قتل نَفْسًا قُتل بها، ومَنْ سرق قُطعت يده، ومَنْ زنى حُدَّ، ومَنْ فقأ عينًا فقئت عينه [ ][2] من الإبل لا يزاد عليه [ ][3] الأحكام تطف الصاع [ ][4] نحن عند الله في الثواب [ ][5] فالتفضيل والعفو.

وأمّا قول النبي ﷺ: فينبغي إن كان لك مال فلك حسب، وإن كان لك خُلُق فلك مروءة، وإن كان لك تُقى فلك دين[6].

وقول عمر بن الخطاب: حسب الرجل ماله، وكرمه دينه، ومروءته خُلقه[7].

فإنَّ الحسب - ما أعلمتك - من فضائل الآباء، وقد يكون الرجل لا شرفَ لآبائه، ويكون له مال فيصطنع المعروف، ويعتقد الدين فتنبسط الألسنة فيه بجميل الذكر والشكر، فيقوم المال له مقام الحسب فيكون حسيبًا، إذ قام [ ][8] قال الشاعر:

المال يزري بأقوامٍ ذوي حَسَبٍ
وقد يسوِّدُ غيرَ السَّيد المالُ[9]

وأنشد الرياشي:

غضبانُ يعلم أنَّ المالَ ساق له
ما لم يَسُقْهُ له دينٌ ولا خُلُقُ[10]

(1) ينظر البيان والتبيين، 31/2، وتاريخ الطبري، 150/3، وسيرة ابن هشام، 250/4، باختلاف.
(2) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط.
(3) و(4) و(5) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط.
(6) ينظر عيون الأخبار، 295/1، والعقد الفريد، 247/1، و28/3، ونثر الدرّ، 177/1، والمختار من شعر بشّار، ص218.
(7) ينظر العقد الفريد، 247/1، و28/3، و411، وبهجة المجالس، 642/2، والمختار من شعر بشّار، ص219، ولسان العرب، 311/1، باختلاف يسير.
(8) كلمة غير مقروءة.
(9) البيت بلا نسبة في عيون الأخبار، 239/1، وبهجة المجالس، 643/2.
(10) البيت بلا نسبة في عيون الأخبار، 240/1، ومعه بيتان، والعقد الفريد، 29/3، ومعه بيتان، وديوان المعاني، 247/2.

[ ][1] فأكرم الناس مَنْ كانت [ ][2] [اللهم][3] هَبْ لي حمدًا ومجدًا، لا مجد إلاّ بفعال [ولا حمد][4] إلاّ بمال.

وقد يكون الرجل مثريًا فيعظمه الناس وإن لم يُنلهم، ويقدمون عليه وإن لم يزرهم، ولذلك قال بعضهم: وددت أنَّ لي مثل أحد ذهبًا لا أنتفع به[5]. قال الهذلي[6]:

رأيـــــتُ مـعــاشــــرًا يُـثـنـى عـلـيـهـم

إذا شـبـعـوا وأوجــهــهُــم قِــبــاحُ

يــظــلُّ الـمـصـرمـون لـهـم سـجـودًا

ولــو لــم يُـسـقَ عـنـدهـمُ ضِياحُ[7]

ولآخر[8]:

أجــلَّــك قــومٌ حـيـن صـرت إلــى الغنى

وكـــلُّ غـنـيٍّ فـي الـعـيـون جليلُ[9]

وقد يكون الرجل كثير الذنوب، كثير الخطأ، فيُغفر ذلك من أجل يساره، وكذلك قيل: الغنى ربٌّ غفور. وشبيه بهذا قوله: مروءة الرجل خُلقه؛ لأنَّ المروءة اجتناب القبائح والسيئات.

---

(1) و(2) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط.

(3) و(4) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط والزيادة من البيان والتبيين، 147/2و284/3. وينسب القول في كلا الموضعين إلى قيس بن سعد، وفي الممتع، ص49، ينسب القول إلى سعيد بن عبادة والعقد الفريد، 28/3، وينسب إليه أيضًا.

(5) ينظر عيون الأخبار، 242/1، وله تتمّة مفيدة هي: قيل له: «فما تصنع به؟ قال: لكثرة مَنْ يخدمني عليه».

(6) هو مالك بن الحارث أخو بني كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، وأخوه أسامة شاعر أيضاً، ينظر الشعر والشعراء، 666/2، والمؤتلف والمختلف، ص363.

(7) ديوان الهذليين، 82/3، وفيه: «أي يثنى عليهم إذا كانوا ذوي مال وإن قبحت وجوههم؛ لأنَّ المال يزينهم ويستر عن الناس عيوبهم، والمصرمون: الفقراء، والضياح: اللبن المخلوط بالماء»، والبيتان في عيون الأخبار، 240/1، والشعر والشعراء، 666/2، والحيوان، 95/5، ولسان العرب، 527/2، الثاني وحده منسوب إلى خالد بن مالك الهذلي.

(8) هو أبو العتاهية.

(9) ديوانه، ص356.

وقال معاوية لعمرو بن العاص: ما ألذُّ الأشياء؟ قال عمرو: مُرْ أحداثَ قريش أن يقوموا. فلمَّا قاموا، قال: إسقاط المروءة[1]. ير [ ][2]، واتبّع الهوى فركب [ ][3] ويظهـر النـاس منه على [ ][4] ويطلعون [ ][5] فيشكرون.. ذلك ويتطلّبون العذر، ويدفعون عن الذكر القبيح. وقد يكون سيّئ الأخلاق فيتجنّون عليه الذنوب، ويخرصون عليه الكذب، ويشنّعون بالقليل، فَخُلُق الرجل مروءته؛ لأنّه قام مقام المروءة، كما قام المال مقام الحسب.

ومن العرب قوم يقابلون غلوَّ الشعوبية بحميَّة العربية، فيدَّعون أنَّهم موالي العجم كلِّهم؛ لأنَّ الله هداهـم بالنبي صلّى عليه وسلّم، وفكَّ رقابهم من رقِّ الكفر، وعذاب النّار، وجعلوا ذلك قياسًا على رقِّ الكفر والأسر[6]، وليس هذا للعرب إلاّ على مَنْ وجب عليه سبيٌ أو قتل فمنُّوا عليه واستحيوه، فيكون ذلك قياسًا على رقّ الملك. وأمّا مَنْ دخل في الإسلام رغدًا، وسارع إليه طوعًا، فليس لأحد عليه ولاء. ولا لأحد عليه منَّة إلاّ لله جلَّ وعزَّ[7] لا يجب ما وجب [ ][8] لا يجب ما وجب [ ][9] ولا نعلم أنَّ أحدًا من صـ[حابة رسـ][10] ـول الـ [ه صلّى الله][11] عليه قال: أنا مولى رسول الله ﷺ. وكا [ن سلما]ن يقول: أنا سلمان ابن الإسلام[12]. ولا يقول: مولى رسول الله ﷺ، فأمّا أبو بكرة[13] فكان يقول: أنا مولى رسول الله ﷺ؛ لأنَّ النبي ﷺ لمّا حاصر أهل الطائف، وقال: أيّما عبد نزل إليَّ فهو حُرّ، فتدلّى أبو بكرة فعتق.

---

(1) ينظر عيون الأخبار، 295/1، والعقد الفريد، 77/6 و221و380، ورسائل الجاحظ، 146/1، والمختار من شعر بشار، ص219، ونُسب القول إلى عبد الله بن جعفر.

(2) و(3) و(4) و(5) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط.

(6) ينقل صاحب العقد الفريد، 412/3، كلامًا قريبًا من هذا الذي يسوقه ابن قتيبة، وينسبه «لأصحاب العصبية من العرب»، ونرى أنّ ابن قتيبة لا يوافقهم عليه.

(7) هذا إنصاف جميل يتلاءم مع دين ابن قتيبة وخلقه.

(8) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط.

(9) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط.

(10) و(11) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط، والزيادة تتلاءم مع السياق.

(12) ينظر الإصابة، 223/4، والاستيعاب، 221/4، وأسد الغابة، 328/2.

(13) أبو بكرة: نفيع بن الحارث بن كَلَدة، ويقال ابن مسروح مولى رسول الله، سكن البصرة، وكان أحد الشهود الذين شهدوا على المغيرة بن شعبة والي البصرة في واقعة الزنى المشهورة. ينظر الإصابة، 183/10، رقم (8794)، وتاريخ الطبري، 206/4، والمحبّر، ص129، والمعارف، ص288، وزاد المعاد، 197/2، والعقد الفريد، 4/5.

حدَّثني زيد بن أخزم قال: حدَّثنا سلم بن قتيبة عن أبي المنهال [ ][1] عن عبد العزيز بن أبي بكرة عن أبيه قال: لمّا حاصر النبيُّ صلى الله عليه الطائف تدلَّيت ببكرة فقال: كيف صنعت؟ يعني النبيَّ ﷺ، قلت: تدلَّيت ببكرة. قال: فأنت أبو بكرة. ومولى القوم منهم، ومن أنفسهم[2] بحكم رسول الله ﷺ.

العتبي عن أبيه عن أبي [ ][3] عن أبيه قال: قال: يا بُنيّ وصيَّتي إيّاك بما أوصاني به مولاك. كنت وصيفًا لعمرو بن عتبة فأسلمني في المكتب، فلما حذقتُ، وتأدبـ[ـتُ][4] يا أبا زيد فالتفتُّ يمنة [ ][5] قال لي: إيّاك أعني، إنَّا معاشر [ ][6] موالينا بأسمائهم، إنَّك أمس كنت لي، وأنت اليوم منّي، وإنَّ الناس لا يُنسبون إلى آبائهم بولادتهم إيّاهم، ولكن يُنسبون إليهم بحكم الله فيهم، ألا ترى لو أنَّ رجلاً أولد امرأة من غير حلٍّ لم يكن ولدها له ولدًا، فلمَّا كان المولود من أبيه بحكم الله، كان المولى من أقاربه بحكم رسول الله ﷺ، فاستدم النعمة عليك بالشكر عليها منك.

قال أبو محمد: وما أحسن ما شبَّه عمرو بن عتبة[7] عن أنَّ قربى المولى بمواليه دون قربى الحميم العبيد، وعلى مواليه أن ينصروه، ويمنعوا عنه، ويبدؤوا به في الرِّفد والصدقة قبل الجار، وابن السبيل، من غير أن يكون لهم كفوًا في المناكحة، ولا مثلاً في الشرف؛ لأنَّ الكفاءة هي المساواة والمعادلة، ولن يستويَ المُنْعِمُ والمُنْعَم عليه، ولا الصانع والمصطَنع إليه، ولا اليد العليا و[اليد السفلى][8]، أن ينكح في مواليه فقد [خالف حكم رسول الله][9] ﷺ، وأبطل معنى الكفاءة و[ ][10] يجوز أن ينكح فيهم، وهم يرثونه ولا يرثهم ويكونون [أو][11] لياءه في التزويج، ولا يكون وليُّهم ولا شيء [ ][12] في النّكاح من هذين الأمرين؛

---

(1) ما بين المعقوفين كلمة غير مقروءة.

(2) ينظر صحيح الجامع الصغير، 376/5، وإرشاد الساري، 443/9، ورسائل الجاحظ، 21/2، وبهجة المجالس، 776/2.

(3) و(4) و(5) و(6) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط.

(7) عمرو بن عتبة بن فرقد السلمي الكوفي، روى عن ابن مسعود، وعن سبيعة الأسلمية كتابة، روى عنه خلق كثير، كان أحد المذكورين بالزهد والعبادة. ينظر تهذيب التهذيب، 75/8.

(8) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط، والزيادة تتلاءم مع السياق.

(9) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط والزيادة تتلاءم مع السياق.

(10) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط.

(11) تتمّة يقتضيها السياق.

(12) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط.

لأنَّ الله جلَّ وعزَّ لمّا وضعه عن أن [ ][1] كان حريًّا بألاّ يتزوجّها، ولمّا وضعه عن أن يرثها كان خليقًا بألاّ يطأها، بألاّ يناسب المُنعمين عليه، فإنَّ النكاح أحد النسبين، قال الله عزَّ وجَّل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾[2]، فالنسب نسب القرابة، والصهر نسب النكاح.

آخر الجزء الأول

والحمد لله رب العالمين

وصلّى الله على رسوله محمد وآله الطاهرين

ويتلوه الجزء الثاني

(1) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط.

(2) الفرقان، 54.



الجزء الثاني

* **الجزء الثاني**

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة: قد قلنا في الشرف بما لا يطّلع الله فيه منّا على الحَيْف بمبلغ علمنا، ومقدار طاقتنا، وفيه شفاء وبلاغ لمن كان الله إرادته، والحقُّ طلبته. ومَنْ تجاوز حدّه، وعدا طوره، وظلم خصمه، وادَّعى بما ليس له، خدع نفسه، وغبن عقله، وأسخط ربَّه، ولم يضرر بذلك الحقَّ وأهله؛ لأنَّ أعلامه لا تعفو[1]، وناره لا تخبو. والباطل إلى قُلٍّ[2] وذلّ وزوال، لاسيما وكتابنا هذا قد كشف الغطاء، وحَسَر القناع، وأبدى الصريح[3]، وقذف الرغوة، فمن ادَّعى حقًّا فليذكره، أو حجَّة فليُدْلِ بها، فإنَّا من وراء دعاويه وحججه بالردِّ إن ظلَم، أو الاعتراف إن صدق، وما ندَّعي لأنفسنا – مع هذا – الاستقصاء لفن من الفنون حتى نحوزه، ولا السداد في كلِّ ما نقول حتى لا نَزِلّ، ولكنَّنا نرجوه بحسن النِّية، والقصد للحقّ، ولم يزل الله يُصحبهما العصمة، والتوفيق للصواب.

ونذكر ما للعرب من العلوم، والحِكَم في الشعر، والكلام المسجَّع المنثور، من غير استقصاء لفنٍّ من ذلك، ولا وقوف من ورائه، إذ كان غرضنا في هذا الكتاب التنبيه والدلالة، ودفْع الخصم عمَّا ينسب إليه العرب من الجفاء والغباوة.

والعلوم جنسان: أحدهما علم إسلامي نتج من بين الدين واللغة؛ كالفقه، والنحو، ومعاني الشعر، وهذا للعرب خاصة، ليس للعجم فيه سبب إلاّ تعلّمه واقتباسه، وللعرب سناؤه وفخره. والآخر علم متقادم تتشارك فيه الأمم، لا أعلم منه فنًّا إلاّ وقد جعل الله للعرب فيه حظًّا، ثم تنفرد من ذلك بأشياء لا تشارك فيه.

---

(1) تعفو: تزول وتُمحى.
(2) قُلّ: خلاف الكثرة.
(3) الصريح: المحض الخالص من كلّ شيء.

الـخيــــل[1]:

فممّا تنفرد به علم الخيل، لم نَجده لأحد من الأمم اليونانية، والفارسية، والهندية، والرومية فيه إلاّ [الشيء][2] الذي لا يُذكر مثله، ولا يُعتدُّ به، والعرب تعرف أعضاءها عضوًا عضوًا، بأسماء معروفة من النواصي[3] إلى الأذناب، ومن السَّروات إلى الأرساغ[4]، وتعرف شمائلها، ومخائلها، وما يبلغ منها الغاية، وما يقصر عنها بالفراسة.

وتعلم الجواد العتيق[5]، والمقرف[6]، والهجين[7]، عريًا ومُجلَّلاً[8]، ومُحضَرًا[9]، وما يحضر منها على ضَمْر[10]، وما يحضر منها على غير ضَمْر.

حدَّثني السجستاني قال: أخبرنا أبو عبيدة معمر بن المثنّى عن العرب أنَّها تستدلّ على عتق الفرس برقَّة جحافله[11] وأرنبته[12]، وعرض منخريه، وعري نواهقه[13]، وسمومه[14]، ودقّة حقويه[15] وما ظهر من أعالي أذنيه، ورقة سالفته[16]، وليته[17]، ولين شعره. ورقة شعر ركبتيه،

---

(1) هذا العنوان، والعنوانات القادمة مثل النجوم، والفراسة، والخطّ... إلخ في المخطوط نفسه.

(2) ما بين المعقوفين كلمة غير مقروءة، وهذه تتلاءم مع السياق.

(3) النواصي: واحدتها ناصية، وهي منبت الشعر في مقدَّم الرأس.

(4) السَّروات: جمع سراة، وهي أعلى الفرس وظهره ووسطه، والأرساغ: جمع رُسْغ وهو مجتمع الساق والقدم، فذكره النواصي والأذناب، والسروات والأرساغ: يريد به التأكيد على خبرة العرب بأعضاء الخيل جميعها.

(5) العتيق: الرائع الكريم.

(6) المُقرف: الفرس الذي دانى الهُجْنة وقاربها، أبوه عربي، وأمّه برذونة.

(7) الهجين: الفرس الذي أبوه عتيق وأمّه ليست كذلك.

(8) المجلّل: الفرس وقد أُلبست الجُلّ؛ وهو الكساء الذي يوضع عليها ليصونها.

(9) مُحْضَرًا: ارتفاع الفرس في عدوه.

(10) الضُّمْر: أن تشدَّ على الخيل السروج وتجلّل بالأجلَّة حتى تعرق تحتها، فيذهب رهلها، ويشتدّ لحمها، ويُحمل عليها غلمان خفاف يجرونها، ولا يعنفون بها، فإذا فُعل بها ذلك أُمِن عليها البُهْر الشديد عند حُضْرها، ولم يقطعها الشدّ.

(11) جحافل الفرس: ما يتناول به العلف.

(12) أرنبة الفرس: ما بين منخريه.

(13) النواهق: العظمان الشاخصان في وجه الفرس، أسفل عينيه.

(14) سُموم الفرس: ما رقَّ عن صلابة العظم من جانبي قصبة أنفه إلى نواهقه.

(15) حقوه: خاصرته وما يليها.

(16) السالفة: أعلى العنق، وما تقدّم منه.

(17) اللِّيت: صفحة العنق.

و[ ][1] وأشاعره[2]. وأبين من ذلك كلّه لين شكير[3] ناصيته، وعُرْفِه[4].

قال: وكانوا يقولون: إذا اشتدَّت نفسه، ورحب متنفَّسه، وطالت عنقه، واشتدَّ مركبها في كاهله، واشتدَّ حقوه، وانهرت[5] شدقه، وعظمت فخذاه، وانشجَّت[6] أنساؤه[7]، وعظمت فصوصه[8]، واشتدَّت حوافره ووقحت[9]، لحق بجياد الخيل[10].

قالوا: إذا رحب متنفَّسه، ولم يرحـ[ ][11] فإذا لم يكن شديـ[ ][12].

قالوا: وكلُّ شيء يسـ[تحبُّ للجودة في][13] الأنثى من [ ][14] يستحبُّ في الذَّكر إلاّ [طول][15] القيام[16]، وقلّة الربوض، وقلّة لحم اللَّهزمة[17].

وكانوا يقولون: ذكَر نؤوم، وأنثى صؤوم[18].

---

(1) ما بين المعقوفين كلمة غير مقروءة.

(2) في المخطوط [وإشعاره]، وهو تحريف. وأشاعر الفرس: ما بين حافره إلى منتهى شعر أرساغه.

(3) الشكير: الزغب الذي في أصل عُرفه وناصيته.

(4) العُرْف: منبت الشعر في عنق الفرس. وينظر العقد الفريد، 156/1 ففيه هذا النصّ.

(5) انهرت: اتّسع.

(6) انشجَّت: انشدّت.

(7) أنساؤه: واحده نسا، وهو عرق يستبطن الفخذين حتى يصير إلى الحافر.

(8) فصوصه: موصل ركبتيه.

(9) وقحت: صلبت واشتدّت، ومنه حافر وقاح: صلب باق على الحجارة.

(10) ينظر كتاب الخيل، لأبي عبيدة، ص170–171، والعقد الفريد، 156/1، وأدب الكاتب، ص125، وما بعدها.

(11) و(12) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط.

(13) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط، والزيادة من كتاب الخيل، لأبي عبيدة، ص173.

(14) ما بين المعقوفين كلمة غير مقروءة.

(15) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط، والزيادة من كتاب الخيل، لأبي عبيدة، ص173.

(16) في كتاب الخيل لأبي عبيدة (الصيام) بدل (القيام)، وهي تتلاءم مع القول: أنثى صؤوم، والصيام هو طول القيام. وذكر هذا ابن قتيبة في كتابه تأويل مشكل القرآن، ص13 حيث قال: «كقولهم للقائم من الخيل: صائم». ويقول النابغة الذبياني، ديوانه، ص223:

خيلٌ صيامٌ وخيلٌ غيرُ صائمةٍ

تحت العجاج وخيلٌ تعلك اللُّجُما

(17) اللّهزمة: بكسر اللام، هما لِهزمتان: ما تحت الأذنين من أعلى اللحيين والخدين.

(18) ينظر كتاب الخيل، لأبي عبيدة، ص173، وحلية الفرسان، ص128، وفي غريب القرآن، ص472: «قال الفراء: تقول العرب للفرس إذا كان قائمًا لا علف بين يديه: صائم، وذلك أنَّ له قوتين غدوة وعشيّة؛ فشُبِّه به صيام الآدمي بتسحّره وإفطاره».

وقال بعض العرب: أفضل الخيل الذي إذا استقبلته قلت: نافر[1]، وإذا استدبرته قلت: زاجر[2]، وإذا استعرضته قلت: زافر[3]. وخير البراذين ما طَرْفه[4] أمامه، وسوطه عنانه[5].

وقال أقيصر[6]: خير الخيل الذي إذا استقبلته قلت: أقعى[7]، وإذا استدبرته جبى[8]، وإذا استعرضته استوى، وإذا مشى ردى[9]، وإذا عدا دحا[10]. قال الشاعر[11] في نحو هذا:

أمّا إذا استقبلته فكأنَّه

بازٍ[12] يكفكف أن يطير وقد رأى

أمّا إذا استدبرته فتسوقه

ساقٌ قَموصُ الوقع عارية النَّسا[13]

---

(1) نافر: شارد، متفرّق.

(2) زاجر: مُسرع، كأنَّ صاحبه قد حثّه على الإسراع وهو لم يفعل فذلك منه طبعًا.

(3) زافر: عظيم الجوف، كبيره.

(4) طرفُه: جلدة رأسه، أو قوائمه.

(5) ينظر ديوان المعاني، 117/2، وحلية الفرسان، ص97، وفيهما أنَّ الخليفة المهدي سأل مطر بن دراج عن أيّ الخيل أفضل؟ فأجاب بذلك القول. وفي ديوان المعاني وحده صفة البراذين، وعيون الأخبار، 154/1، والعقد الفريد، 154/1.

(6) في المعاني الكبير، 107/1، وخيل الأصمعي، ص385: ابن أقيصر، واسمه محمد بن أقيصر السلمي، أحد بني أسد بن خزيمة، رجل بصير بالخيل، وسياستها، ومعرفة أماراتها، وكان يحتذي على مثال سلمان بن ربيعة الباهلي ويحاكيه في خبرته بالخيل، وينظر أيضًا: الخيل، ص386، وعيون الأخبار، 154/1، ومجالس ثعلب، 502/2، وأمالي القالي، 251/2، والبرصان والعرجان، ص231، والعقد الفريد، 154/1و463/3، ولسان العرب، 294/9، وله قصيدة عدَّتُها ستة عشر بيتًا عن الخيل في الأنوار ومحاسن الأشعار، ص144–145.

(7) أقعى: مال على جانبيه.

(8) في المعاني الكبير، 108/1: «... وقوله: إذا استدبرته جبّى؛ أي كأنَّه مكبّ لإشراف عجيزته، وإذا استقبلته أقعى؛ أي كأنَّه مقع لإشراف مقدّمه، وإذا اعترضته استوى لك منظره فلم يكن مقعيًا ولا منكبّاً، وينظر البيان والتبيين، 116/2، والفاضل، ص104–105.

(9) ردى: رجم الأرض رَجْمًا في مشيه دلالة القوة والنشاط.

(10) دحا: رمى بيديه رميًا لا يرفع سُنبكه عن الأرض.

(11) هو الأسعر بن حمران الجعفي كما في المعاني الكبير، 109/1، وخيل أبي عبيدة، ص117، والأصمعيات، ص140، والعمدة، 22/2، وخزانة الأدب، 181/9، وقد مرَّت ترجمته. ينظر معجم الشعراء، ص47، والأصمعيات، ص140، مع مصادر المحقّقَيْن، وتخريج الأبيات.

(12) في المخطوط: (بازي).

(13) قموص: أن يرفع الفرس يديه ويطرحهما معًا ويعجن برجليه.

[أما إذا استعرضْته متمطرًا]

فتقول هذا مثل [سرحان الغضى][1]

وقال أبو محمد: [حدَّثن]ا[2] إسحاق بن راهويه قال: لمّا وضعتِ الحرب [أوزا]رها[3]، قال عمرو بن العاص:

شبَّتِ الحرب فأعددتُ لها

مُفْرَع الحارك مرويَّ الثَّبَجْ[4]

جُرْشُعًا أعظمه جُفْرته

فإذا ابتلَّ من الماء خرجْ[5]

يصل الشدَّ بشدٍّ فإذا

ونت الخيل من الشجِّ معجْ[6]

قال ابن الأعرابي: سئل رجل من بني أسد عن الفرس الكريم، وعن البطيء المقرف، قال: أمّا الجواد المبرُّ فالذي لُهِزَ لَهْزَ العَيْر، وأنف تأنيف السَّير. إذا عدا اسلهبَّ، وإذا قُيّد اجلعبَّ، وإذا انتصبَ اتلأبَّ. وأمّا البطيء المقرف فالمدكوك الحجبة، الضخم

(1) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط، والزيادة في الأصمعيات، ص140، وخيل أبي عبيدة، ص117، وخزانة الأدب، 181/4، ومتمطرًا: مسرعًا.

(2) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط، والزيادة يقتضيها السياق، وابن راهويه أحد شيوخ ابن قتيبة الذين لازمهم، وأخذ عنهم الحديث، وروى عنهم كثيرًا. ينظر ابن قتيبة، د. الحسيني، ص23، وابن قتيبة، د. الجبوري، ص73.

(3) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط، والزيادة يقتضيها السياق، وفي عيون الأخبار، 158/1: «قيل: لمّا وضعت حرب صفين أوزارها قال عمرو بن العاص...»، وساق الأبيات.

(4) مُفْرَع الحارك: طويل أعلى الكاهل.
الثبج: الوسط وما بين الكاهل إلى الظهر.

(5) الجرشع: العظيم الصدر. الجُفْرة: جوف الصدر، ووسطه، وفرس مُجْفَر: عظيم الجُفْرة.

(6) الشجّ: السرعة والانطلاق، ونت: تعبت. معج: أسرع والأبيات منسوبة إلى عمرو في عيون الأخبار، 158/1، والعقد الفريد، 343/4 و 382/5، ومجمع الزوائد، 240/7، وفي المعارف، ص 765، والمحاسن والمساوئ 164/1 أنَّ «العاص بن وائل، أبا عمرو، كان يعالج الخيل والإبل»، فلعلَّ جانبًا من علم وعمرو بها جاءه من هذا الطريق، وينظر البرصان والعرجان، ص313.

الأرنبة، الغليظ الرقبة، الكثير الجلبة، الذي إذا أرسلته قال: أمسكني، وإذا أمسكته قال: أرسلني[1]. وقال مسلم بن [عمرو][2]: انظر كل شيء تسـ[ـتحسنه في الكلب فاطلبه في الفر]س[3].

حدَّثني عبد الرحمن قال: [حدَّثنا الأصـ]ـمعي[4] عـ[ـن أبي عمـ]رو[5] بن العلاء أنَّ عمر ابن الخـ[ـطَّاب][6] رَحِمَهُ اللهُ شكَّ في العتاق[7]، والهجن[8]، فدعا سلمان بن ربيعة الباهلي[9] بطست من ماء – أو بترس فيه ماء – فوضع بالأرض، ثمّ قُدِّم إليه الخيل فرسًا فرسًا، فما ثنى منها سُنْبكه[10] فشرب هجَّنه، وما شرب ولم يثن سنبكه عرَّبه؛[11] وذلك لأنَّ في أعناق الهجن قصرًا، فهي لا تنال الماء على تلك الحال حتى تثني سنابكها، وأعناق العتاق طوال[12].

وأنشدني أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: وقال لي أبو عبيدة: لا أعرف قائل هذا الشعر،

---

(1) فسّر ابن قتيبة هذا القول نقلاً عن ابن الأعرابي فقال: «.... وقوله: لهز لهز العير؛ أي ضُبّر خلقه تضبير الحمار، وأنف: قُدّد وحُدّد حتى استوى كما يستوي السير المقدود، والمسهلب: الماضي الذاهب، والمجلعب: الممتدّ، والمتلئب: المستقيم المستوي، والمدكوك الحجبة: الذي ليس لحجبته إشراف فهي ملساء مستوية، وهي أعلى وركيه الذي يشرف على صفاق بطنه». ينظر المعاني الكبير، 109/1–110، والعقد الفريد، 156/1–157، وديوان المعاني، 117/1.

(2) و(3) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط، والزيادة من عيون الأخبار، 154/1–155، وينظر العقد الفريد، 153/1، والحيوان، 363/2، وفيها زيادة مفيدة. ومسلم بن عمرو قائد عربي كان على ميسرة إبراهيم بن الأشتر النخعي صاحب مصعب بن الزبير، مات سنة 72 للهجرة، ينظر الهامش الثالث من الحيوان، 263/2.

(4) و (5) طمس في المخطوط، والزيادة يقتضيها السياق، وعبد الرحمن بن عبد الله بن قريب هو ابن أخي الأصمعي.

(6) طمس في المخطوط والزيادة من المصادر الآتية.

(7) العتاق: جمع عتيق وهو الرائع الكريم من الخيل.

(8) الهجن: جمع هجين أبوه عربي وأمّه برذونة أو غير عربية.

(9) سلمان بن ربيعة الباهلي، يلقَّب بسلمان الخيل، كان أبصر الناس بعتق دابّة، وأعلمهم بخارجيّ وعريق، يعرف السابق من المصلّي كما يقول الجاحظ، استقضاه على الكوفة، ثم ولي غزو أرمينية في زمن عثمان، ينظر البرصان والعرجان، ص331، مع هامش المحقق.

(10) السنبك: طرف الحافر وجانباه من قُدُم.

(11) عَرَّبَهُ: عدّه عربيًا؛ أي عتيقًا. وهَجَّنَهُ: عَدَّهُ هَجِينًا.

(12) ينظر غريب الحديث، 327/2، والمعاني الكبير 128/1، وأدب الكاتب، ص112–113، وعيون الأخبار، 155/1–156، وخيل الأصمعي، ص383–384، والعقد الفريد، 154/1–155، وسرح العيون، ص438–439.

وعروضه لا يخرَّج[1]. وخبَّرني أبو حاتم أنَّه لعبد الغفار الخزاعي:

ذاك وقد أذعر الوحوشَ بصَلْ / ـتِ
الخدِّ رحبٍ لبَّاتُه مِجْفَرْ[2]

طويلُ خمسٍ قصيرُ أربعةٍ
عريضُ ستٍّ مقلَّص حشْوَرْ[3]

[حدَّتْ له سبعة وقد عريت
تسعٌ فـ] ـفيه لمن رأى منظرْ[4]

[تمَّ له تسعةٌ كُسين وقد
أرحب منـ] ـه اللبانُ والمنخرْ[5]

بعيدُ عشرٍ وقد قر [بن له
عشـ] ـرٌ وخمسٌ طالت ولم تقصرْ[6]

---

(1) قولُ أبي عُبيدةَ: «لا يُخَرَّجُ» أيْ لا يستقيمُ على سَنَنِ العروض؛ وهو مُصِيبٌ في ذلك من وجهة نظر المتقدمين، وليسَ مَعْناهُ أنَّ القصيدةَ مختلّةٌ إلى حَدِّ الكَسْرِ أوْ عَدَمِ الوَزْنِ أصْلاً؛ فهي من بحرِ المنسرحِ بلا نِزاعٍ؛ ولكِنَّ ضَرْبَ البيتِ الواحدِ منها: «مَفْعولُنْ»، والأصْلُ: «مستفعِلُنْ»، والخَليلُ ومَنْ جاءَ بَعْدَهُ لا يُجيزُونَ ضرباً لتامِّ المنسرحِ غيرَ «مفتعِلُنْ» المَطْويّ، فلا الأصْلُ عندهم جائزٌ، ولا «مَفْعُولُنْ» المقطوع، فعَلى ذلك قال أبو عُبيدةَ إنه لا يُخرَّجُ. وأمّا غَيْرُ أولئك – ممَّنْ تأخَّرَ عنهم نِسْبيًّا – فقَدْ أَجازُوهُ ووَجَّهُوه فدخَلَ في القياس، لكثرةِ استعمالِه مع إمكانِ تخريجه؛ انظُرْ مثلاً: (الكافي في العروض والقوافي) للخطِيب التِّبْريزيّ، باب المنسرح، وكذا (المِعْيار في أوزانِ الأَشْعَار) لابنِ السَّرّاج الشَّنْتِرينيّ، الباب عينه. وانظر أيضاً: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مقال الدكتور محمود الطناحي، ج 3 م 66، سنة 1991، ص 644.

(2) رحب: واسع اللَّبات: واحدتها لبَّة وهي وسط الصدر والمنخر. مجفر: عظيم جوف الصدر. إنَّ هذا الفرس قد أذعر الوحش وأدخل في قلوبها الرعب لقدرته على الوصول إليها، وصيدها، فكأنَّه يذكرّنا بـ (قيد أوابد) امرئ القيس.

(3) الخمسة الطوال هي: العنق والأذنان والذراعان والأقراب والناصية. والأربع القصار هي: الأرساغ وعسيب الذَنَب والظهر والعصبة فوق الصفاق. والست العراض هي: الجبهة واللبان والمحزم والفخذان ووظيفا الرجلين ومثنى الأذنين. مقلّص: مرتفع. حشور: الملزَّز الخَلْق.

(4) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط، والزيادة من مصادر التخريج الآتية والسبعة الحداد هي: الأذنان والعينان والمنكبان والقلب وعرقوبا الرجلين والعظمان المتقابلان في باطن الكعبين والكتفان، والتسعة العواري هي: النواهق والسموم والخدّان والجبهة ومثنى الأذنين والكعبان وعصب اليدين وعصب الرجلين، وهذه ثمانية وأغفل ابن قتيبة والقالي التاسع.

(5) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط، والزيادة من مصادر التخريج الآتية والتسعة المكتسية هي: الكتفان والمعدان والناهضان والفخذان والكاذتان والحماتان، وهذه ستة وأغفل ابن قتيبة والقالي بقيتها. واللبان: الصدر.

(6) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط، والزيادة من مصادر التخريج الآتية والعشرة البعيدة هي: ما بين الجحفلة والناحية، وما بين الأذنين والعينين، وما بين العينين وما بين أعالي اللحيين، وما بين الناصية والعكوة، وما بين الحارك والمنكب، وما بين العضدين والركبتين، وما بين البطن والرفغين، وما بين الحجبتين والجاعرتين، وما بين الجاعرتين. والعشرة القريبة هي: ما بين المنخرين، وما بين الأذنين، وما بين المنكبين، وما بين المرفقين، وما

نُـقـفـيـه بـالـمـحـض دون و[لدتنا

و] عُـضُّــه فــي آريِّـــه يُنشرْ[1]

نـصـبـحـه تـــارة ونـغـبـقـه

ألــبـــانَ كـــومٍ روائـــمٍ ظُــــؤَّرْ[2]

مـوثّـقُ الـخـلـقِ جُـرْشُـع عـتـدٌ

منـضـرج الـحـضـر حـيـن يُستحضرْ[3]

خــاظــي الـحـمـاتـيـن لـحـمـه زيـمٌ

نـهـدٌ شـديـد الـصِّـفـاقِ والأبــهــرْ[4]

دقـيـقُ خـمـسٍ غـلـيـظُ أربـعـةٍ

نـائـي الـمـعـدَّيـن ليّن[5] الأشعرْ[6]

وهذا الشعر يجمع لك فراسة الخيل. وقد فسّرته في كتابي المؤلَّف في (خلق الفرس)[7]

بين الوركين، وما بين الحارك والقطاة، وما بين المعدين والقصرين، وما بين الجاعرتين والعكوة، وما بين الثفنتين والكعبين، وما بين الجبب والأشاعر. وقد مرَّت الخمسة الطوال في بيت سابق.

(1) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط، والزيادة من مصادر التخريج. نقفيه: نخصّ هذا الفرس بالطيب من الطعام ونفضِّله على أولادنا، والعُضّ: علف أهل الأمصار مثل القتّ والنوى، وآريّه: مَعْلفه.

(2) نصبحه: نسقيه صباحًا، ونغبقه: نسقيه عشاءً، والكُوم: النوق، والروائم: العاطفات على أولادها، والظُّؤَّر: النوق التي تعطف على غير ولدها ترضعه.

(3) جرشع: عظيم الصدر، ومنضرج: متّسع.

(4) الخاظي: الكثير اللحم المكتنز: والحماتان: عند طرفي الفخذين مما يلي الساقين، وزيم: متعضِّل متفرّق ليس بمجتمع في مكان فيبدُن، ونهد، جسيم مشرف قويّ، والصّفاق: الجلدة الباطنة التي تلي السواد سواد البطن، والأبهر: عرق في الظهر.

(5) الخمسة الدقيقة هي: الأرنبة والجحافل والجفون والأذنان وعرض المنخرين، والأربعة الغلاظ هي: الخلق والقوائم والقصرة وعكوة الذنب، والمعدّان: موقع دفتي السرج من الصهوة، والأشعر: ما استدار بالحافر من منتهى الجلد حيث تنبت الشعيرات حوالي الحافر.

(6) القصيدة منسوبة إلى عبد الغفار الخزاعي في: عيون الأخبار، 157/1، وأمالي القالي، 911/3، والمعاني الكبير، 191/3، وخيل أبي عبيدة، ص25، ومن المفيد أن نشير هنا إلى أنّ القالي ساق قصيدة طويلة لأبي صفوان الأسدي فصَّل فيها أعضاء الفرس تفصيلاً، ينظر 237/2.

(7) يريد به كتاب الخيل ضمن كتابه المعاني الكبير، وقد شرح ألفاظًا من القصيدة هناك، وعنه أخذنا بعض الشرح المتقدّم، ينظر 110/1، وما بعدها، وقال في عيون الأخبار، 158/1، بعد أن ساق القصيدة: «وقد فسَّرت هذا الشعر في كتابي المؤلَّف في خلق الفرس».

وما جاء عن العرب في الخيل كثير، فإن آثرت أن تعرف ذلك، وتراه مجموعاً نظرت في ذلك الكتاب، أو في كتابي المؤلَّف في (أدب الكاتب)[1] إن شاء الله.

النـجـوم:

وما تنفرد به العرب من العلوم، العِلم بمناظر النجوم، وأسمائها، وأنواعها، ومطالعها، ومساقطها[2] والاهتداء بها وا[ ][3].

مـالــت إلـيــه طــلابًــا و[استطيف به

كمـا تطـيـف نـجـوم] الـلـيـل بالقطبِ[4]

---

(1) ينظر أدب الكاتب، ص109، وما بعدها، وقد أشرنا فيما سبق إلى عادة ابن قتيبة في الإحالة على كتبه الأخرى، وهو هنا يحيل على كتابين منهما، وسيصنع مثل هذا فيما سنستقبل من الكتاب، وهي ظاهرة بيّنة في كتبه تقوّي نسبتها إليه، وتثبتها بما لا يدع مجالاً للشك.

(2) علَّق البيروني في كتابه الآثار الباقية، ص238–239 على قول ابن قتيبة السابق فقال: «... وإن كان أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الجبلي يهوّل ويطوّل في جميع كتبه، وخاصة في كتابه في تفضيل العرب على العجم، وزعم أنَّ العرب أعلم الأمم بالكواكب ومطالعها ومساقطها، ولا أدري أجهل أم تجاهل ما عليه الزرّاعون والأكرة في كلّ موضع وبقعة؛ من علم ابتداء الأعمال وغيرها، ومعرفة الأوقات على مثل ذلك؟ فإنَّ مَنْ كان السماء سقفه ولم يكنَّه غيرها، ودام عليه طلوع الكواكب وغروبها على نظام واحد، علَّق مبادىء أسبابه ومعرفة الأوقات بها، بل كان للعرب ما لم يكن لغيرهم، وهو تخليد ما عرفوه أو حدسوه حقًا كان أو باطلاً، حمدًا كان أو ذمًا، بالأشعار والأرجوزة والأسجاع، وكانوا يتوارثونها فتبقى عندهم أو بعدهم، ولو تأمَّلتها من كتب الأنواء وخاصة كتابه الذي وسمه بعلم مناظر النجوم... لعلمت أنَّهم لم يختصّوا من ذلك بأكثر مما اختصّ به فلاّحو كلّ بقعة، ولكنَّ الرجل مفرط فيما يخوض فيه، وغير خال عن الأخلاق الجبلّية في الاستبداد بالرأي، وكلامه في هذا الكتاب المذكور يدلّ على إحَن وترات بينه وبين الفرس؛ إذ لم يَرْضَ بتفضيل العرب عليهم حتى جعلهم أرذل الأمم وأخسَّها وأنذلها، ووصفهم بالكفر ومعاندة الإسلام بأكثر ممّا وصف الله به الأعراب في سورة التوبة، ونسب إليهم من القبائح ما لو تفكّر قليلاً، وتذكّر أوائل مَنْ فضَّل عليهم، لكذب نفسه في أكثر ما قاله في الفريقين تفرّطًا وتعدّيًا». هذا كلام البيروني بحروفه، آثرتُ إثباته – على طوله – خشية البتر، وتوخّيًا للإنصاف، وتحقيقًا للموضوعية، وهو محقّ في بعض مما ذهب إليه من حيث معرفة غير العرب بالنجوم ومساقطها والاهتداء بها، وقد كسر كتابه على هذا الأمر، ومَنْ يقرؤه يتبيّن له مصداق هذا، غير أنَّه أسرف هو أيضاً في الانتقاص من ابن قتيبة، وتسفيه رأيه، ولم نلحظ في طول هذا الكتاب وعرضه أنّه جعل من الفرس أرذل الأمم وأخسَّها وأنذلها كما يقول، بل رأيناه يفيء إلى التاريخ يفيد منه، ويستنطق نصوصه وحوادثه، شأنه شأن العالم الثبت، أمّا هذه الترات والإحن فلم نَرَها إلاّ عند البيروني وحده، إذ لم يُشر إليها أحد سواه. ولسنا بصدد تقديم العذر لابن قتيبة فهو لم يقترف ذنبًا، أو يقرب حرامًا، غير أنَّ ما ذهب إليه ينسجم انسجامًا متناغمًا مع مواقفه الفكرية والعقائدية التي بثها في كتبه، وظلَّ يدافع عنها، ويرمي من ورائها طيلة حياته، وتنظر رسالة ابن منّ الله القروي في الرد على ابن غرسية، ص321–322 في هذا الموضوع.

(3) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط.

(4) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط، والزيادة من الأنواء، ص 122 والبيت للكميت كما في الأزمنة والأمكنة، 190/1 و 210/2، وقد أخلَّ به الديوان.

لأنَّ مدار النجوم على القطـ[ـب][1]، قال كثيّر:

فـدع عنـك سُـعدى إنّـمـا تسعف النَّـوى

قـــران الـثـريـا مـــرَّةً ثـــمّ تـــأفُـــلُ[2]

يريد أنَّ الثريا تقارن الهلال لليلته في السنة مرّة واحدة ثمَّ تغيب، وكذلك سعدى إنَّما تلاقيها مرَّة في الحول، وهذا إنَّما يعرفه أعلم الناس بالمناظر، وأشدُّهم للنجوم مراعاة وتفقدًا. وقال آخر[3]:

إذا مـــا قـــــارن الـقــمــرُ الـثــريّــا

لـخـامـســةٍ فـقـد ذهــب الشتاءُ[4]

والثريا تقارن القمر لخمس يخلون من الشهر مرتين: مرَّة عند انصرام البَرْد وطيب الزمان، وعند انصرام الحرِّ. وقال آخر:

إذا مـــا قـــــارن الـقــمــر الـثــريــا

لـخـامـســةٍ فـقـد ذهــب المصيفُ[5]

وقال الأخطل:

[إذا طـلـع الـعـيّـوق والـنـجـمُ أولـجـت

سـ] ـوالفَها بين السماكين [والقلبِ][6]

---

(1) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط، والزيادة يقتضيها السياق.

(2) ديوانه، ص293.

(3) هو أسيد بن الحلاحل كما في لسان العرب، 283/3.

(4) البيت بلا نسبة في الأنواء، ص87، والأزمنة والأمكنة، 94/1، والآثار الباقية، ص337، وأدب الخواص، ص92، والأزمنة والأمكنة، 181/2، ونُسب في هذا الموضع إلى لقمان بن عاد.

(5) البيت بلا نسبة في الأنواء، ص87.

(6) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط، والزيادة من الديوان، ينظر، 43/1، والعيوق: نجم يتلو الثريا، وأولجت: أدخلت يعني الإبل، والسوالف: جمع سالفة وهي صفحة العنق، يريد أنَّهم لا يسيرون في النهار مخافة الحرّ، ويسيرون إذا طلع السماكان والقلب.

العيّوق يطلع مع [طلوع الث][1] ـريا، وذلك عند اشتداد الحرّ، وإذا طلـ[ـعا صبـ][2] ـحًا طلع السماك ليلاً، يقول فإذا اشتدَّ الحرّ جعلنا المسير ليلاً. وقال حاتم:

وعـــاذلـــةٍ هــبَّـــت بـلـيـل تـلـومـنـي

وقــد غــاب عــيّــوق الـثـريـا فعرَّدا[3]

أضاف العيّوق إلى الثريا، وذلك أنَّه يطلع إذا طلعت، وليس منها. وقال الأخطل يذكر بني سُليم:

ومـــا يـــلاقــون فــرَّاصًـــا إلـــى نـسـبٍ

حـتـى يـلاقـيَ جــديَ الـفـرقـدِ القمرُ[4]

جدي الفرقد: هو الذي يُستدلّ به على القبلة، وليس من منازل القمر، وهو وراء الفرقد بقرب القطب، فالقمر لا يلاقيه أبدًا.

وقال ذو الرمّة في الاهتداء بالنجوم:

فقلـت اجعـلي ضــوء الـفـراقـد [كلّها

يمينًا ومـهـوى النّسر] مـن عـن شمالكِ[5]

وقال آخر[6] في النجـ[ـوم][7]:

فـسـيـروا بـقـلـب الـعـقـرب [اليوم إنَّـــه]

ســواء عليكم بـالـنـحـوس وبـالـسـعـدِ [8]

---

(1) و (2) ما بين المعقوفات طمس في الأصل، والزيادة من الأنواء، ص36.

(3) ديوانه، ص 217.

(4) ديوانه، 207/1، وفرّاص هو ابن معن بن مالك بن يعصر.

(5) ديوانه، 1743/3 وما بين المعقوفين طمس في المخطوط، والزيادة من الديوان، 1743/3، والأنواء، ص188.

(6) نسب مصحّح الأنواء، ص71، البيت إلى الأسود بن يعفر، ثمّ عاد ونفاه عنه، وليس في ديوانه، ونُسب إلى الأسود في مجمع الأمثال، 408/3، وهو بلا نسبة في غريب القرآن، ص388، والقرطين، 118/2، والأزمنة والأمكنة، 193/1و312، وهو منسوب إلى شاعر جاهلي في الأزمنة والأمكنة، 348/2.

(7) طمس في المخطوط، والزيادة يقتضيها السياق.

(8) ما بن المعقوفين طمس في المخطوط، والزيادة من الأنواء، ص71.

أي: سيروا عند سقوط قلب العقرب، وهو نحس[1]. وقال الأسود بن يعفر[2]:

ولــدت بــحــادي الــنــجّــم يــحــدو قــريــنــه

وبـالـقـلـب قـلـب الـعـقـرب المتوقّدِ[3]

حادي النَّجم الدبران[4]، وهو نحس، وقال آخر[5]:

غــداة تــوخّــى الــمــلــك يلتمس الحبا

فــصــادف نــجــمًــا كــان كالدَّبرانِ[6]

وقال آخر:

قــد جــاء ســعــدٌ مــوعــدًا بــشــرّهِ

مــخــبــرةٌ جــنــوده بــحــرّهِ[7]

يعني سعد الأخبية، وجنوده الحشرات، وهو يطلُع في قُبل الدفاء فتنتشر، ويخرج ما كان منها [مستترًا فسمِّـ][8] ـي سعد الأخبية لذلك.

وللعـ[ـرب أسجاع في][9] طلوع النجوم تدلُّ على علم جمّ كثير؛ [كقو][10] لهم:

(1) يقول المعري في الفصول والغايات، ص396: «والعرب تتشاءم بحادي النجم وقلب العقرب».

(2) الأسود بن يعفر شاعر جاهلي من بني نهشل بن دارم، من فحول الشعراء، وضعه ابن سلاّم في الطبقة الخامسة. تنظر مقدمة ديوانه مع مصادرها.

(3) ديوانه، ص34، وفيه (يحرق ما رأى) بدل (يحدو قرينه). وورد البيت برواية المتن مرتين في كتاب الأنواء، لابن قتيبة، ينظر، ص38 و71.

(4) الدَّبران: نجم بين الثريا والجوزاء، ويقال له: التّابع والتّويبع، وهو من منازل القمر، سُمّي دبرانًا؛ لأنّه يدبر الثريا أي يتبعها. ينظر لسان العرب. 271/4.

(5) يقول ابن قتيبة: «قال بعضهم يذكر عبيد بن الأبرص حين تعرّض للملك في يوم بؤسه يريد حباه، فقتله»، وساق البيت، ينظر الأنواء، ص37.

(6) الأنواء، ص38.

(7) الرجز بلا نسبة في الأنواء، ص80، وله هناك حديث طويل، ولسان العرب، 213/3.

(8) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط، والزيادة من الأنواء، ص80.

(9) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط، والزيادة يقتضيها السياق.

(10) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط، والزيادة يقتضيها السياق.

إ[ذاطلع][1] سهيل برد الليل، وخيف السيل، وكان للحوا[ر الويل][2] فإذا طلع النَّجم[3] اتُّقي اللحم، وخيف السُّقم. وطلوعها لثلاث عشرة ليلة تخلو من أيّار.

وهم أيضًا أعلم الناس بمخايل[4] السحاب، وماطره، ومُخْلِفه، وتقول: أرنيها نمرة أُرِكَها مطرة[5]، ويقولون: إذا رأيت السماء كأنّها بطن أتان قمراء[6] فذلك الجَوْد[7].

وقال معقّر البارقي[8] لابنته بعد أن كفّ بصره: يا بنيّة، صفي لي السحاب. فقالت: أرى سحماء عقّاقة[9] ،كأنَّها حولاء[10] ناقة، ذات هيدب[11] دان، وسير وان. فقال: يا بنيّة، وائلي بي إلى حيث قفلة[12]؛ فإنَّها لا تنبت إلا بمنجاة من السيل[13].

وفي الحديث: إذا أنشأت بحريّة ثمَّ تشاءمت، فتلك عين غُديقة[14].

---

(1) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط، والزيادة من الأنواء، ص155، وينظر الأزمنة والأمكنة، 182/2.

(2) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط، والزيادة من الأنواء، ص155، وينظر الأزمنة والأمكنة، 182/2.

(3) النجم هو الثريا، يقول ابن قتيبة: «... فإذا سمعتهم يذكرون النجم من غير أن ينسبوه إلى شيء فاعلم أنَّهم يريدون الثريا»، الأنواء، ص24، وفي الأزمنة والأمكنة 188/1: «وأمّا الثريا فهي النجم، لا يتكلّمون بها مكبَّرة... والنّجم كالعَلَم له».

(4) مخايل: واحدتها مُخيلة، وهي السحابة التي إذا رأيتها حسبتها ماطرة.

(5) ينظر الأنواء، ص173، والأزمنة والأمكنة، 360/2، ولسان العرب، 235/5، وشرحه ابن قتيبة بقوله: «... والنمرة التي تُري سحابًا صغارًا ينأى بعضه عن بعض... ويكون كلون النمر». ونُسب في اللسان إلى أبي ذؤيب. وفي المخطوط: [أريكها]، وأثبتنا ما في اللسان لصوابه.

(6) قمراء: بيضاء.

(7) ينظر الأنواء، ص172، ولسان العرب، 113/5.

(8) معقّر: هو معقّر بن الحارث بن أوس بن حمار بن شجنة بن مازن بن ثعلبة البارقي، وفي اسمه خلاف. شاعر جاهلي، حسن، متمكّن، سُمي معقّرًا ببيت في واحدة من قصائده. كان حليف بني نمير. ينظر المؤتلف ص92، ومعجم الشعراء، ص204، والأغاني، 152/11، ولسان العرب، 599/4، وخزانة الأدب، 17/5.

(9) عقّاقة: مليئة بالماء.

(10) حَوَلاء: جلدة تخرج مع ولد الناقة فيها عروق خضر وحمر، شبّهت السحابة في تشقّقها بالماء.

(11) الهيدب: ما تدلّى من أسافل السحاب إلى الأرض.

(12) قَفْلة: الشجرة اليابسة، أو هو ضرب من الشجر لا ينبت إلاّ مرتفعًا من السيل، كما شرحه ابن قتيبة في الأنواء، ص173.

(13) ينظر الأنواء، ص173، ومجالس ثعلب، 347/1و665/2، وغريب الحديث، 533/2، والأزمنة والأمكنة 97/2و361، ولسان العرب، 256/10، و561/11و138/12و79/14، وبلوغ الأرب، 250/3.

(14) ينظر الأنواء، ص170، وشرحه ابن قتيبة بقوله: «يريد إذا ابتدأت من ناحية البحر، ثمَّ أخذت نحو الشام فتلك عين غديقة؛ أي مطر جود، والغديق الكثير الماء». والحديث في شرح الموطأ، 199/1، والكامل، 971/2، والأزمنة والأمكنة، 96/2، ولسان العرب، 305/13و465.

ويقولون: مطرنا بالعين[1]؛ إذا نشأ السحاب من ناحية القبلة[2] .

ويقولـ[ـون: العين اسم لما عـ] ـن [قـ] ـبلة العراق. والعين أيضًا مطر أيام [لا تُقلع][6].

[وهـ] ـم[3] أعلم الناس بالرياح، ومهابّها، ولواقحها وحوائلها[4]، والبروق، وما كان منها مُبشّرًا، وما كان منها خُلَّبًا، وربّما انتقلوا بلمعانه، ولم [يبعثوا][5] رائدًا ثقة بعلمهم به. ويحمدون المطر إذا كان في سرار الشهر، وآخر ليلة منه.

وحدَّثني الرياشي قال: [سألت][6] أعرابيًا عن قول الراعي:

تلقَّى نَوءهنّ سرار شهرٍ

وخير النَّوء ما لقي السرارا[7]

فقال: مُطرنا عامًا أوّل لليلتين بقيتا من الشهر، فاندحَّت الأرض كلأً[8].

أخبرني الرياشي عن الأصمعي قال: يقال: بنى بيتًا فدحاه؛ أي: وسَّعه[9].

ويحمدون المطر إذا كان في أوَّل ليلة من الشهر، قال الكميت:

والغيث بالمتألِّقا

ت من الأهلَّة في النواحرْ[10]

(1) جاء في لسان العرب، 304/13: «يقال: هذا مطر العين، ولا يقال: مُطرنا بالعين».
(2) ينظر الأنواء، ص169، ولسان العرب، 304/13.
(3) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط، والزيادة يقتضيها السياق.
(4) حوائلها: تغيّرها من مكان إلى آخر.
(5) كلمة غير مقروءة في المخطوط، وأثبتنا [يبعثوا] لملاءمتها السياق.
(6) كلمة غير مقروءة في المخطوط، والزيادة من غريب الحديث، 11/2.
(7) ديوانه، ص144.
(8) ينظر غريب الحديث، 201/2، ولسان العرب، 433/2، واندحَّت: اتسعت وامتلأت بالكلأ.
(9) ينظر لسان العرب، 251/14.
(10) ديوانه، 332/1، يقول ابن قتيبة: «... والنواحر جمع ناحرة، وهي الليلة التي تنحر الشهر، أي تكون في نحره»، ينظر الأنواء، ص181، يريد آخر يوم في الشهر.

وليس يحمدون محاق الشهر في شيء إلاّ في المطر. وقال جران العود[1]:

أتــونـــي بــهــا قــبــل الــمــحــاق بــلــيــلــة

فــكــان مــحــاقًــا كــلَّــه ذلــك الشهرُ[2]

و[مـ][3] ـن كتاب الله، وهو قوله: ﴿فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ﴾[4]. [وهم يستدلّون][5] على الجدب باحمرار الآفاق، واحمرار السحاب، واصفراره. قال أميّة[6]:

ويـــلُ امِّ قــومــي قــومًــا إذ أقــحــط الــ

ــقــطــر وآضـــــت كــأنَّــهــا دمُ[7]

وشُــــــوّذت شــمــســهــم إذ طلعت

بــالــجــلــب هــفًّــاً كــأنَّــه كَــتَـــمُ[8]

فإذا كان البرق عندهم وليفًا وثقوا بالمطر، والوليف: الذي يلمع لمعتين متتابعتين، قال صخر الغيّ[9]:

---

(1) مرَّت ترجمته.

(2) ديوانه، ص11، والبيت فيه إقواء فسائر أبيات القصيدة مكسور الرويّ. والبيت ليس لجران العود، بل لصديقه وخدنه الرّحال، وقد وردت القصيدة في ديوان جران. ونسبها ابن قتيبة في الشعر والشعراء 2/719–720 إلى الرّحال، وتنظر الحماسة البصرية، 2/315–316، ففيها مزيد من التخريج.

(3) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط.

(4) القمر، 19.

(5) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط، والزيادة يقتضيها السياق.

(6) هو أمية بن أبي الصلت الشاعر المعروف.

(7) آضت: صارت شيئًا آخر، وهو يقصد الدنيا التي احمرّت فصارت كأنّها دم.

(8) ديوانه، ص88 باختلاف يسير. وشوّذت: عُمِّمَت. والجَلْب: السحاب الذي لا ماء فيه، والهِفّ: الرقيق، والكتم: نبات أحمر يختضب به.

(9) صخر الغيّ: الغيّ لقب لُقّب به لخلاعته، وشدّة بأسه، وكثرة شرّه، واسمه صخر بن عبد الله الهذلي، أحد بني خيثم بن عمرو بن الحارث، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، ينظر الشعر والشعراء، 2/668، والأغاني، 22/380، والإصابة، 2/199، رقم [4127]، وشرح أشعار الهذليين، 1/245.

لـشــمّــاء بــعــد شــتــات الــنَّــوى

وقــد بـــتّ أخــيــلــت بــرقــاً وليفا[1]

وإذا كان السحاب بطيئًا في سيره فذاك دليلهم على كثرة مائه، قال عدي بن زيد:

وحـــبـــيٍّ بــعــد الـــهـــدوّ تــزجِّــيـ

ــهِ شــمــالٌ كــمــا يُــزجَّــى الكسيرُ[2]

أي: تسوقه الشمال، وهو بطيء لثقله من الماء، فليس يسير إلاّ كما يسير الكسير.

وإذا كان السحاب أبيض، أو أصهب إلى البياض، فليس فيه عندهم ماء. قال النابغة – وذكر سحائب –:

[صُهبًا ضِـمـاء أتـيـن التِّـيـن عـن عُـرُضٍ

يُـزجـيـن غـيـمًـا قـلـيـلاً مـــاؤه شَبِما][3]

وصح وعاد فجعل الناس يسأ [لون فلم يجدوا مَنْ][4] يخبرهم، فأتوا عبد الله بن مسعود فأرسل [ا][5] لناس،، وليس عليك فيما أخذ عليك فيه [شـ][6] ـيء.

الفراسة:

ومن ذلك الفراسة والتوسُّم، يتوهّم كثير من الناس أنَّه لا حظَّ للعرب فيهما، ولها منهما

---

(1) البيت منسوب إلى صخر الغيّ في شرح أشعار الهذليين، 294/1، ولسان العرب، 365/9، وفي الأزمنة والأمكنة، 105/2 و363: «قال الهذلي...»، وساق البيت.

(2) ديوانه، ص86، والحبّي: السحاب الكثيف الذي يدنو من الأرض، وتزجيّه: تسوقه.

(3) لم يرد البيت في المخطوط، واستضأتُ بالأنواء، ص175، والأزمنة والأمكنة، 361/2، ويبدو أنَّ هناك سقطًا بمقدار سطرين إذ يظهر الكلام منبتَّ الصلة بالبيت الذي قبله. وينظر ديوان النابغة، ص217، ولسان العرب، 75/13، والتين: جبل في بلاد غطفان.

(4) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط، والزيادة تتلاءم مع السياق.

(5) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط.

(6) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط، والزيادة تتلاءم مع السياق.

الحظُّ الأوفر. قال الشاعر[1]:

لا تســـــأل الـــمــرء عـــن خـلائـقـه

فـــي وجــهــه شـــاهـد مـــن الخبرِ[2]

وقال آخر[3] في رسول الله ﷺ:

لـــو لـــم تـكــن فـيــه آيــــات مـبيِّـنـة

كـانــت بـداهـتـه تُـنـبـيـك بالخبرِ[4]

وقال الكميت في مخلد بن يزيد[5]:

رفـــعـــــتْ إلـــيــــك ومــــــا اتـغـد

ت عـــيـــون مـــســتـمـع ونــــاظـــرْ[6]

ورأوا عــلـيـك ومـــنـــك فـــي الـــ

ـــمـهـد الـنـهـى ذات البصائرْ[7]

---

(1) هو سلم بن عمرو بن حماد الملقَّب بالخاسر؛ لأنَّه باع مصحفاً واشترى بثمنه طنبورًا، أو لأنَّه أنفق مالاً وافرًا على الأدب. شاعر معروف من شعراء العصر العباسي، توفيّ سنة 186 للهجرة، عُرف بالمجون وحبّ اللهو. ولد في البصرة ونشأ بها، ثمّ تحوّل إلى بغداد، له شعر في المديح والهجاء والوصف والغزل، تنظر مقدمة شعره المجموع مع مصادرها.

(2) شعره، ص199.

(3) هو عبد الله بن رواحة الصحابي الجليل ﷺ، وأحد شعراء رسول الله ﷺ. سقط شهيدًا في غزوة مؤتة في السنة الثامنة للهجرة. تنظر مقدمة ديوانه مع مصادرها.

(4) ديوانه، ص95.

(5) مخلد بن يزيد بن المهلّب بن أبي صفرة، سيد شريف، كان على حداثته يُقدّم على أبيه. وساد وهو صبي. ينظر المعارف، ص400، 591.

(6) في عيون الأخبار: (وما ثُغِرْت). ويقال: ثغر الغلام إذا سقطت أسنانه الرواضع، واتغدت: صرتَ صبيًا، والمعنى قريب.

(7) ديوانه، 332/1، وينظر الأغاني (طبعة مصر)، 35/17.

ورأى بكير بن الأخنس [المهلَّب][1] وهو غلام فقال:

خذوني به إن لم يسُدْ سرواتهم

ويبرع حتى لا يكون له مِثلُ

فكان كما قال[2].

ونظر رجل إلى معاوية وهو صغير فقال: [إنِّي أظنُّ هذا][3] الغلام سيسود قومه. قالت هند: [ثكلته إن][4] كان لا يسود إلاّ قومه[5].

عبد الرحمن عن الأصمعي قال: أخبرنا جُميع عن أبي غاضر، وكان شيخًا مُسنًّا من أهل البادية من ولد الزبرقان بن بدر[6] من قبل النساء. قال: كان الزبرقان يقول: أبغض صبياننا إليه الأقيعس[7] الذكر الذي كأنَّما يطلع في حجره، وإن سأله القوم أين أبوك؟ قال: معكم[8].

قال: وقيل لأعرابي: بِمَ تعرفون سؤدد الغلام فيكم؟ قال: إذا كان سائل الغرّة[9]، طويل الغرلة[10]، ملتاث الإزرة[11]، وكانت فيه لوثة[12]، فلسنا نشكّ في سؤدده[13].

---

(1) هذه الكلمة ساقطة في المخطوط، وأثبتناها عن عيون الأخبار، 230/1، وبها يستقيم الكلام.

(2) الخبر والشعر في عيون الأخبار، 230/1.

(3) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط، والزيادة من المصادر القادمة.

(4) ما بين المعقوفات طمس في المخطوط، والزيادة من المصادر القادمة.

(5) ينظر عيون الأخبار، 224/1، والأمالي، 157/1، والعقد الفريد، 287/2.

(6) الزبرقان بن بدر بن خلف بن بهدلة بن عوف... كان اسمه حصين ولّقب بالزبرقان لجماله، أو لصفرة عمامته. صحابي، استعمله رسول الله ﷺ على صدقات قومه. ينظر المعارف، ص302، والاشتقاق، ص254، وخزانة الأدب، 100/8.

(7) الأقيعس: تصغير الأقعس – وهو نقيض الأحدب – أي: خروج الصدر، ودخول الظهر.

(8) ينظر غريب الحديث، 559/1، وفيه زيادة، وعيون الأخبار، 223/1، والبيان والتبيين، 270/2، ولسان العرب، 177/6.

(9) سائل الغرّة: بياض وجهه واضح.

(10) طويل الغرلة: طويل القُلفة، وإنَّما أعجبه طولها لتمام خلقه.

(11) ملتاث الإزرة: قويّ الحالة والمظهر.

(12) اللوثة: شيء من الحمق يعينه على اقتحام الصعب.

(13) ينظر عيون الأخبار، 223/1، والبيان والتبيين، 270/2، والكامل، 201/1، والعقد الفريد، 287/2، والأمالي، 166/1، وهو منسوب إلى الأشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي، ولسان العرب، 490/11.

وقيل لأعرابي: أيُّ الغلمان أسود؟ قال: إذا رأيته أعنق[1]، وأشدق[2] أحمق، فأقرب به من السؤدد[3].

وقال معاوية: ثلاث من السؤدد: الصَّلع، واندحاق البطن، وترك الإفراط في الغيرة[4].

وأنشدنا الرياشي:

إنّ سعيدًا وسعيدٌ فرْعُ
أصلع تنميه رجال صُلْعُ[5]

حدَّثني السجستاني قال: حدَّثنا الأصمعي عن موسى بن سعيد الجمحي عن أبي مُصعب الزبيري قال: قال لي عثمان بن محمد بن إبراهيم بن حاطب الجمحي، وكان رجلاً موجَّهًا، ذا علم، قال: أتاني فتى من قريش يستشيرني في امرأة يتزوّجها، فقلت: يا أخي، أقصيرة النسب أم طويلته؟ فكأنَّه لم يفهم. فقلت: يا بن أخي، إنّي لأعرف في العين إذا أنكرت، وأعرف منها إذا عرفت، فأمّا إذا عرفت فتحواص[6]، وأمّا إذا أنكرت فتجحظ، وأمّا إذا لم تعرف ولم تنكر فتسجو[7]؛ أي: تسكن.

القيافة:

ومن علوم العرب القيافة، ولست أدري أتنفرد بها، أم تعرفها غيرها، وتشركها فيه؟ وهي شبيه بالفراسة في معرفة الأشياء في الأولاد، والقرابات، ومعرفة الآثار.

---

(1) الأعنق: طويل العنق غليظه.

(2) الأشدق: واسع الشَّدْق وهو جانب الفم، وهي صفة الرجل المتفوّه ذي البيان.

(3) ينظر عيون الأخبار، 223/1، ومجالس ثعلب، 616/2.

(4) ينظر عيون الأخبار، 223/1، والبرصان والعرجان، ص543، ونثر الدرّ، 18/3، وله تعليق عليه. واندحاق البطن: سعتها.

(5) بلا نسبة في عيون الأخبار، 224/1، وفيه: «قريش تمدح بالصلع»، والبرصان والعرجان، ص541، وقد أورد الجاحظ نماذج كثيرة عن هذا الموضوع، وفي ديوان المعاني، 164/1، أنَّ علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه استشهد ببيت الشاعر:

بني المجد آباء لهم شرف
صلع الرؤوس وسيما السؤود الصَّلعُ

(6) تحواص: تضيق.

(7) ينظر غريب الحديث، 461/2، والأخبار الموفقيات، ص521، والعقد الفريد، 362/2و104/6.

وبنو مدلج القافة منهم[1]. حدَّثنا الأصمعي قال: اختصم رجلان إلى عمر في غلام كلاهما يدَّعيه، فسأل عمر أمّه، فقالت: غشيني أحدهما، ثمّ هرقت دمًا، ثمّ غشيني الآخر. فدعا عمر قائفين فسأل أحدهما، فقال: أعلن أم أسرُّ؟ قال: أسرّ. قال: اشتركا فيه. فضربه عمر حتى اضطجع، ثمّ سأل الآخر فقال مثل قوله، فقال عمر: ما كنت أرى أنَّ هذا يكون، وقد علمت أنَّ الكلاب تسفد الكلبة فتؤدي لكل فحل نجله[2].

حدَّثني أبو حاتم قال: حدَّثنا الأصمعي عن رجل من آل أبي مسروح عن عوسجة بن مغيث القائف قال: كنَّا نُسرقُ نخلنا، فعرفنا آثارهم، فركبوا الحُمر، فعرفنا نَمَش أيديهم في العذوق. والنمش: الأثر[3].

حدَّثني أبو حاتم عن الأصمعي عن رجل من آل أبي مسروح عن أبي طرفة الهذلي قال: رُئي قائفان وهما منصرفان من عرفة بعد الناس بيوم أو اثنين إثر بعير، فقال أحدهما: ناقة، وقال الآخر: جمل، فتبعاه فمرَّة يستجمعُ لهما الخفّ، ومرة يريان الخطرة[4] منه، حتى دخلا شعبًا من شعاب منى، فإذا هما بالبعير، فأطافا به فإذا هو خنثى[5].

ومن المحفوظ في وصف قائف أنَّه كان يعرف أثر الذرة الأنثى من الذرة الذَّكر على الصَّفا[6]، وقال الأعشى:

انظر إلى كفِّي وأسرارها

هل أنت إن أوعدتني ضائري[7]

---

(1) ينظر ثمار القلوب، ص120، والبخلاء، ص302، ولسان العرب، 293/9.

(2) ينظر عيون الأخبار، 69/2، والعقد الفريد، 233/6، والأخبار الموفقيات، ص363، وفيه: «أنَّ عمر كان قائفًا»، وفي الممتع، ص327، أنَّ «عمر كان عرّافًا قائفًا»، وينظر الحيوان، 59/2، عن هذا الطبع في الكلاب، و365/2 مع تعليق الجاحظ، وينظر شرح الموطأ، 215/2.

(3) ينظر غريب الحديث، 519/2، ولسان العرب، 359/6.

(4) الخَطرة: من سمات الإبل، خطره بالميسم في باطن الساق.

(5) ينظر غريب الحديث، 519/2.

(6) في الكامل، 743/2: «... ومن ذلك ما يحكون في خبر لقمان بن عاد؛ فإنَّهم يصفون أنَّ جارية له سُئلت عمّا بقي من بصره فقالت: والله لقد ضعف بصره، ولقد بقيت فيه بقيّة، إنَّه ليفصل بين أثر الأنثى والذكر من الذرّ إذا دبّ على الصفا»، ويعلّق المبرّد بقوله: «... في أشياء تشاكل هذا من الكذب»، وينظر جمهرة الأمثال، 126/1، وهو يتحدّث عن النسر الذي يعيش أربعمئة سنة، والذرّ صغار النمل واحدته ذرَّة.

(7) ديوانه، ص181، وفي هامش الديوان: «انظر إلى كفّ، كانوا ينظرون إلى الكفّ ويرون فيها دلائل المستقبل»،

وكانوا يقولون: إنَّ ضيق الكفّ يدل على البخل[1]. قال الأخطل:

[وناطوا] مـن الـكـذَّاب كـفًّا صغيرة
ولـيـس عـلـيـهـم قـتـلـه بكبيرِ[2]

وقال ابن الأعرابي: رماه بالبخل؛ صغر الكفّ يدلُّ على ذلك.

ومن القافة سُراقة بن مالك بن جعشم المدلجي[3]، الذي بعثته قريش في إثر رسول الله ﷺ وأبي بكر حين خرجا مهاجرين؛ لمعرفته بالآثار.

ومنهـم مجزّز[4]. حدَّثني محمد بن عبيد قال: حدَّثنا أبو عيينة عن الزهري عن عـروة عن عائشـة قالـت: دخل مجـزّز على رسول الله ﷺ فرأى زيد بن حارثـة[5] وأسامة[6] قـد نامـا في قطيفة، وغطَّيا رؤوسهما، وبـدت أقدامهما، فقـال: إنَّ هـذه أقـدام بعضها من بعـض.

ويعلّق المرزوقي على هذا البيت بقوله: «جعله مثلاً؛ لأنَّهم كانوا ينظرون إلى الكفّ، يستدلّون بها»، الأزمنة والأمكنة، 352/2، وينظر المختار من شعر بشار، ص148.

(1) ينظر غريب الحديث، 501/1.

(2) ديوانه، 68/1، وأراد بالكذّاب المختار بن أبي عبيد الثقفي. وما بين المعقوفين كلمة غير مقروءة، والزيادة من الديوان.

(3) هو سراقة بن مالك بن جُعثم المدلجي، يكنى أبا سفيان، كان ينزل قديدًا. دعا عليه رسول الله ﷺ وهو يتعقّبه، فساخت رجلا فرسه حتى طلب الخلاص، فكتب له أمانًا. أسلم يوم الفتح، وقال له رسول الله: كيف بكَ إذا لبست سواريْ كسرى؟ فلما أتى عمر بهما ألبسهما سراقة مصدّقاً لقول رسول الله. مات في خلافة عثمان سنة أربع وعشرين. ينظر الإصابة، 127/4، رقم (3109)، والاستيعاب، 131/4، رقم (916)، وسيرة ابن هشام، 134/2.

(4) مجزّز: قائف معروف له شأن. ينظر لسان العرب، 293/9.

(5) زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، أبو أسامة، مولى رسول الله ﷺ، أُخذ في الجاهلية بغارة لبني القين، وباعوه بسوق عكاظ، فاشتراه حكيم بن حزام لعمّته خديجة، فلما تزوجت رسول الله وهبت زيدًا له. تعرّف عليه أبوه وعمّه فعرفهما، وطلبا من رسول الله أن يقبل بالفداء، فخيره رسول الله بلا فداء، فاختار رسول الله، شهد بدرًا وما بعدها، وقتل في غزوة مؤتة وهو أمير، ينظر الإصابة 47/5، رقم (2884)، والاستيعاب 47/5، رقم (843).

(6) أسامة بن زيد، الحبّ بن الحبّ، أبوه زيد المتقدَّم ذكره، وأمّه أم أيمن حاضنة رسول الله. ولد في الإسلام، وتوفي رسول الله وله عشرون سنة أو ثماني عشرة سنة. أمَّره رسول الله على جيش كبير. وكان عمر يجلّه ويكرمه ويفضّله على أولاده في العطاء. توفي في خلافة معاوية. ينظر الإصابة، 45/1، رقم (89)، والاستيعاب، 143/1، رقم (21).

فسُـرَّ رسول الله ﷺ بذلك[1].

العيافة والطَّرْق والخط والكهانة:

ومن علوم العرب في الجاهلية العيافةُ، والخط، والطَّرْق، والكهانة[2].

فأمّا العيافة فزجر الطائر، وذلك أن تعتبر بأسمائها، ومساقطها، ومجاريها، وأصواتها[3]. قال الشاعر[4]:

تـغـنّـى الـطـائـران بـبـيـن سـلـمـى

عـلـى غـصـنـيـن مـن غَـرْبٍ وبـانِ

فـكـان الـبـانُ أن بـانـت سُـلـيـمـى

وفـي الـغـرب اغـتـراب غـيـر دانِ[5]

فزجر في الغرب الغربة، وفي البان البين.

وقال الكميت لجذام[6] في انقطاعهم إلى اليمن:

---

(1) ينظر صحيح البخاري، 583/4، وثمار القلوب، ص121، ونثر الدر، 234/1، والأزمنة والأمكنة، 204/2، ولسان العرب، 293/9، وبلوغ الأرب، 262/3، والبرهان، ص94.

(2) في الحديث: «الطيرة والعيافة والطَّرْق من الجبت». ينظر سنن أبي داود، 229/4، ونثر الدر، 202/1، والترغيب والترهيب، 64/4، ولسان العرب، 215/10.

(3) ينظر غريب الحديث، 515/1، ولسان العرب، 261/9.

(4) نسب ابن قتيبة هذين البيتين في عيون الأخبار، 149/1 إلى المعلوط، ونسبهما الجاحظ في الحيوان، 440/3 إلى سوار بن المضرب، ونسبهما المبرد في الكامل، 191/1، وصاحب العقد الفريد، 414/5 إلى جحدر العكلي، وحقّق هذه النسبة السيد عبد المعين الملوحي في كتابه أشعار اللصوص وأخبارهم، 174/1، وكان جحدر لصًا دخل السجن غير مرّة، طلبه الحجاج وعامله باليمامة فقُبض عليه، ومثل بين يدي الحجاج الذي أجبره على مقاتلة أسدٍ ضار فقتله، وأكرمه الحجاج. ينظر أشعار اللصوص، 174/1 مع مصادره.

(5) البيتان بلا نسبة في: مجمع الأمثال، 195/2، والأمالي، 281/1، والمحاسن والمساوئ، 16/2، وخزانة البغدادي، 209/11، وهما منسوبان إلى المعلوط في عيون الأخبار، 149/1، وإلى سوار بن المضرب في الحيوان، 440/3، وإلى جحدر العكلي في الكامل، 191/1، وإليه في أشعار اللصوص وأخبارهم، 193/1، وما بعدها ضمن قصيدة عدّتها ثلاثة وثلاثون بيتًا.

(6) جذام: قبيلة من اليمن تنزل بجبال حِسْمى، وتزعم نسّاب مضر أنَّهم من معدّ. ينظر الاشتقاق، ص375، ولسان العرب، 89/12.

وكــان اســمكــم لــو يــزجــر الــطَّــيــرَ عــائــفٌ

لــبــيــنــكــمُ طــيـــرًا مــبــيّــنــه الـــفـــألُ[1]

يقول: اسمكم[2] جذام، والزجر فيه الانجذام؛ وهو الانقطاع، ومن الغراب أخذ الغربة، وكانوا يسمّونه حاتمًا؛ لأنَّه يحتم عندهم بالفراق [3].

وأكثر العافة من بني أسد[4]. حدَّثني أبو حاتم قال: حدَّثنا الأصمعي قال: أخبرني سعد ابن نصر أنَّ نفرًا من الجنِّ تذاكروا العيافة في بني أسد، فأتوهم فقالوا: إنَّه ضلَّت لنا ناقة فلو أرسلتم معنا مَنْ يعيف. فقالوا لغليِّم[5] منهم: انطلق معهم، فاستردفه[6] أحدهم، ثمَّ ساروا فتلقَّتهم عُقاب كاسرة إحدى جناحيها، فاقشعرّ الغُليِّم وبكى. فقالوا: ما لك؟ فقال: كسرت جناحًا، ورفعت جناحًا، وحلفت بالله صُراحًا، ما أنت بإنسيٍّ ولا تبغي لقاحًا[7].

الـخـط:

والخطُّ[8] أن يخطّ الزاجر في الرَّمل، ويزجر. حدَّثني أبو حاتم قال: حدَّثنا أبو زيد الأنصاري أنَّه يخط خطَّين في الأرض يسمِّيهما ابني عيان، فإذا زجر قال: ابني عيان، أسرعا البيان[9]. قال الراعي – وذكر قِدْحًا – [10]:

---

(1) أخلَّ به ديوانه، وهو منسوب إليه في غريب الحديث، 516/2، والأزمنة والأمكنة، 350/2.

(2) من هنا إلى (الانقطاع) ينقله المرزوقي في الأزمنة والأمكنة، 350/2 بحروفه.

(3) من أمثالهم: «أشأم من غراب البين»، وينظر عن هذا المثل، واشتقاق لفظة غراب: المستقصى، 183/1، ومجمع الأمثال، 194/2، والتمثيل والمحاضرة، ص368، وثمار القلوب، ص458، والعقد الفريد، 302/2، و347/5، وجمهرة الأمثال، 559/1، والحيوان، 316/2و436/3، وتأويل مختلف الحديث، ص140.

(4) في ثمار القلوب، ص121: «عيافة بني لهب وهم أزجر العرب، وأعيفُهم»، وفي العقد الفريد، 330/3، قول دغفل النسّابة عن بني أسد: «عافة قافة»، وفي لسان العرب، 261/9: «وبنو أسد يذكرون بالعيافة، ويوصفون بها».

(5) غُليِّم: تصغير غلام.

(6) استردفه: أركبه خلفه على الدابة.

(7) ينظر غريب الحديث، 517/2، وبهجة المجالس 175/3، ولسان العرب، 261/9، ولقاح: جمع لِقحة؛ وهي ذوات الألبان من النوق.

(8) ينظر لسان العرب، 288/7، ففيه تفصيل وافٍ.

(9) ينظر غريب الحديث، 403/1، والميسر والقداح، ص90، وجمهرة الأمثال، 39/1، ولسان العرب، 287/7.

(10) القِدْح: السهم قبل أن يشذب ويُنصَّل.

وأصـــفـــرَ عـــطّـــافٍ إذا راح ربُّـــه

غــدا ابــنــا عــيــانٍ بــالــشّــواء المضهَّبِ[1]

يقول: إذا راح صاحب القدح به علم أنَّه يخرج فائزًا، فإذا قصد أتى بالشواء، فرواح صاحبه به دليل على الشواء.

وكان منهم حِلْس الخطّاط[2]. ذكروا أنَّ الثوري[3] أتاه، وغيره، وسأله فخبَّره بكلّ ما عرف. وقال: سهَّل ذلك عليَّ الحديث الذي يرويه أبو هريرة عن النبي ﷺ: كان نبي من الأنبياء يخطّ[4]. وقول ابن عباس في قول الله جل وعزَّ: ﴿أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ﴾[5]، قال: الخطّ[6].

الطَّرْق:

والطَّرق نثر الحصى في الأرض[7]، والاستدلال بوقوعه، واجتماعه، وتفرّقه، وما أخبره، كما يفعل صاحب الشعير، فإنَّما قيل له: طارق؛ لأنَّه إذا أراد نثرها ضرب بها الأرض، والطَّرْق: الضرب، ومنه قيل: طرقت الصوف إذا ضَرَبته بالعود، وقيل لعود النجَّاد: مطراق، ولحديد الحدّاد: مِطرقة، قال الشاعر[8]:

---

(1) ديوانه، ص15، باختلاف يسير، المضهَّب: المشوي على النضج ولم ينضج.

(2) حلس: رجل معروف بالزجر والخطّ. ينظر لسان العرب، 290/7.

(3) الثَوري: سفيان بن سعيد بن مسروق، أبو عبد الله الكوفي، والثوري نسبة إلى ثور بن عبد مناة. ولد سنة سبع وتسعين. كان ثقة مأمونًا كثير الحديث، كان يشبه التابعين في الورع والزهد. توفي سنة إحدى وستين بالبصرة. ينظر طبقات ابن سعد، 371/6، ووفيات الأعيان، 127/2، وتهذيب التهذيب، 111/4.

(4) ينظر غريب الحديث، 403/1، وتفسير القرطبي، 179/16، والأوائل، ص334، والأخبار الموفقيات، ص362، وفي العقد الفريد، 157/4: «وروي عن أبي ذرّ عن النبي ﷺ أنَّ إدريس أول مَنْ خطَّ بالقلم بعد آدم ﷺ»، ولسان العرب، 287/7، وتاريخ الطبري، 170/1، والكامل في التاريخ، 60/1، وفيهما أنَّ إدريس أول مَنْ خطّ بالقلم، وسنن أبي داود، 229/4.

(5) الأحقاف، 4.

(6) ينظر تفسير الطبري، 4/13، وتفسير القرطبي، 179/16، وفيهما رأي ابن عباس، وساقا أقوالاً أخرى تنظر في مواضعها. وينظر غريب الحديث، 404/1.

(7) يقول الجاحظ في الحيوان، 580/5: «والطَّرْق – بإسكان الراء –: الضرب بالحصى، وهو من فعال الحزاة والعائفين»، والحزاة: هم الكهان، وينظر لسان العرب، 215/10، ففيه تفصيل وافٍ، وغريب الحديث، 403/1.

(8) هو لبيد بن ربيعة العامري.

لعمرك ما تدري الطوارقُ بالحصى

ولا زاجرت الطير ما الله صانعُ[1]

الكهانة:

والكهانة أحسبها برَئي[2] من الجنّ، حدثني يزيد بن عمرو قال: حدَّثنا محمد بن صالح الضَّبي عن القاسم بن عروة عن عيسى بن يزيد بن بكر الليثي قال: ذُكرت الكهانة عند رسول الله ﷺ، فقال زبّان العدوي[3]: والله يا رسول الله، لقد رأيت من ذلك عجبًا. قال: «وما هو»؟ قال: كانت أمي ولدت خمسة أنا أحدهم، وكان يقال لها: أنيسة، فخرجت في سفر، تركتهم معاً، ثمَّ رجعت فوجدتهم قد خفضوا[4] في اليمن، وانحطّوا من الجبل، فخرجت في آثارهم حتى نزلت على رجل من بني نهد، فطلعت جويرية له أمام غنم لها، على رقبتها علبة[5] [ ][6] فوق [ ][7]، فلمّا رآها قال: مرحبًا يا بنيّتي، انعمي واسلمي. قالت: قد كان ما قلت، وأنت مثله، لا زلت في غيث يرفُّ بقلُه. قال: أخبرينا يا بنيَّة كيف كنت بعدنا؟ وكيف كُنَّا بعدك؟ قالت: أمّا أنا فإنِّي قد رعيت فأشبعت، وسقيت فأرويت، وأمّا أنتم بعدي فإنَّ ضيفكم هذا ولدت امرأته غلامًا، وسمّته عصامًا، ولقد نزلت عليكم فتية أربعة معهم ناقة جذعة[8]، قالوا الضحى، وجلوا الظهيرة، فهم واردون

---

(1) ديوانه، ص172، باختلاف يسير. وفي ديوان طرفة بن العبد، ص186، البيت الآتي:

لعمرك ما تدري الطوارق بالحصى

ولا زاجرات الطير ما الله فاعلُ

(2) الرئي: التابع من الجنّ يتعرّض للرجل يريه كهانة وطِبًّا.

(3) في المخطوط: (العدواني)، وأثبتنا ما في الإصابة، 4/4، رقم (2775)، وفيه: زبان العدوي... روى حديثه أبو محمد بن قتيبة، من طريق عيسى بن يزيد بن دار، قال: ذكرت الكهانة عند النبي صلى الله وآله وسلّم، فقال زبّان العدوي: يا رسول الله، لقد رأيت عجبًا...»، ولم يسق بقية الخبر.

(4) خفضوا: نزلوا بمنزل وادع مريح.

(5) علبة: قدح ضخم من جلود الإبل.

(6) كلمتان غير مقروءتين.

(7) كلمتان غير مقروءتين.

(8) جذعة: هي التي استكملت أربعة أعوام ودخلت في السنة الخامسة.

ماءً بغوير[1] فيردونه غلسا[2]، فيشربون منه نَفَسًا[3]، ثمَّ يميلون وهم كالّون[4]، فيموتون أجمعين. ثمَّ بهرجت[5] القدح، وصفَّقت بيديها، وقالت: [ ][6] اللّعبة، أخوهم ورب الكعبة. قال: فهل تَرَيْن لهم يا بنيّة من فرج؟ قالت: نعم، إن سار في الأصيل، حتى يدركهم بطفيل[7]، في وردهم حتى تهبَّ الريح، وينفح[8] الشيح[9]، طاب الشراب، وسلم الإياب. قال: فخرجت، فكنت إذا استبطأت ناقتي طردتُ، وسعيت فوجدتهم قد شربوا وهم موتى أجمعون. فجعل رسول الله ﷺ يعجب.

وهذه علوم متقادمة جاهلية، وكانت الشياطين تسترق السمع، وتوحيه إلى أوليائها، فأبطلها الله بالإسلام، وحرست السموات بالنجوم[10]، وليس هذا من الغيب الذي استأثر الله به فننكره كما أنكرنا ما يدَّعيه المنجمون، ومن معرفة ما يكون بالقضا على النجم.

الخُطـَب:

والعرب أخطب الأمم ارتجالاً، وأذلقها ألسنة، وأحسنها بيانًا، وأشدُّها اختصارًا حين الاختصار.

[لمّا منع أهل مرو الماء، وزجَّته إلى الصحارى، كتب إليهم أبو غسان: إلى بني][11] استها أهل مرو ليمسِّيني الماء، أو لتصبحنَّكم الخيل، فوافاهم الماء قبل أن يعتموا. فقال أبو الهيذام:

الصدق ينبي عنكَ لا الوعيدُ

(1) غوير: تصغير غَوْر؛ وهو المطمئن من الأرض الذي انحدر مسيله.
(2) الغَلَس: ظلام آخر الليل.
(3) النَفَس: الجرعة.
(4) كالّون: متعبون.
(5) بهرج: رمى وأسقط من يده.
(6) ما بين المعقوفين كلمة غير مقروءة.
(7) طفيل: تصغير طفَل؛ وهو وقت غروب الشمس واصفرارها.
(8) ينفح: يفوح وتنتشر رائحته.
(9) الشيح: نبات سهلي له رائحة طيّبة وطعم مُرّ.
(10) ينظر نهاية الأرب، 128/3، ولسان العرب، 363/13.
(11) هناك انقطاع في الكلام، ولعلّه سقط بمقدار سطر، وما بين المعقوفين زيادة من العقد الفريد، 50/1، يستقيم بها الكلام.

حدَّثني أبو حاتم قال: حدَّثنا الأصمعي قال: حدَّثني خلف الأحمر قال: رأيت أعرابيين من بني أسد يخاصمهما رجل من بني يربوع، مريض ضعيف، وهما يمشيان، فرحمته من صحبتهما، وجَلَدهما، فاهتزَّ فقال: الله [   ][1] ثم قال:

أنــــا ابــــن جــــلا وطــــلّاع الـثـنـايـا

مـتـى أضــع الـعـمـامـة تعرفاني[2]

وأومأ بإصبعه إلى عينيه، ففرقا منه، وأعطياه حقَّه.

قال: بلغ قتيبة بن مسلم أنَّ سليمان يريد عزله عن خراسان، واستعمال يزيد بن المهلّب، فكتب إليه ثلاث صحائف، وقال للرسول: ادفع إليه هذه، فإن دفعها إلى يزيد فادفع هذه، فإن شتمني عند قراءتها فادفع إليه الثالثة. فلمّا صار الرسول إليه دفع الكتاب الأول، وفيه: يا أمير المؤمنين إنَّ من بلائي في طاعة أبيك وأخيك كيت كيت... فدفع كتابه إلى يزيد، فأعطاه الرسول الكتاب الثاني، وفيه: يا أمير المؤمنين كيف تأمن ابن دحمة[3] على أسرارك، ولم يكن أبوه يأمنه على أمَّهات أولاده؟ فشتمه، فدفع إليه الرسول الكتاب الثالث وفيه: من قتيبة بن مسلم إلى سليمان بن عبد الملك، سلام على مَنْ اتّبع الهدى، فأمّا بعد، فوالله لأوثقنَّ لك آخيَّة[4] لا ينزعها المهر الأرن[5]. فقال سليمان: عجلنا على قتيبة. يا غلام، جدِّد له عهدًا على خراسان[6].

---

(1) ما بين المعقوفين كلمة غير مقروءة.

(2) ينظر مجمع الأمثال، 51/1، ورواية البيت المشهورة هي (تعرفوني) بدل (تعرفاني)، والبيت مطلع الأصمعية الأولى، ولعلَّ المؤلف يشير إلى ما دار بين سحيم بن وثيل الرياحي صاحب البيت، وبين الأخوص – بالخاء – وهو زيد بن عمرو بن عتّاب، والأبيرد وهو ابن المعذر بن قيس بن عتاب، حين تحدَّياه في الشعر وهما شابان يافعان، وهو شيخ كبير، فقال هذه القصيدة يردّ عليهما، ويهزأ بهما. ينظر تفصيل هذا في الأصمعيات، ص17، والأغاني، 134/13، وخزانة الأدب، 261/1.

(3) دَحَمة: اسم امرأة، وهي أمُّ يزيد بن المهلّب، قال أبو النجم:

لـم يـقـض أن يـمـلـكـنـا ابــن الـدَّحـمـه

يريد يزيد بن المهلب. ينظر لسان العرب، 196/12.

(4) الآخيّة. الحرمة والذمة، جمعها أواخي.

(5) الأرن: النشيط القوي.

(6) ينظر شرح النقائض، 524/2، وعيون الأخبار، 196/1، والعقد الفريد، 426/4، وسرح العيون، ص191، وشرح نهج البلاغة، 268/3.

وقال مالك بن دينار[1]: ما رأيت أبْيَنَ من الحجّاج؛ إن كان ليعلو المنبر فيذكر إحسانه إلى أهل العراق، وغدرهم وإساءتهم، حتى أحسبه صادقًا وهم كاذبون[2].

وأوقع الحجّاج يومًا بخالد بن يزيد[3] يعيبه، وعنده عمرو بن عتبة[4]، فقال عمرو: إنَّ خالدًا أدرك مَنْ قبله، وأتى على مَنْ بعده بقديم غلب عليه، وحديث لم يُسبق إليه. فقال الحجّاج معتذرًا: يا بن عتبة، إنّا لنسترضيكم بأن نغضب عليكم، ونستعطفكم بأن ننال منكم، وقد غلبتم على الحلم فوثقنا لكم به، وعلمنا أنّكم تحبّون أن تحلموا فتعرَّضنا للذي تحبّون[5].

ولمّا عقد معاوية البيعة ليزيد قام الناس يخطبون، فقال لعمرو بن سعيد[6]: قم يا أبا أميَّة، فقام. فحمد الله، وأثنى عليه، ثمّ قال: أمّا بعد، فإنَّ يزيد بن معاوية أمل تأملونه، وأجل تأمنونه، إن استضفتم إلى حلمه وسعكم، وإن احتجتم إلى رأيه أرشدكم، وإن افتقرتم إلى ذات يده أغناكم. جذَع قارح[7]، سُوبِقَ فسبق، ومُوجِدَ فمَجَد[8]، وقُورِعَ فخرج[9]، فهو خلف أمير المؤمنين، ولا خلف منه. فقال معاوية: أوسعت يا أبا أميَّة، فاجلس[10].

وقال بعض الخلفاء لجرير: إنّي قد أعددتك لأمر. فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّ الله قد أعدَّ

---

(1) مالك بن دينار السلمي الناجي مولاهم، بصري زاهد ثقة. كان أبوه من سبي كابل، روى عن أنس بن مالك، والأحنف، وابن سيرين وغيرهم. مات سنة إحدى وثلاثين ومئة على خلاف. ينظر تهذيب التهذيب، 14/10.

(2) ينظر البيان والتبيين، 394/1، و193/2، ووفيات الأعيان، 41/2، وسرح العيون، ص183.

(3) خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، كان أعلم قريش في فنون العِلم، كما كان شاعرًا، اعتزل السياسة منصرفًا إلى العِلم وطلبه. ينظر وفيات الأعيان، 4/2.

(4) عمرو بن عتبة بن أبي سفيان، من سادات بني أمية. قُتل مع ابن الأشعث وعقبه بالبصرة. ينظر جمهرة أنساب العرب، ص112.

(5) ينظر عيون الأخبار، 105/3، والعقد الفريد، 122/6، ونثر الدرّ، 36/3.

(6) عمرو بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، المعروف بالأشدق، ولي المدينة لمعاوية ويزيد، ثم طلب الخلافة وغلب على دمشق، قتله عبد الملك بن مروان بعد أن أعطاه الأمان. ينظر تهذيب التهذيب، 37/8.

(7) جذع قارح: البعير أو الفرس القوي النشيط، يريد أنَّه شاب قادر على تحمّل الأعباء.

(8) موجد فمجد: غلب أقرانه في المجد، ومعالي الأمور.

(9) قورع فخرج: جعل منه قِدْحًا فائزًا، أي إنَّه بزَّ أقرانه وفضلهم.

(10) ينظر عيون الأخبار، 95/1، والأمالي، 71/1، وزهر الآداب، 857/2.

لك منّي قلبًا معقودًا بنصيحتك، ويدًا مبسوطة بطاعتك، وسيفًا مشحوذًا على عدوّك، فإذا شئت فقل[1].

وقال المأمون للعتَّابي[2]: بلغني فواتك فغمَّني، ثمّ بلغتني وفادتك فسرَّتني. قال: يا أمير المؤمنين، لو قُسمت هذه الكلمات على أهل الأرض لوسعتهم، وذلك أنَّه لا دين إلاّ بك، ولا دنيا إلاّ معك. قال: سلني. قال: يدك أطلق بالعطاء من لساني[3].

ودخل الهذيل بن زفر[4] على يزيد بن المهلَّب في حمالات[5] لزمته، فقال: إنَّه قد عظم شأنك على أن يستعان عليك، ولست تصنع شيئًا من المعروف إلاّ وأنت أكبر منه، وليس العجب من أن تفعل، بل العجب ألاّ تفعل[6].

وسأل رجل أسد بن عبد الله فاعتلَّ[7] عليه، فقال: إنّي سألت الأمير عن غير حاجة. فقال: ما حملك على ذلك؟ قال: رأيتك تحب مَنْ لك عنده حسن بلاء، فأحببت أن أتعلق منك بحبل مودّة[8].

الشعر[9]:

وللعرب الشعر لا يشركها أحد من الأمم الأعاجم فيه، على الأوزان، والأعاريض،

---

(1) ينظر العقد الفريد، 128/2، وزهر الآداب، 874/2، وفيهما أنَّ «المنصور قال لجرير بن عبد الله...»، وعيون الأخبار، 92/1، وفيه: «قال بعض الخلفاء لجرير بن يزيد...»، وبهجة المجالس، 95/1، وفيه: «أنَّ المهدي قال لجرير بن يزيد»، والأمالي، 115/2، وسمط اللآلي، 742/2، وفيه حديث طويل.

(2) العتّابي: كلثوم بن عمرو العتّابي التغلبي، من نسل عمرو بن كلثوم الشاعر الجاهلي، ولد سنة 135 للهجرة، كان شاعرًا ، وكاتبًا، ومؤلفًا، قرّبه المأمون، وطاهر بن الحسين. توفي قبيل سنة 229 للهجرة. ينظر الأغاني، 107/13، وتاريخ بغداد، 488/12، وتاريخ الأدب العربي، 218/2.

(3) ينظر عيون الأخبار، 26/3، والعقد الفريد، 100/2، والشعر والشعراء، 863/2، وزهر الآداب، 622/2، والتمثيل والمحاضرة، ص186، والأغاني، 3/12، والمحاسن والمساوئ، 181/2، وتاريخ بغداد، 490/12.

(4) في البيان والتبيين، 66/2: الهذيل بن زفر الكلابي.

(5) الحمالات: الديات والغرامات التي يحملها قوم عن قوم.

(6) ينظر البيان والتبيين، 66/2، وله تتمة، وعيون الأخبار، 124/3، وزهر الآداب، 824/2، والعقد الفريد، 255/1، وله تتمة، وفيه أنَّ الداخل هو كريز بن زفر.

(7) اعتلّ: قدّم العِلل والأعذار كي لا يعطي.

(8) ينظر عيون الأخبار، 126/3، والعقد الفريد، 255/1، وفيه أنَّ المسؤول هو خالد القسري.

(9) ينظر تأويل مشكل القرآن، ص14، وما بعدها، والقرطين، 161/2، وما بعدها.

والقوافي، والتشبيب، ووصف الديار، والآثار، والجبال، والرمال، والفلوات، وسُرى الليل، والنجوم، وإنَّما كانت أشعار العجم [ ][1] في مُطلق من الكلام ومنثور، ثمَّ سمع بعدُ قومٌ منهم أشعار العرب، وفهموا الوزن والعروض، فتكلَّفوا مثل ذلك في الفارسية، وشبَّهوه بالعربية.

والشعر[2] معدن علم العرب، ومقرُّ حكمتها، وديوان أخبارها، ومستودع أيامها، والسور المضروب على مآثرها، والخندق المحجوز على مفاخرها، والشاهد العدل يوم النِّفار، والحجَّة القاطعة عند الخصام، ومَنْ لم يكن له عندهم – على شرفه، وما يدَّعيه لسلفه من المناقب الكريمة، والفعال الحميدة – بيِّنة منه، شذَّت مساعيه وإن كانت مشهورة، ودرست على مرور الأيام وإن كانت جسامًا. ومَنْ قيَّدها بقوافي الشعر، وأوثقها بأوزانه، وشهرها بالبيت النادر، والمثل السائر، والمعنى اللطيف، أخلدها على الدَّهر[3]، وأخلصها من الجحد، ودفع عنها كيد العداة، وغضَّ بها عين الحسود، ولم تزل – وإن كانت صغارًا – ماثلة للعيون، حاضرة للقلوب؛ كما قال الخريمي[4]:

لـــه كـــلـــمٌ فـيـــك مـعـقـولـةٌ

إزاء الـقـلـوب كـركْـبٍ وقـــوف[5]

---

(1) ما بين المعقوفين كلمة غير مقروءة.

(2) يورد ابن قتيبة هذا النصَّ إلى بيت الخريمي في عيون الأخبار، 158/2.

(3) من أمثالهم: «أسير من شعر؛ لأنَّه يرد الأندية، ويلج الأخبية، وسائرًا في البلاد». ينظر مجمع الأمثال، 143/2، و535/1، وعقد ابن رشيق في العمدة، 181/2، وما بعدها بابًا في سيرورة الشعر.

(4) الخريمي: إسحاق بن حسَّان بن قوهي، الصغدي أصلاً، التركي جنسًا الخريمي ولاءً، فهو من موالي عثمان بن عمارة بن خريم الناعم، شاعر له الرائية المشهورة في رثاء بغداد، بعد ما حلَّ بها من خراب بسبب القتال بين الأمين والمأمون. توفي عام 214 للهجرة ببغداد، تنظر مقدَّمة ديوانه مع مصادرها.

(5) ديوانه، ص47، ويعلّق الجاحظ على هذا البيت بقوله: «... ويظنّون أنَّ الخريمي إنَّما احتذى في هذا البيت على كلام أيوب بن القريّة حين قال له بعض السلاطين: ما أعددتَ لهذا الموقف؟ قال: ثلاثة حروف، كأنهن ركب وقوف: دنيا، وآخرة، ومعروف». ينظر البيان والتبيين، 112/1، وبعض السلاطين الوارد في النصّ هو الحجّاج بن يوسف، ويرد الخبر بتفصيل مع بيت الخريمي في زهر الآداب، 905/2.

وقال الآخر[1]:

إنَّ القوافيَ والمساعيَ لم تزل
مثل النظام إذا أصاب فريدا

هي جوهرٌ نثر فإن ألَّفته
بالشعر صار قلائدًا وعقودا

من أجل ذلك كانت العرب الألى
يدعون هذا سؤددًا مجدودا

وتبيد عندهمُ العُلى إلاّ عُلىً
جُعلت لها مِرر القريض قيودا[2]

وقال أيضًا[3]:

ولم أر كالمعروف تُدعى حقوقه
مغارمَ للأقوام وهي مغانمُ

وإنَّ العُلى، لم يُرَ الشعر بينها
لكالأرض غفلاً ليس فيها المعالمُ

وما هو إلاّ القول يسري فتغتدي
له غُررٌ في أوجُهٍ ومواسمُ

يُرى حكمة ما فيه وهو فكاهة
ويُقضى بما يقضي به وهو ظالمُ

---

(1) هو أبو تمام الطائي.

(2) ديوانه، ص89–90، طبعة بيروت باختلاف يسير، ومِرر القريض: الشعر المحكم القوي.

(3) هو أبو تمام الطائي.

ولـــولا خِـــلالٌ ســنَّـهـا الـشـعـر مـا درى

بُـغـاة الـعُـلـى مـن أيــن تـؤتـى المكارمُ[1]

قال: وقد كان في العرب قبائل فيها شرف بالثروة، وفي العدد، والجود، والبأس؛ كبني حنيفة بن لُجيم، منهم هوذة[2] الحنفي[3] ذو التاج، الذي ذكره الأعشى فقال:

مَـــنْ يـرَ هـــوذة يـســجدْ غـيـر متَّئبٍ[4]

....

أي: مُستحٍ، وكان يقال لأبيه وأعمامه: البحور.

ومنهم نجدة الحروري[5]، وكان باليمامة بعد موت يزيد بن معاوية، وغلب على البحرين، ثمّ وافى ناحية الموسم فصلّى بأصحابه ناحية، وصلّى ابنُ الزبير ناحية، وصلّى محمد بن الحنفية عليه السلام ناحية [6].

ومنهم نافع بن الأزرق[7] رأس الأزارقة.

ومنهم عمير بن سلمى[8] أحد أوفياء العرب الثلاثة[9]، وهو الذي قتل أخاه قُريبًا بجاره،

---

(1) ديوانه، 179/3، طبعة مصر باختلاف يسير.

(2) من هنا إلى قوله: «وعتيبة بن النهاس» ينقله صاحب الممتع، ص71–72، باختلاف يسير.

(3) ينظر الاشتقاق، ص348، والعقد الفريد، 244/2، والحيوان، 98/1، والديباج، ص146، وكتب رسول الله ﷺ إلى هوذة ....يدعوه إلى الإسلام مثلما كتب إلى الملوك.

(4) ديوانه، ص143، وهو صدر بيت عجزه:

إذا تـعـصّــب فــوق الــتــاجِ أو وضـعـا

....

وقد مدح الأعشى هوذة بقصائد غير هذه نجدها في الديوان.

(5) نجدة الحروري: هو نجدة بن عامر، أحد رؤساء الخوارج، وإليه تُنسب الفرقة النجدية، ملك اليمن والطائف وعُمان والبحرين ووادي تميم وعامر. ينظر الاشتقاق، ص325 و347، وأخباره مفصَّلة في شرح نهج البلاغة، 133/4، وما بعدها.

(6) كان ذلك سنة ستّ وستين للهجرة، ينظر تفصيل ذلك في أخبار الدولة العباسية، ص107.

(7) نافع بن الأزرق من الدّول بن حنيفة، تنسب إليه الأزارقة وهي من الخوارج، ينظر المعارف، ص622.

(8) عمير بن سلمى. مرَّت ترجمته.

(9) الاثنان الآخران هما السموءل، والحارث بن ظالم، ينظر الديباج، ص46.

وقد ذكرنا قصَّته فيما تقدّم[1].

ومنهم عبيد بن ثعلبة بن يربوع الذي يقال له: (ربّ حَجْر)، وحَجْر: اليمامة، وهو كان اختطّها برمحه، وأنزلها بني حنيفة، ونفى عنها بقايا طسم وجديس[2].

ومنهم قتادة بن مسلمة بن عبيد[3]، وكان ربعَ أربعين مرباعًا في الجاهلية. مع أشباه لهؤلاء من ذوي الأقدار، والهمم، والأخطار.

ومنهم – مع هذا – داخلون عند كثير من الناس في جُمل الخاملين، [فالمجد][4] لا يُبتنى إلاّ بالحمد، والحمد لا يُعتقد إلاّ بالفعال، والفعال لا يظهر إلاّ بالمقال.

ولم يكن في بني حنيفة شعراء، فصارت مآثرهم عند خواص الناس دون عامَّتهم، والشرف والسؤدد مع سواد الناس ودهمائهم.

وهؤلاء بنو عجل بن لجيم إخوتهم[5] لا يُعدّون من الأشراف في الجاهلية إلاّ أبجر بن جابر[6]، أبا حجَّار، وعتيبة بن النَّهاس[7]، وفي الإسلام إدريس وابنه عيسى[8] النازلين حدَّ أصبهان، وإليهما ينتمي شرفهم، غير أنَّ لهم شعراء منهم أبو النَّجم[9]، والأغلب الراجز[10]،

(1) مرَّ ذكرها.

(2) ينظر الكامل، 911/2، ومعجم البلدان، 256/2، ومعجم ما استعجم، 83/1، وفيها تفصيل وافٍ عن حَجْر، واستيطان عبيد بن ثعلبة وقومه فيها.

(3) قتادة بن مسلمة من سادات بني الدِّيل بن حنيفة، شريف شجاع، وهو أحد جرّاري ربيعة، أي يقود ألف فارس، والمرباع الذي يتحدّث عنه ابن قتيبة: هو ربع الغنيمة الذي كان يأخذه باعتباره سيّد القوم وقائدهم. ينظر العقد الفريد، 342/3، و361، وشرح النقائض، 266/1، 318.

(4) كلمة يقتضيها السياق.

(5) يريد إخوة بني حنيفة بن لُجيم الذين مرَّ ذكرهم.

(6) له خبر مع خالد بن الوليد في الأوائل، 223/1.

(7) مرّ خبره مع الحطيئة وترجمته.

(8) إدريس بن معقل العجلي وابنه عيسى من سادات أصبهان، ووجهائها وملاّك الأراضي فيها، حبس الحجاج إدريس بسبب اختلافهما في أمر الخراج، وكانا من أجداد أبي دلف العجلي القائد المعروف، نشأ أبو مسلم الخراساني في كنفهما. ينظر عنهما المعارف، ص420، وأخبار الدولة العباسية، ص254، وما بعدها.

(9) أبو النجم: هو الفضل بن قدامة من عجل، كان ينزل سواد الكوفة، راجز معروف من رجَّاز الدولة الأموية، مقدَّم عند جماعة من أهل العِلم على العجاج. ينظر الشعر والشعراء، 603/2، مع مصادر المحقق، ومعجم الشعراء، ص310، وخزانة الأدب، 301/1.

(10) الأغلب بن جُشم من سعد بن عجل بن لجيم، راجز مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، هو أول مَنْ أطال الرجز،

والعديل بن الفرخ[1]، وهو القائل:

وإنـــا لـنـقـري فــي الـشـتـاء قـبـورنـا

ونـصـبـر تـحـت الـلّامـعـات الـخـوافـقِ

وإنّما عنى رجلاً منهم أمر بالصّدقة والإطعام عند قبره، فشيّد ذلك، وأعلاه بالشعر، وجعله مفخرًا معدودًا، وشرفًا مجدودًا، هذا مع ما بسطه الله به من ألسنة الشعراء في مديح ولد إدريس، وتشييد مناقبهم، وتكبير صغيرهم؛ كقول ابن جبلة[2]:

إنـــمـــا الـــدنـــيـــا أبـــو دُلـــفٍ

بـــيـــن مـــغـــزاه ومـــحـــتـــضـــرِهْ

فـــإذا ولّـــى أبـــو دُلـــفٍ

ولّـــت الـــدنـــيـــا عـــلـــى أثـــرِهْ[3]

وكقول رجل من الأزد فيه إذ يقول:

يُشـبـهـه الـرَّعـد إذا الـرَّعـد رجـفْ

كـأنَّـه الـبـرق إذا الـبـرق خـطـفْ

كـأنـه الـمـوت إذا الـمـوت أزفْ

إلـى الـوغـى تحمله الخيـل القُطُفْ[4]

وطوَّره. قُتل بنهاوند سنة 19 للهجرة. ينظر الشعر والشعراء، 613/2 مع مصادر المحقق، وسمط اللآلي، 801/2، وخزانة الأدب، 239/2.

(1) العديل بن الفرخ العجلي، من شعراء الدولة الأموية، هجا الحجّاج فطلبه ففرَّ إلى قيصر، وأعيد إلى الحجاج فعفا عنه. ينظر الشعر والشعراء، 413/1، مع مصادر المحقّق، والاشتقاق، ص345، وخزانة الأدب، 190/5.

(2) ابن جبلة: علي بن جبلة الملقَّب بالعكوَّك، وهو القصير السمين، ويقال إنَّ الأصمعي هو الذي لقبّه بهذا اللقب، شاعر من شعراء بغداد، دخل على الرشيد ومدحه، كان ذكيًا حافظًا، توفي سنة 212 للهجرة. تنظر مقدمة ديوانه مع مصادرها.

(3) ديوانه، ص68.

(4) القُطُف: جمع قطوف، وهو صفة لمشي الخيل التي تكون متقاربة الخطو في سرعة.

إن سـار سـار المـجـد أو حـلَّ وقـفْ

انـظـر بعـينيك إلـى أسـنى الـشـرفْ

وغـايـة الـمـجـد ومـنـهـاه الأنــفْ

هــل نـالـهـا بــقــدره أو بـكـلـفْ

خلق من الناس سوى أبي دُلفْ[1]

مع أشباه لهذا من الشعراء كثيرة، فبنو عجل عند جماهير الناس فوق بني حنيفة[2].

وقد[3] رفع الله بالشعر أقوامًا في الجاهلية والإسلام، وأحظاهم بما سيّر المادحون من مدائحهم في البلاد، حتى شُهروا بأطرار[4] الأرض، وعُرفوا بأقاليم العجم، ودوّنت في الكتب آثارهم، ودُرِّست في حِلَق[5] الذِّكر أخبارهم، وألحق الله بأعقابهم وعشائرهم جميل أفعالهم، فمن ازدرع[6] ذلك منهم، وصانه بحسن الأدب، وكريم الأخلاق، ونيل المروءة، شيَّد ما أسَّسوا، وثمَّر ما غرسوا، وزيّن بما أخَّر لنفسه ما أسلفوا، ومَنْ لم يحط ذلك إبلاغًا به، وإعلاءً [ ][7] مع السقوط مزيَّة تقديم فضل آبائه، ومهله سبقهم، لا يمتنع الناس لها من إكرامه، ورفع مجلسه، والرقة عليه، والعطف بالمعروف إليه، واغتفار بعض زلله. ولهذا وأشباهه رغب الأوّلون في الذِّكر الجميل، وبذلوا فيه مُهج النفوس، وعقائل[8] المال، ورغبوا عن الخفض، والدَّعة، والمهاد الوثير، إلى نصَب المسير، ومكابدة حرّ الهواجر، وسُرى الليل، ومقارعة الأقران، ومنازلة الأبطال.

---

(1) العقد الفريد، 1/307–308، بلا نسبة.

(2) ينظر الحيوان، 1/357 و4/380.

(3) من هنا إلى قوله: «... ومنازلة الأبطال» ينقله صاحب الممتع باختلاف يسير، ص32، ويقول: «قال عبد الله بن مسلم بن قتيبة»، ويعلّق المحقق بقوله: «ليس هذا القول لابن قتيبة في الشعر والشعراء ولا عيون الأخبار»، وهذا بيّن؛ لأنَّه ينقله من كتاب العرب هذا.

(4) أطرار: واحدها طُرّ، وهي النواحي والأطراف.

(5) حِلَق: جمع حَلْقة.

(6) ازدرع: أن يتخذ الإنسان زرعًا لنفسه، وهنا: أن يكون الإنسان عاليًا في نفسه، فيضيف هذا إلى ما ورثه عن آبائه.

(7) ما بين المعقوفين كلمة غير مقروءة.

(8) عقائل: جمع عقيلة، وهي هنا نفائس الأموال وكرائمها.

وقالت بنو تميم لسلامة بن جندل[1]: مجِّدنا بشعرك، فقال: افعلوا حتى أقول[2]؛ لأنَّ أزكى المقال، وأنماه، وأبقاه، وأبلغه بصاحبه رتبة المجد: ما صدَّقه الفَعَال. ونحو هذا من قول سلامة، قول عمرو بن معدي كرب[3]:

فلو أنَّ قومي أنطقتني رماحُهم
نطقتُ، ولكنَّ الرماح أجرَّتِ[4]

يريد: أنَّهم لم يستعملوا رماحهم يوم اللقاء فينطق بمدحهم، ولكنَّهم جبنوا، وقصّروا فأجرَّوا لسانه، كما يُجرُّ لسان الفصيل إذا أرادوا فصاله عن أمه لئلا يرضع.

وحكى الله عزّ وجل عن خليله عليه السلام، قال: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾[5]، وقال لنبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾[6]، يريد أنَّ القرآن شرف لك ولقريش؛ إذ نزل عليك وأنت منهم، وسوف تُسألون عن الشكر على ذلك.

فَمِمَّن رفع الله بالشعر: آلُ سنان من بني نُشبة بن غيظ بن مرَّة بن عوف بن سعد بن ذبيان[7]، وقد كان فيهم شرف وسؤدد، أظهر الله بها لهم ما أتاح لهم من جيّد شعر زهير فيهم؛ كقوله:

قومٌ سنانٌ أبوهم حين تنسبهم
طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا

---

(1) سلامة بن جندل شاعر جاهلي قديم، من فرسان تميم المعدودين، كان يصف الخيل فيحسن، وأخوه أحمر شاعر فارس أيضاً. ينظر الشعر والشعراء، 272/1، مع مصادر المحقّق، وخزانة الأدب، 29/4.

(2) ينظر عيون الأخبار، 164/3، والعقد الفريد، 270/5، والممتع، ص24.

(3) عمرو بن معدي كرب شاعر مخضرم، فارس، أدرك الجاهلية والإسلام، أسلم ثمّ ارتدّ، وعاد بعدها إلى الإسلام، وله مواقف مشهودة في الفتوحات الإسلامية، اختلف في سنة وفاته، ولعلَّ أصحّها أنَّه توفي في آخر خلافة عمر رضي الله عنه، تنظر مقدمة ديوانه مع مصادرها.

(4) ديوانه، ص73، وسيشرح ابن قتيبة البيتَ شرحًا وافيًا.

(5) الشعراء، 84.

(6) الزخرف، 44.

(7) ينظر الاشتقاق، ص288.

لـو كـان يَـقـعـد فـوق الـشـمـس مـن كـرم

قـــومٌ بـأولــهــم أو مـجـدهــم قـعـدوا

جـــنٌّ إذا غـضـبـوا، إنــسٌ إذا أمـنـوا

مـــــــرزَّؤون بـهـالـيـلٌ إذا حُـمـدوا

مـحـسَّـدون عـلـى مـا كـان مـن نِـعَـمٍ

لا يـنـزع الله عـنـهـم مـالـه حُسِدوا[1]

وكقوله في هرم بن سنان:

إنَّ الـبـخـيـل مـلـوم حـيـث كـان ولـ

ـكـنَّ الـجـواد عـلـى عـلاّتـه هـرمُ

هـو الـجـواد الـذي يـعـطـيـك نـائـلـه

عـفـوًا ويُـظـلـم أحـيـانًـا فينظلمُ[2]

أراد: إن سُئل ما لا يجد تحمّل ذلك، والظلم وضع الشيء غير موضعه، ومَنْ سأل مالا يُنال ولا تبلغه الجدة، فقد ظلم في السؤال، وقد غلب زهير على هذا المعنى لم ينازعه إيّاه إلاّ كثير؛ فإنَّه قال:

رأيـت ابـن لـيـلـى يـعـتـري صُـلـبَ مـالـه

مـسـائـلُ شـتّـى مـن غـنـيٍّ ومـصـرمِ

مـسـائـلُ إن تـوجـد لـديـك تـجـد بـهـا

يـداك وإن يـظـلـم بـهـا يتظلَّم[3]

---

(1) ديوانه، ص282، باختلاف يسير.

(2) ديوانه، ص152، وفيه: (فيظَّلم) بدل (فينظلم)، وفي الشرح: «قال: وسمعت أعرابيًا ينشد: فيظلَّم بالنون».

(3) ديوانه، ص301، باختلاف يسير.

وكقوله[1]:

دع ذا وعدِّ القول في هرم
خير الكهولِ وسيّد الحضْرِ

تالله قد علمتْ سراة بني
ذبيانَ عام الحبسِ والأصرِ

أن نعم معترك الجياع إذا
خُبَّ القتار وسابئ الخمرِ

ولنعم حامي مَنْ كفيت ومَنْ
تحملْ له يُحملْ على الظّهرِ

حامي الحقيقة في محافظة الـ
ـسُجلّى أمينُ مغيّبِ الصَّدرِ

ومرهّقُ النيران يُحمد في الـ
ـلأواء غير ملعَّن القدْرِ

وإذا خلوت به خَلَوْتَ إلى
صافي الخليقة طيّب الخُبرِ

متصرّف للحمد معترفٍ
للنائبات يراح للذّكرِ[2]

(1) أي زهير بن أبي سلمى.
(2) ديوانه، ص88، باختلاف يسير.

وقد يُدخل بعض الرواة فيها بيتًا للمسيّب بن علس[1]:

لـو كـنـت مـن شـيء سـوى بـشـر

كـنـت الـمـنـوِّر لـيـلـة الـبـدرِ[2]

وإذا كان الشعر جيّد النحت، متخيَّر اللفظ، حسن الرويّ، لطيف المعنى، تجاذبه الناس، وقد جمع هذا الشعر هذه الفضائل كلَّها.

وكان رجلٌ من الرواة دخل على الرشيد فاستنشده هذه القصيدة، فاستحسنها، وقال: ذهب – والله – مَنْ يُحسن أن يقول مثل هذا الشعر. فقال الرجل: وذهب – والله – مَنْ يستحقُّ أن يقال فيه مثله! فأمر بإخراجه، واستجهله الناس[3].

وممَّن رُفع بالشعر: ذو الرَّقيبة[4]، قال المسيِّب بن علَس:

ولـقـد بـلـوت الـفـاعـلـيـن وفعلـهـم

فـلـذي الـرَّقـيَّـبـة مـالـك فـضـلُ

كـفَّـاه مـخـلـفـةٌ ومـتـلـفـةٌ

وعـطـاؤه مـتـخـرِّق جـزلُ[5]

---

(1) المسيّب بن علس، شاعر جاهلي لم يدرك الإسلام، والمسيب لقب، واسمه زهير بن علس، وإنَّما لقِّب المسيّب ببيت قاله، وهو من شعراء بكر بن وائل المعدودين، وهو خال الأعشى، وكان الأعشى راويته، وأحد الشعراء المقلّين الذين فُضِّلوا في الجاهلية، ينظر الشعر والشعراء، 174/1، وما بعدها مع مصادر المحقّق، وخزانة الأدب، 240/3، وشرح شواهد المغني، 110/1.

(2) البيت في ديوان زهير، ص95، وهو منسوب إلى المسيّب في الشعر والشعراء، 177/1، والمصون في الأدب، ص199، والحماسة البصرية، 448/1، وينظر هامش الحماسة عن اضطراب النسبة.

(3) في البيان والتبيين، 258/2، أنَّ الحادثة وقعت أمام المهدي، وجعلها الجاحظ من خطأ العلماء.

(4) ذو الرَّقيبة: مالك بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، فارس، شجاع. استنقذ حاجب ابن زرارة من الزهدمين: زهدم وقيس العبسيين. عدّه الجاحظ من البرص الأشراف، والرؤساء المتوّجين والوقص، وهو القصير العنق. ينظر شرح النقائض، 550/2، والبرصان والعرجان ص86 و428، والعقد الفريد، 143/5، والاشتقاق، ص280، ومعجم الشعراء، ص360، ولسان العرب، 279/12.

(5) البيتان منسوبان إلى المسيّب في الشعر والشعراء، 174/1، وجمهرة أشعار العرب، 559/2، والبرصان والعرجان، ص86، وهما بلا نسبة في الكامل، 598/2.

ومنه: أخلف وأتلف.

وممَّن رُفع بالشعر: بنو بدر، قال فيهم حاتم طيّئ:

إن كـــنـــتِ كـــارهـــةً معيـشـتـنـا
هـــاتـــا فـحـــلّــي فـــي بـــنـــي بـــدرِ

الـــضـــاربـــيـــن لـــدى أعـــنَّــتـــهـــم
والـــطـــاعـــنـــيـــن وخـــيـــلُـــهـــم تـــجـــري

جـــاورتـــهـــم زمـــن الـــفـــســـاد فـنـعـ
ـــم الـــحـــيُّ فـــي الـــلأواء والـعُـســـرِ

صُـــبْـــر عـــلـــى حَـــلَـــب الـــلـــقـــاء معا
جـــيـــفُ الـــفـــصـــال أعـــفَّـــة الفقرِ[1]

وسُـــقـــيـــت بـــالـــمـــاء الـــنـــمـــيـــر ولـــم
أتـــرك [ألاطس] حـــمـــأة الجفرِ[2]

ودعـــيـــت فـــي أولـــى الـــنـــديّ ولـــم
يُـــنـــظـــر إلـــيَّ بـــأعـــيـــن خـــزرِ[3]

وكان بنو بدر مفحمين[4] لا يقولون من الشعر شيئًا[5]، فأعرب عن فضلهم الشاكرون، وأغناهم عن تعداد محاسنهم المادحون.

---

(1) أخلَّ الديوان بهذا البيت.

(2) في المخطوط (ألاطم)، وما أثبتناه من الديوان، وألاطس: أمارس وأعالج، وحمأة الجفر: الطين الأسود في البئر.

(3) ديوانه، ص204–205 باختلاف في الترتيب وبعض الألفاظ.

(4) المُفحم: الذي لا يقول الشعر.

(5) نزل حاتم على عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر، وزمن الفساد الذي ورد في الشعر: حرب هاجها حناش بن أبي كعب الغوثي بين جديلة وثعل، طالت فاعتزلها حاتم. ينظر ديوان حاتم، ص204، والأخبار الموفقيات، ص460، والأمالي، 169/1، وسمط اللآلي، 789/2.

ومن عجيب الشعر أنَّ مديح النفس والثناء عليها مهجَّر للقائل، زارٍ[1] عليه – وإن قال حقًا– إلاّ في الشعر، وإنَّما جاز فيه؛ لأنَّهم أرادوا تخليد أخبارهم، وتعداد أيامهم فلم يصلوا إلى ذلك إلاّ بالتدوين، ولا ديوان لهم إلاّ بالشعر؛ إذ كانوا أميِّين. وكلُّ مَنْ خبَّرك عن نفسه بأمر تحتاج إلى علمه، ولولا إخباره به ما عرفته، فليس يقبح ذكره وإن اتَّصل بمدحه، ولهذه العلِّة مدحت الأنبياء أنفسها مع تواضعها لله، وأخذها بأدب الله، فقال يوسف ﷺ: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾[2]، وقال رسول الله ﷺ: «أنا سيّد ولد آدم ولا فخر[3]»، وكذلك قول مَنْ يقول: صمت، وصلَّيت، وتصدَّقت، وزكّيت، إذا أراد أن يتأسَّى به المسلمون، ويقتفي أثره فيه الآخرون.

وممَّن رُفع بالشعر: بنو أنف الناقة[4]، وعامر وعلقمة ابنا هوذة بن شماس، وبغيض بن عامر[5] الذي تحوّل إليه الحطيئة عن جوار الزبرقان بن بدر، وقال:

ما كان ذنبُ بغيضٍ أن رأى رجلاً
ذا حاجةٍ عاش في مستوعرٍ شاسِ
ملُّوا قِراه وهرّته كلابُهمُ
وجرَّحوه بأنيابٍ وأضراسِ[6]

وكان اسم أنف الناقة حنظلة بن قريع بن كعب[7]، وإنَّما سُمِّي أنف الناقة لأنَّه أكل رأس بعير، ومقدَّم كل شيء أنفه[8]، وكان ولده يكرهون أن يُعزوا إلى هذا الاسم، ويرونه نبزًا،

---

(1) في المخطوط: (زاري)، وقوله: مهجر وزارٍ؛ أي إنَّ مادح نفسه ينقصها من حيث لا يحتسب.
(2) يوسف، 55.
(3) ينظر تأويل مختلف الحديث، ص116، ويقول ابن قتيبة: «وإنَّما أراد أنَّه سيد ولد آدم يوم القيامة؛ لأنَّه الشافع يومئذ، والشهيد، وله لواء الحمد والحوض»، وطبقات ابن سعد، 20/1.
(4) ينظر الاشتقاق، ص255.
(5) ينظر الاشتقاق، ص256، وفيه أنَّ الثلاثة كانوا أشرافاً في قومهم، ووفد بغيض على رسول الله ﷺ فسمّاه حبيبًا.
(6) ديوانه، ص48–49. ومستوعر: مكان وعر، وشاس: المكان المرتفع الغليظ.
(7) في ديوانه الحطيئة، ص15: هو جعفر بن قريع بن عوف بن كعب، ويورد قصة مختلفة عمّا ورد في المتن فلتنظر هناك.
(8) ينظر لسان العرب، 9/12–13.

حتى قال الحطيئة:

قــومٌ هــم الــرأســ والأذنـــــاب غـيـرهــمُ

ومــن يــســوّي بــأنــف الــنــاقــة الذنبا[1]

فكانوا بعد ذلك يكرهون أن يُنسبوا إلاّ إليه، وزاد الله في شهرتهم وذكرهم، وصَرْفه إيّاه إلى الوجه الذي صَرَفه إليه[2].

وكما رفع الله بالمديح كذلك وضع بالهجاء أقوامًا في الجاهلية والإسلام، فتحيَّف[3] محاسنهم، وأدخل النقص على فضائلهم، فصاروا بوَسْم الهجاء معروفين عند الجميع، وبتلك المناقب مقروفين[4] عند الخواص. فجمهور الناس إنَّما يعلمون من أنساب بني نُمير قول جرير:

فـغـضّ الــطَّــرف إنَّـــك مــن نُـمـيـرٍ

فــلا كــعــبًــا بــلــغــت ولا كــلابــا[5]

وقد صار هذا البيت سُبَّة كلِّ حادب[6]، ومتعلِّق على عائب، ومثلاً مضروبًا، حتّى قال قائل[7] لآخرين:

وســــوف يــزيــدكــم ضــعــةً هــجــائــي

كــمــا وضــع الــهــجــاءُ بــنــي نُميرِ[8]

---

(1) ديوانه، ص15، وفيه: (الأنف) بدل (الرأس) ولعلَّها أليق بالبيت والخبر.

(2) ينظر البيان والتبيين، 38/4، والعقد الفريد، 347/3 و328/5، وثمار القلوب، ص354، وزهر الآداب، 19/1، والعمدة، 50/1.

(3) تحيّف: أخذ من الشيء ونقّصه.

(4) مقروفين: متهّمين، مَرْميّين.

(5) ديوانه، ص63، وينظر الممتع، ص243.

(6) الحادب: المتعلّق بالشيء الملازم له.

(7) هو محمد بن منذر مولى بني صبير، يقول هذا البيت في هجاء ثقيف. ينظر زهر الآداب، 22/1، ونُسب البيت في العقد الفريد، 239/5، إلى أبي تمام، وليس في ديوانه.

(8) البيت بلا نسبة في البيان والتبيين، 35/4، والحيوان، 364/1.

وقال آخر[1]:

وتـــوعــــدنـــي لـتـقـتـلـنـي نُـمـيـرٌ

مـتـى قـتـلـت نُـمـيـرٌ مَـــنْ هجاها[2]

ومرَّت أعرابية بجماعة من بني نُمير فرموها بأبصارهم، فقالت: يا بني نُمير، والله ما أخذتم بواحدة؛ لا بقول الله: ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ**﴾[3]، ولا بقول الشاعر:

فـغـضّ الــطّــرف إنَّــــك مـــن نُـمـيـرٍ

فـــلا كـعــبـاً بـلـغـت ولا كـلابـا

فاستحيا القوم وأطرقوا[4].

وساير رجل من بني نُمير[5] عمر بن هبيرة الفزاري على بغلة، فقال له عمر: غضَّ من بغلتك. فقال النميري: كلاًّ، إنَّها مكتوبة. أراد ابن هبيرة قول جرير:

فـغـضّ الــطَّــرف إنَّــــك مـــن نُـمـيـرٍ

....

(1) هو أبو الرديني العكلي كما في الحيوان، 364/1، والأغاني، 246/24، أو برد بن حابس كما في الحماسة البصرية، 251/2.

(2) البيت بلا نسبة في البيان والتبيين، 35/4، والأغاني، 183/20.

(3) النور، 30.

(4) ينظر البيان والتبيين، 36/4، ويعلّق الجاحظ بقوله: «وأخلق بهذا الحديث أن يكون مولّدًا، ولقد أحسن مَنْ ولّده»، وعيون الأخبار، 85/4، والعقد الفريد، 41/4، والعمدة، 51/1، وزهر الآداب، 21/1، والأجوبة المسكتة، ص119، وديوان المعاني، 171/1، وسمط اللآلي، 860/1، ونهاية الأرب، 272/3، والإمتاع والمؤانسة، 167/3.

(5) ينظر زهر الآداب، 21/1، والممتع، ص290، والفاضل، ص50، ونهاية الأرب، 161/3، والنميري هو شريك ابن عبد الله، وعيون الأخبار، 202/2، والعقد الفريد، 468/2، وفيهما سنان بن مكمل النميري، وسمط اللآلي، 861/2.

وأراد النميري قول الآخر[1]:

لا تـأمـنـنَّ فـزاريًّـا خـلـوتَ بـه

عـلـى قـلـوصـك واكـتـبـهـا بأسيارِ[2]

ولا يعلمون[3] أنَّ نميرًا جمرة من جمرات العرب[4]، وأنَّ منهم معاوية أبا الراعي، وكان يقال له في الجاهلية: (الرئيس) لسؤدده[5]، وأنَّ منهم خليف بن عبد الله بن الحارث الذي فرق باهلة وغنيًّا[6]، وأنَّ منهم في الإسلام همام بن قبيصة الذي كان يزيد بن معاوية وجَّهه إلى ابن الزبير، وأنَّ منهم عبد الرحمن بن أبان الخطيب، وكان على ثغر فارس، وفيه يقول الشاعر:

الـنـاس جَـنْـبٌ والأمـيـر جَـنْـبُ

هـمـا الـجـنـاحـان وأنـت القلبُ[7]

وممَّن وضعه الهجاء: بنو العجلان بن عبد الله بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة[8]. يقول فيهم النجاشي[9]:

---

(1) هو ابن دارة، سالم بن مسافع، وقد مرَّت ترجمته.

(2) البيت منسوب إلى سالم في: الشعر والشعراء، 401/1، وزهر الآداب، 21/1، والكامل، 988/2، ومجمع الأمثال، 197/1، والإمتاع والمؤانسة، 167/3، والممتع، ص286، وعيون الأخبار، 203/2و214، وجمهرة الأمثال، 288/2، وخزانة الأدب، 266/3، وسمط اللآلي، 862/2، والإصابة، 4/5، والحماسة البصرية، 297/2، وينظر فيها مزيد من التخريج. وكتب الدابة: خزم حياءها بحلقة من حديد لئلا يُنزى عليها، ينظر لسان العرب، 701/1، وفيه البيت، ويساق هذا البيت تعريضًا ببني فزارة؛ لأنَّهم كانوا يُرمون بغشيان الإبل.

(3) يستأنف المؤلف كلامه هنا، ذاك الذي بدأه بقوله: «فجمهور الناس إنَّما يعلمون من أنساب نمير...»، وانقطع بسبب حشده تلك الشواهد السابقة.

(4) الجمرات هي القبائل التي تجمعّت في أنفسها، ولم يُدخلوا معهم غيرهم، وهي ثلاث: بنو ضبّة، وبنو حارث، وبنو نمير، وأطفئت الأولى والثانية لأنَّها تحالفت مع غيرها، وبقيت بنو نمير جمرة وحدها، ينظر الديباج، ص77، والحيوان، 123/5، والكامل، 778/2، والعقد الفريد، 367/3، وثمار القلوب، ص160.

(5) ينظر الشعر والشعراء، 415/1، وخزانة الأدب، 150/3.

(6) ينظر الاشتقاق، ص269، وجمهرة أنساب العرب، ص255.

(7) الشطر الأول وحده بلا نسبة في لسان العرب، 278/1، وفيه: «كأنَّه عدله بجميع الناس».

(8) بنو العجلان: قبيلة ضخمة. ينظر جمهرة أنساب العرب، ص288، والاشتقاق، ص297.

(9) النجاشي: مرَّت ترجمته.

إذا الله عـــادى أهـــل لـــؤم وذلَّـــة
فـعـادِ بـنـي الـعـجـلان رهــطَ ابــن مـقـبـلِ
قُــبــيِّــلـــةٌ لا يـــغـــدرون بـــذمَّـــة
ولا يـظـلـمـون الـنـاس حـبَّـة خــردلِ
ولا يــــردون الــمــاء إلاّ عـشـيّـةً
إذا صــدر الــــوُرّاد عــن كــلِّ مَـنْـهـلِ
تـعـاف الـكـلاب الـضـاريـات لـحـومَـهـم
ويـأكـلـن مـن كـعـب بـن عــوفٍ ونـهـشـلِ
ومـــا سُــمِّــي الـعـجـلان إلاّ لـقـيـلـه
خـذ القِعب واحـلـب أيّـهـا العبد واعـجـلِ

وقد كان هذا الشعر بلغ منهم كلَّ مبلغ؛ لعلمهم بسوء جنايته عليهم، وعلى الأعقاب بعدهم، حتى استعدوا عمر بن الخطاب على النجاشي، فأدخل بينه وبينهم حسَّان بن ثابت، وتوَّعده بقطع لسانه إن عاد، ولهذا حديث ستقف عليه في كتابي هذا المؤلَّف في أخبار الشعراء[1] إن شاء الله.

ولم يكن في بني العجلان شرفٌ مذكور، وإنَّما الشرف في إخوتهم قشير بن كعب، منهم مالك ذو الرَّقيبة[2] الذي أسر حاجب بن زرارة يوم جبلة[3]، ففدى نفسه منه بألف بعير[4].

(1) ينظر الخبر والشعر في الشعر والشعراء، 330/1، والعقد الفريد، 318/5، وديوان المعاني، 176/1، والعمدة، 52/1، وزهر الآداب، 19/1، ومجالس ثعلب، 431/1، والممتع، ص309.

(2) مرَّت ترجمته.

(3) يوم جبلة: من أيام العرب المشهورة في الجاهلية، كان قبل الإسلام بخمس وأربعين سنة، أو أربعين سنة، وفيه التقت تميم وأحلافها ببني عامر في شعب جبلة الذي تحصَّنت فيه بنو عامر، وحلَّت الهزيمة بتميم، وقُتل لقيط بن زرارة، وأسر حاجب. يظر شرح النقائض 404/2، والمفصّل، 372/5 مع مصادره.

(4) صار هذا الفداء مثلاً من أمثالهم فقيل: «أغلى فداءً من حاجب بن زرارة»، وذكر الزمخشري أنَّه افتدي بألفي ناقة، وألف أسير، ولم يُسمع بملك أو سوقة افتدي بفدائه. ينظر المستقصى، 263/1، ومجمع الأمثال، 430/2، وتمثال الأمثال، 239/1، والعمدة 204/2، والكامل، 597/2، وجمهرة الأمثال، 88/2، والديباج، ص113، وشرح النقائض، 550/2.

ومنهم هبيرة بن عامر الذي أخذ المتجرّدة امرأة النعمان أسرًا فنكحها[1].

وممن وضعه الهجاء: غنيٌّ وباهلة، يقول زيد الخيل[2]:

فـخـيـبـةُ مَـــــنْ يـخـيـب عـلـى غـنـيٍّ

وبــاهــلــة بـــن أعـــصُـــر والـــركـــاب

وأدَّى الـغُـنْـمَ مـن أدَّى قـشـيـرًا

ومَـــــنْ كـانـت لـه أســـرى كـــلابِ[3]

وفي هذا معنيان: أحدهما يسقط من الذُّرى فيلحق بالحضيض؛ وهو أنَّه أراد: مَنْ غزا فخاب وأخفق، كرَّ على غنيٍّ وباهلة فغنم؛ لأنَّهم لا يمتنعون ممَّن أرادهم، وجعلهم بمنزلة الركاب، وهي الإبل؛ لأنَّه لا امتناع بها ممَّن أرادها. والقول الآخر: أنَّه مَنْ صار في يده أسير من باهلة وغني فقد خاب لقلَّة فدائه[4]، وإنَّما الغنائم مَنْ أسر من قشير ومن كلاب.

وذكر أبو عبيدة أنَّ رجلاً[5] قال للنبي ﷺ: أتتكافأ دماؤنا يا رسول الله؟ يعني في القصاص. فقال: «نعم». فأعاد ذلك مرَّة، أو اثنتين، فقال: «نعم، ولو قتلت رجلاً من باهلة لقتلتك»[6]. وهذا قاصمة الظهر، وعار الدَّهر، لو كان حقًّا. وما أشكّ في [ ][7] أنَّه

(1) ينظر شرح النقائض، 571/2، ففيه تفصيل وافٍ.

(2) هو زيد بن مهلهل بن يزيد الطائي، شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، وأسلم، وسميّ بزيد الخيل لكثرة خيله، وطول طراده بها، وقيادته لها. وفد على رسول الله ﷺ فقال له: «ما وصِف لي رجل قط فرأيته إلاّ كان دون ما وصف به إلاّ أنت؛ فإنَّك فوق ما قيل فيك»، وهو من المؤلفة قلوبهم. اختُلف في سنة وفاته. تنظر مقدمة ديوانه مع مصادرها.

(3) ديوان، ص40–41، وفيه (بغير) بدل (خيب)، ولعلها أكثر ملاءمة مع السياق. ويصف ابن قتيبة في الشعر والشعراء، 288/1، هذين البيتين بأنَّهما من خبيث الهجاء.

(4) يقول الجاحظ في الحيوان، 359/1: «... والمبتلى، والملقّى، والمحروم، والمظلوم مثل باهلة، وغنيّ، ممّا لقيت من صوائب سهام الشعراء، وحتى كأنَّهم آلة لمدارج الأقدام، ينكب فيها كلّ ساعٍ، ويعثر بها كلّ ماشٍ»، وينظر الكامل، 897/2–898، ونور القبس، 125، وما بعدها.

(5) في نور القبس، ص125 أنَّ هذا الرجل هو الأشعث بن قيس الكندي، وهو صحابي وفد على رسول الله ﷺ في سبعين من كندة. ينظر أسد الغابة، 98/1، وسير أعلام النبلاء، 39/2.

(6) ينظر نور القبس، ص125، ففيه هذا الخبر.

(7) ما بين المعقوفين كلمة غير مقروءة.

موضوع؛ لأنَّه ﷺ أخوف لله، وأعلم به، وأصون للسانه من أن يُرسل كلمة تبقى عارًا وشينًا على مسلم، فضلاً عن قبيلة قد جعل الله فيها خيرًا جمًّا، وشرفًا وعلمًا[1]؛ بمثل أبي أمامة الباهلي[2] صاحب رسول الله ﷺ، والمستورد بن قدامة[3] الشاهد على نسب زياد، وحبّان ابن زيد[4] الذي قال له أبو موسى الأشعري: إنَّ باهلة كانت كُراعًا، فجعلتها ذراعًا[5]. فقال له: ألا أخبرك بألأم من باهلة؟ عَكٌّ وأخلاطها من الأشعريّين، فقال له أبو موسى: يا سابَّ أميره. وحاتم بن النعمان[6] سيّد أعصر، وهو الذي افتتح هراة[7]، وابنه عبد العزيز[8] من [ ][9] باهلة، وكان على حرب قيس أيام قاتلوا بني تغلب. والمنتشر بن وهب[10] أحد رجليّ العرب، وقد ذكرنا قصَّته[11]، وفيه يقول أعشى باهلة[12]:

أمّـــا سـلـكـت سـبـيـلاً كـنـت سـالـكـهـا

فـــاذهـــب فـــلا يُـبـعـدنْـك الله مـنـتـشـرُ

---

(1) هذا نهج يشير إلى تثبّت قويّ، وعلم واسع، وخلق عال، فلم يكن رسول الله ﷺ – وهو مَنْ هو – ليرسل الكلام في حقّ إنسان، فما بالك بقبيلة، وقد أحسن ابن قتيبة غاية الإحسان في ردِّ هذا الخبر والحديث ردًّا عنيفًا.

(2) أبو أمامة الباهلي: صُدَيّ بن عجلان بن الحارث بن عصَر الباهلي، مشهور بكنيته، صحابي جليل روى عن النبي ﷺ، وعن عمر، وعثمان، وعلي، وأبي عبيدة ﷺ، وغيرهم، وروى عنه كثير. مات سنة ست وثمانين، وكان يسكن حمص، وهو آخر مَنْ بقي من أصحاب رسول الله ﷺ بالشام، تنظر الإصابة، 133/5، رقم (4054)، والاستيعاب، 169/5 رقم (1237)، و العقد الفريد، 352/3.

(3) أغفل الطبري، وابن الأثير ذكر أسماء الشهود، وأوردهم المسعودي، 6/3، وهم: زياد بن أسماء الحرمازي، ومالك بن ربيعة السلولي، والمنذر بن الزبير بن العوام، وأضيف إليهم أبو مريم السلولي.

(4) حبّان بن زيد الشرعبي: تابعي ثقة، نسب إلى شرعب؛ وهو بطن من لخم، نزل بأرض الروم، ينظر الإصابة، 55/4، رقم (368)، وتهذيب التهذيب، 171/2.

(5) صار هذا القول من أمثالهم، ينظر مجمع الأمثال، 3/3، والتمثيل والمحاضرة، ص40 و347، والأمثال، ص120، وجمهرة الأمثال، 107/1 و141/2، والعقد الفريد، 96/3، ونهاية الأرب، 46/3.

(6) حاتم بن النعمان سيد كبير القدر، دانت له الجزيرة كلّها، ينظر جمهرة النسب، 169/2.

(7) هراة: مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان، كثيرة المياه والخيرات، خربها التتر عندما استباحوها سنة 618 للهجرة. ينظر معجم البلدان، 456/5.

(8) عبد العزيز بن حاتم بن النعمان كان سيّدًا أيضاً مثل أبيه. ينظر جمهرة النسب، 169/2.

(9) ما بين المعقوفين كلمة غير مقروءة.

(10) مرَّت ترجمته.

(11) ينظر ما سبق.

(12) مرَّت ترجمته.

لا يـأمـن الـنـاس مَـمـسـاه ومصبحه

مـن كـلِّ أوبٍ وإن لـم يـغـزُ يُـنـتظرُ

لا يغمز الـسـاق مـن أيْـنٍ ولا وَصَـبٍ

ولا يــزال أمــام الــقــوم يقـتـفـرُ

لا يـتـأرَّى لـمـا فـي الـقِـدْر يـرقبُـه

ولا يعـضُّ عـلـى شـرسـوفـه الـصَّـفَـرُ

تـكـفـيـه حُـزَّة فـلـذٍ إن ألـمَّ بـهـا

مـن الـشـواء، ويُـروي شـربـه الغُمَرُ[1]

ومنهم مسلم بن عمرو بن حصين الباهلي[2]، وابنه قتيبة بن مسلم[3] صاحب خراسان، وابنه سلم بن قتيبة[4]، وإليهم ينتهي شرف باهلة، وكان مسلم بن عمرو أخصَّ الناس بيزيد ابن معاوية، ويكنى أبا صالح، وفيه يقول الشاعر:

إذا مـا قـريـشٌ خـلا مـلـكُـهـا

فـإنَّ الـخـلافـة فـي بـاهـلـهْ

لـربِّ الـحـرون أبـي صـالـح

ومـا تـلـك بـالـسُّـنَّـةِ الـعـادلـهْ[5]

(1) الأصمعيات، ص88، باختلاف يسير، وينظر تخريجها هناك. ويقتفر: يتبع الأثر، لا يتأرّى: لا يتحبّس، والشرسوف: رأس الضلع ممّا يلي البطن، والصَّفر: دابة يزعمون أنَّها تعضّ الضلوع والشراسيف إذا جاع الإنسان. وينظر أيضًا جمهرة أشعار العرب، 714/2، وما بعدها ففيها تخريج أيضًا.

(2) مسلم بن عمرو بن حُصَين بن أسيد بن زيد بن قضاعى، يكنى بأبي صالح، كان عظيم القدر عند يزيد بن معاوية، ينظر المعارف، ص406، والاشتقاق، ص273.

(3) قتيبة بن مسلم الباهلي قائد من كبار قادة الأمويين، فتح الفتوح، وأبلى البلاء الكبير فيها، كان شجاعًا، جوادًا، أديبًا، فطنًا، حفظت له المصادر أقوالاً تدلّ على نفاذ بصيرته، وسعة خبرته، أقام واليًا على خراسان ثلاث عشرة سنة. ينظر المعارف، ص407، ومعجم الشعراء، ص331، وسرح العيون، ص186.

(4) سلم بن قتيبة: كان سيّد قومه، ولي البصرة مرتين، كنيته أبو قتيبة، مات بالريّ. ينظر المعارف، ص407.

(5) البيتان بلا نسبة في المعارف، ص406، والممتع، ص267، وثمار القلوب، ص119، الأول وحده، ولسان العرب، 110/13.

الحرون: فرسه[1].

ولو لم يكن لباهلة إلاّ أنَّ عبد الملك بن حميد[2] وزير أبي جعفر المنصور وصاحب ديوانه، وجبلة بن عبد الرحمن والي أصبهان[3] وكرمان[4]: مولياهم، لكفى.

وممَّن شُهِّر بالهجاء: الحبطات من بني تميم، وهم يُنسبون إلى أبيهم الحارث بن عمرو ابن تميم، وكان يقال له: الحبِط؛ لأنَّ بطنه ورم من شيء أكله[5]، والحبط: انتفاخ البطن[6]. قال زياد الأعجم[7]:

وجـــدت الـحُـمْـرَ مــن شـــرِّ المطايا
كـمـا الحبطات شـــرُّ بـنـي تميمِ[8]

وكيف تكون شرَّ بني تميم؟ ومنهم أبو عتاب حسكة بن عتَّاب[9]، ومنهم أبو جهضم عباد بن حصين فارس الناس[10]، وابنه المسور[11] سيد بني تميم، وفيه يقول الراجز:

---

(1) من صفات الحرون هذا أنَّه إذا سبق الخيل في بعض الحلبة حرن حتى تلحقه، ثمَّ يجري فيسبقها؛ فسمّي الحرون. ينظر أنساب الخيل، ص118، وحلية الفرسان، ص165، والنوادر، ص184، والممتع، ص267، ولسان العرب، 110/13.

(2) عبد الملك بن حميد مولى حاتم بن النعمان الباهلي، من أهل حرّان، كاتب متقدّم، تقلّد كتابة المنصور ودواوينه، كانت له عنده منزلة خاصة ومكانة. تنظر أخباره في كتاب الوزراء والكتّاب، ص96، وما بعدها.

(3) أصبهان: مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها، وهي من نواحي الجبل. لها تاريخ معرق في القدم، كثيرة الخيرات، وصفها الحجاج بقوله: «حجرها الكحل، وذبابها النحل، وترابها الزعفران». ينظر معجم البلدان، 244/1، ومعجم ما استعجم، 163/1.

(4) كرمان: ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة، ذات بلاد واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان، كثيرة النخل والزرع. ينظر معجم البلدان، 515/4، ومعجم ما استعجم، 1125/4.

(5) في الاشتقاق، ص202: «... وإنَّما لُقّب بذلك – أي: الحبط – لأنَّه أكل صمغًا كثيرًا فحبط بطنه؛ أي: ورم بطنه». وينظر العقد الفريد، 345/3، ولسان العرب، 272/7، وسرح العيون، ص389.

(6) ينظر لسان العرب، 270/7.

(7) زياد الأعجم: هو زياد بن سلمى، أو زياد بن جابر بن عمرو بن عامر، وقيل غير هذا، والأعجم لقب بسبب عُجمة أو لكنة في لسانه، من شعراء الدولة الأموية، توفي بعد سنة 125 للهجرة، تنظر مقدمة شعره المجموع مع مصادرها.

(8) شعره، ص170، باختلاف يسير، وينظر البيان والتبيين، 37/4، والممتع، ص249.

(9) حسكة بن عتّاب: أحد فرسان بني تميم بخراسان في الإسلام، له ذكر وصيت. ينظر الاشتقاق، ص564.

(10) مرّت ترجمته.

(11) في المعارف، ص414، أنَّ المسور هو ابنُ ابنِ عباد؛ فهو المسور بن عمر بن عباد، كان سيِّد بني تميم في زمانه.

أنـــت لـهـا يـا مـســور بــن عـبّــادْ

إذا انـتـضـيـن مـن جـفـون الأغمادْ[1]

وقيل لعبّاد: في أيِّ عدَّة تحبُّ أن تلقى عدوَّك؟ قال: في أجل مستأخر[2].

وليس يُبتلى الناس من الهجاء إلاّ بما خفَّ على ألسن العوام، وأسرع إلى أفهامها، قال سعيد بن مسلم: لمّا تنافر أبو نخيلة[3] والعجّاج[4] في شعرهما، حضرهم الصبيان، فذهب إنسان يطردهم، فقال العجاج: دعهم، يعلمون ويبلِّغون[5].

حدَّثني السجستاني عن الأصمعي أنَّه قال: لا يسير من الشعر إلاّ الواضح، وخير الشعر ما إذا سمعه الإنسان ظنَّ أنَّه يقول مثله، ثمَّ يجدع أنفه بظفر كلب قبل ذلك.

فمن سائر الهجاء قول جرير:

قــومٌ إذا اسـتـنـبـح الأضـيــافَ كـلـبُـهـمُ

قــالــوا لأمِّــهــم: بـولـي عـلـى النارِ[6]

وقول الآخر، وليس مثله في الشهرة:

إنَّ مـــنـــافـــاً فـــقـــحـــةٌ لــــدارم

كـمـا الـظّـلـيـم فـقـحـة البراجمِ[7]

---

(1) الرجز بلا نسبة في المعارف، ص414.

(2) ينظر عيون الأخبار، 128/1، والعقد الفريد، 104/1.

(3) أبو نخيلة: قيل هذا هو اسمه، وقيل: اسمه يعمر. راجز معروف، اتصل بمسلمة بن عبد الملك وهشام بن عبد الملك. أدرك دولة بني العباس فغيّر ولاءه وسمّى نفسه شاعر بني هاشم. قتله عيسى بن موسى قبل سنة 150 للهجرة. ينظر تاريخ الأدب العربي، 69/2، مع مصادره.

(4) العجّاج: بن رؤبة من بني مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم. ولد في البصرة في أوائل خلافة عثمان، وتوفي سنة 97 للهجرة. راجز مشهور، كثير الغريب، متين السبك، بارع في وصف الصحراء وحيوانها. ينظر تاريخ الأدب العربي، 570/1، مع مصادره.

(5) ينظر الشعر والشعراء، 602/2.

(6) البيت ليس لجرير، بل للأخطل من قصيدة مطلعها:

مــا زال فـيـنـا ربـــاط الـخـيـل مُـعـلـمـة

وفـــي كـلـيـب ربـــاط الـــذّل والـعـــار

ديوان الأخطل، 636/2.

(7) بلا نسبة في البيان و التبيين، 37/4، والحيوان، 363/1 باختلاف يسير.

وقول الحطيئة للزبرقان:

دعِ المكارم لا ترحل لبغيتها

واقعد فإنَّك أنت الطاعم الكاسي[1]

وقال الطرمّاح[2]:

تميمٌ بطرْق اللؤم أهدى من القطا

ولو سلكت سُبْل المكارم ضلَّتِ[3]

وفي هذا الشعر من الهجاء ما هو عندي أعلق بقلوب العوام من هذا البيت، ولم يُشهر؛ كقوله[4]:

فلو أنَّ حرقوصاً على ظهر نملة

يشدُّ على ثُلْثَيْ تميمٍ لولَّتِ

ولو أنَّ برغوثًا يزقّق مسكه

إذاً نهلت منه تميمٌ وعلَّتِ

ولو جمعت يومًا تميمٌ جموعها

على ذرَّة معقولة لاستقلَّتِ

ولو أنّ أمَّ العنكبوت بَنَتْ لها

مظلَّتها يوم النَّدى لأكنَّتِ[5]

---

(1) ديوانه، ص50.

(2) الطرماح: هو الحكم بن حكيم بن الحكم بن نَفْر بن قيس بن طيئ، والطرمّاح لقب عُرف به، وهو الرجل الذي يرفع رأسه زهوًا، من شعراء اليمن، وقد تعصّب لليمنية حتى وصل حدَّ الإفراط، وكان يذهب مذهب الخوارج، وفي شعره ما يشير إلى هذا، وهو من فرقة الصفرية، ويعدّ من كبار شعراء العصر الأموي، توفي بعد سنة مئة وعشر للهجرة. تنظر مقدمة ديوانه مع مصادرها.

(3) ديوانه، ص59، باختلاف يسير، وفي ديوان المعاني، 175/1، أنَّ هذا البيت أهجى بيت قالته العرب.

(4) هو الطرماح أيضًا.

(5) ديوانه، ص63–64، باختلاف يسير. ويزقّق: يُسلخ من قبل رأسه ويتّخذ زقّاً، ونهلت: شربت المرة الأولى، وعلَّت:

وكقوله[1]:

لا عـزَّ نصـر امـرئٍ أضـحى لـه فـرسٌ

عـلى تـميـم يـريـد الـنَّصـر مـن أحـدِ

لـو حـان وِردُ تـميـم ثـمَّ قـيـل لـهـا:

حـوض الـرسـول عليه الأزدُ لـم تـردِ

أو أنـزل الله وحـيـاً أن يـعذّبـهـا

إن لـم تـعـد لـقـتـال الأزد لـم تـعـدِ

وكـلُّ لـؤمٍ أبـاد الـدَّهـرُ أثـلـتَـه

ولـؤم ضـبَّـة لـم يـنـقـص ولـم يـزدِ[2]

وقال يذكر بني أسد[3]:

لـو كـان يخفى عـلى الـرَّحـمـن خافيةٌ

مـن خـلـقـه خـفـيـت عـنـه بـنـو أسـدِ

قـوم أقـام بـدار الـذّل أوّلـهـم

مـمّـا أقـامـت عـلـيـه جِـذمـة الوتدِ[4]

وقد يأتي من هذا الهجاء الواضح ما لا يسير، وهو ممضٌّ موجع، كقول الآخر:

شربت المرة الثانية، وأكنَّت: سترت، يشير إلى قلة عددهم، والحرقوص: دويبة أكبر من البرغوث، وعضُّها أشدّ من عضّه، ينظر الحيوان، 45/6، وفي العقد الفريد، 301/5، أنَّ هذه الأبيات أهجى ما قالته العرب، ويعلّق ابن قتيبة عليها في الشعر والشعراء، 587/2، بقوله: «وهذا من الإفراط».

(1) هو الطرماح أيضًا.

(2) ديوانه، ص160–161و166، باختلاف يسير. وأثلة كلّ شيء: أصله.

(3) هو الطرماح مرَّة ثالثة.

(4) ديوانه، ص166، وجذمة الوتد: قطعة الوتد، ويضرب المثل بالوتد للذلّ والهوان.

بــلاد نــأى عـنّـي الـصـديق وسـبَّـني

بـهـا عَـــنَـــزيٌّ ثــم لـــم أتــكــلَّــمِ

ولست أدري إلى أيّ شيء أوجّهُ هذا، إلاّ إلى باب الحظّ والحرمان؛ فإنَّهما داخلان على كلِّ شيء حتى الشعر والرسائل، فكم فيهما من كلام رصين لا يجوز[1] الدفاتر، وكلام سخيف نُصب الأسماع والقلوب.

وممَّن وُضع بقبيح الهجاء :جَرْم[2]. قال حُميد بن ثور[3] لرجلين بعث بهما إلى امرأة كان يشبّب بها:

وقـــولا إذا جـاوزتــمـا أرضـــ عـامـر

وجـاوزتـمـا الـحـيَّـيـن نـهـدًا وخـثـعـمـا:

نـزيـعـان مــن جَـــرمِ بــن ربّـــان إنَّــهـم

أبّــوا أن يـمـيـروا فـي الـهـواجـر محجما[4]

أمرهما أن ينتسبا إلى جرم؛ لأنَّ العرب لا تخافها لغارة، ولا تعتدُّ بها، وهذا غاية الخمول والسقوط عندهم. وكذلك قول الآخر:

فــمــا فـعـلــت بــنــو رومــــان خـيــرًا

ومــــا فـعـلــت بــنــو رومــــان شـــرًّا

(1) لا يجوز: لا يتعدّى.

(2) جَرْم: بطنان: بطن من قضاعة وهو جَرْم بن ربّان، والآخر في طيئ. ومن جرم بن ربّان بنو أعجب، وبنو طرود، تصفها العرب بالخنوع. ينظر جمهرة أنساب العرب، ص451، والاشتقاق، ص543، ولسان العرب، 95/12.

(3) حميد بن ثور بن عبد الله بن عامر الهلالي، شاعر مخضرم عاش في الجاهلية، وقضى الشطر الأكبر من حياته في الإسلام، جعله ابن سلاّم في الطبقة الرابعة من الإسلاميين، توفي في زمن عثمان ﷺ، وبعضهم يؤخر وفاته إلى زمن عبد الملك. تنظر مقدمة ديوانه مع مصادرها.

(4) ديوانه، ص28، باختلاف يسير. ونزيعان: غريبان، ويميروا: يريقوا، ويقول محقّق الديوان إنَّه «يأمر خليليه أن ينتسبا إلى جرم؛ لأنَّ العرب تأمنها ولا تخافها... وهذا من أخبث الهجاء لجرمٌ»، وينظر الشعر والشعراء، 390/1 إذ جعل البيتين من خبيث الهجاء.

وما خُلِقت بنو رومان إلاّ

أخيرًا بعد خَلْق الناس طرّا[1]

ومثله في الخمول[2]:

تجانف رضوان عن ضيفه

ألم تأت رضوانَ عنّي النُّذُرْ

بحسبك في القوم أن يعلموا

بأنَّك فيهم غنيٌّ مُضِرْ

وأنت مليخٌ كلحم الحوا

ر لا أنت حلوٌ ولا أنت مُرْ[3]

كأنَّك ذاك الذي في الضرو

ع قدّام درَّتها المنتشرْ

إذا ابتدر الناس لم تأتهم

كأنَّك قد ولدتك الحُمُرْ

وقد علم الضيف والطار

قون أنّك للضيف جوعٌ وقرْ[4]

(1) ينظر العقد الفريد، 14/3 ففيه البيت الأول وحده بلا نسبة باختلاف.

(2) هو الأشعر الرقبان الأسدي كما في نوادر أبي زيد، ص289، والحيوان، 360/1، وسمط اللآلي، 830/2، ولسان العرب، 55/3، واسمه عمرو بن حارثة بن ناشب بن سلامة بن سعد بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد، شاعر جاهلي خبيث، قتل عمرو بن هند أخاه، فسرق ابنين له فذبحهما، ويقول هذه الأبيات في رضوان الأسدي الذي نزل به فلم يقدِّم له قِرى. ينظر المؤتلف، ص47 و133، ومعجم الشعراء، ص210.

(3) المليخ: الذي لا طعم له.

(4) الأبيات منسوبة إلى الأشعر في: الحيوان، 361/1، الثاني والثالث، والمؤتلف، ص47، الثالث والرابع، وص133، الثالث والرابع والسادس، ومعجم الشعراء، ص210، الأول والثالث والسادس، ونوادر أبي زيد، ص289، عدا الخامس، وينظر الهامش الثاني ففيه مزيد من التخريج، وسمط اللآلي، 830/2، الأول والثالث والسادس، ولسان

وهذا يكثر -إن تتبعناه- ويطول به الكتاب، ولم يكن قصْدنا للإخبار عن المناقب والمثالب، وإنَّما أردنا الإخبار عن جلالة قدْر الشعر، وعظيم موقعه؛ برفعه قومًا، وحطّه آخرين.

وكان القبيل من العرب إذا نشأ فيهم غلام فقال شيئًا من الشعر، أو رجز في حداء بعير، أو مَتَح بدلو، سُرَّ به قومه، واستبشرت عشيرته، وقدّموه وعظّموه، ورشَّحوه للمنافحة عنهم، والدَّفع عن أعراضهم، وأتاهم الأقارب والمجاورون[1]

وقال الأعشى لقومه:

أدافع عن أعراضكم وأعيركم

لسانًا كمقراض الخفاجيّ مِلحبا[2]

وقال جرير:

ألم أكُ نارًا يصطليها عدوُّكم

وحرزًا لما ألجأتُمُ من ورائيا

وباسط خير فيكمُ بيمينه

وقابض شرٍّ عنكمُ بشماليا

ألا لا تخافا نبوتي في ملمَّة

وخافا المنايا أن تفوتكما بيا[3]

حدَّثني الريّاشي قال: حدَّثنا الأصمعي عن جويرية بن أسماء أنَّه قال لمساور بن هند: لِمَ

العرب، 55/3، الثاني والثالث والسادس، وهي بلا نسبة في أمالي القالي، 211/2، الثالث وحده، والفصول والغايات، ص3، الثاني والثالث والرابع.

(1) ينظر الممتع، ص25، و230، والعمدة، 65/1، ولعلَّهما ينقلان عن هذا الكتاب، وخصوصًا صاحب الممتع الذي ذكر ابن قتيبة صراحة في غير هذا الموضع.

(2) ديوانه، ص153، وملحب: قاطع.

(3) ديوانه، ص501.

تقول الشعر؟ قال: أسقي به الماء، وأرعى به الكلأ، وأقضي به الحاجة، فإن كفيتني ذلك تركته[1].

وقال عمر بن الخطاب: الشعر جَزْلٌ من كلام العرب، يسكن به الغيظ، وتُطفأ به النائرة، ويتبلّغ به القوم، ويُعطى به السائل. وقال أيضًا: نِعْم الهدية للرجل الشريف الأبيات يقدِّمها بين يدي الحاجة؛ يستعطف بها الكريم، ويستنزل بها اللئيم[2].

والمنثور من الكلام لا يبلغ في الحوائج واستنجاحها، والسخائم واستلالها[3]، والمدح، والفخر، والعتاب، والسباب، والتحضيض، والصبر، وغير ذلك من الأمور التي يحتاج الناس إلى التلطُّف فيها بالقول، مبلغ الشعر.

قال الرياشي: مرَّ خليد بن عينين[4] بعامل لزياد على بعض كور[5] فارس، فسأله فلم يُعطه، وقال: أنت تُدِلُّ بالشعر فاذهب فقل ما شئت. فقال: أنا لا أهجوك، ولكنِّي أقول ما هو أشدُّ عليك من الهجاء، وأنشأ يقول:

وكائنْ عند تيْمٍ من بدورٍ ... إذا ما حُرِّكَتْ تدعو زيادا

دعته دعوةً شوقًا إليه ... وقد شُدَّت حناجرها صِفادا

فنمى الشعر إلى زياد فقال: لبَّيك يا بدور تيم، وبعث إليه، فأخذ منه مئة ألف درهم[6].

---

(1) ينظر الشعر والشعراء، 349/1، والعقد الفريد، 274/5، والممتع، ص28، وخزانة الأدب، 573/4، وفيها أنَّ القائل هو الحجاج بن يوسف بدل جويرية بن أسماء.

(2) ينظر البيان والتبيين، 101/2و320، والعقد الفريد، 274/5و281، والممتع، ص28، والعمدة، 16/1.

(3) السخائم: جمع سخيمة؛ وهي الحقد، وتُستلّ: تنزع.

(4) خليد بن عينين من عبد القيس، كان ينزل أرضًا بالبحرين تُعرف بعينين فنُسب إليها. شاعر مقلّ كان يهاجي جريرًا. ينظر الشعر والشعراء، 463/1، وسمط اللآلي، 644/2و766.

(5) كُور: جمع كورة وهي المدينة والصُّقْع.

(6) ينظر الشعر والشعراء، 463/1، والعقد الفريد، 306/5 باختلاف يسير، وفيه أنَّ تيمًا اسم عامل زياد، والبدور: جمع بَدْرة؛ وهو الكيس فيه ألف أو عشرة آلاف.

ولو أنَّ هذا الشاعر رفع في تخوين هذا العامل ما بلغ كلام سحبان وائل، وأطول من خُطب المصلحين بين العشائر، لم يبلغ مبْلغ هذين البيتين، ولا كان إلاّ كأحد الرافعين.

وقد ينفع الله به في اللقاء، ويثبّت به الأقدام. وقال عبد الملك لمعلِّم ولده: علمِّهم الشعر يمجدوا، وينجدوا[1].

وقال معاوية: شجَّعني على علي بن أبي طالب عليه السلام قول ابن الإطنابة الخزرجي[2]:

وقــولــي كــلَّـمـا جـشــأت وجـاشــت

مـكـانـك تُـحـمـدي أو تستريحي[3]

ومثل ذلك قول قطريّ بن الفجاءة[4]:

وقــولــي كـلَّـمـا جـشـــأت لـنـفـسـي

مــن الأبـــطـــال ويـحـك لــن تــراعـي

فـــإنَّـــكِ لـــو ســــألـــتِ حـــيـــاة يــوم

مـن الأجـــل الـــذي لـك لـن تطاعي[5]

---

(1) ينظر عيون الأخبار، 167/2، ونور القبس، ص250.

(2) ابن الإطنابة: هو عمرو بن عامر بن زيد مناة بن عامر بن مالك الأغرّ بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج، والإطنابة أمّه. شاعر جاهلي، فارس، معروف قديم. قاد الخزرج في واحدة من حروبها مع الأوس، وكان حسّان بن ثابت يراه أشعر الناس. ينظر معجم الشعراء، ص203، والاشتقاق، ص453.

(3) البيت والقول في أمالي القالي، 258/1، والكامل، 1433/3، وعيون الأخبار، 126/1، ومعجم الشعراء، ص204، ووقعة صفين، ص450، ومجالس ثعلب، 83/2، وديوان المعاني، 114/1، والحيوان، 425/6، وحماسة البحتري، ص1، والمصون في الأدب، ص113، والممتع، ص38، والعمدة، 29/1، ومجمع الأمثال، 467/2، وجمهرة أشعار العرب، 159/1، والبرهان، ص169.

(4) قطري بن الفجاءة المازني شاعر الخوارج، وخطيبها، والخليفة المسمّى بأمير المؤمنين في أصحابه، خاض معارك كثيرة. ينظر ديوان شعر الخوارج، ص119، مع مصادره.

(5) ديوان شعر الخوارج، ص122، باختلاف يسير.

وقول نهشل بن حرّي[1]:

ويـــومٍ كـــأنَّ الـمـصـطـلـين بـحـرِّه

وإن لـم تـكـن نـارٌ قـيـامٌ عـلـى الـجـمـرِ

صـبـرنـا لـه حـتـى يـبـوخ وإنَّـمـا

تـفـرّج أيـام الـكـريـهـة بالصبرِ[2]

وقول الآخر:

بـكـى صـاحـبي لـمّـا رأى الـمـوت فوقنا

هـطـولاً كـأطـلال الـسـحـاب إذا اكـفهـرْ

فـقـلـت لـه: لا تـبـكِ عـيـنـك إنَّـمـا

يـكـون غـدًا حُـسـن الـثـنـاء لـمـن صَـبـرْ

فـمـا أخَّـر الإحـجـامُ يـومًـا معـجَّـلاً

ومـا عـجَّـل الإقـدام مـا أخَّـر الـقـدر

فـأُبـنـا عـلـى حـالٍ يـقـلُّ بـهـا الأسـى

وقـاتـل حيـث استبهم الـوِرد والـصّـدَرْ

حدَّثني السجستاني قال: حدَّثنا الأصمعي قال: كان عاصم بن الحدثان رجلاً من العرب قديمًا، وكان رأس الخوارج بالبصرة، وربَّما جاءه الرسول من الجزيرة[3] يسأله عن الأمر

(1) نهشل بن حرّي بن ضمرة بن ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم، شاعر فارس أدرك الجاهلية والإسلام، شارك مع الإمام علي كرّم الله وجهه في حروبه، وهو من بيت عُرف بالشعر، فأبوه وجدّه وابنه شعراء، ولذلك جعل ابن رشيق في العمدة، 306/2، بيته من بيوتات الشعر، والمعرقين فيه، ويصفه صاحب زهر الآداب، 1087/2، بأنَّه شاعر ظريف. تنظر مقدمة شعره المجموع مع مصادرها ضمن كتاب (شعراء مقلّون)، ص81، وما بعدها.

(2) شعره، ص101.

(3) الجزيرة: هي التي بين دجلة والفرات مجاورة الشام، تشتمل على ديار مضر وديار بكر، سُمّيت الجزيرة لأنّها بين دجلة والفرات، بها مدن جليلة وحصون وقلاع كثيرة، من أمّهات مدنها: حرّان، والرّها، والرقّة وغيرها. ينظر معجم البلدان، 156/2، ومعجم ما استعجم، 381/1.

يختصمون فيه، فمرَّ به الفرزدق فقال لابنه: أنشد أبا فراس. فأنشده:

وهـــمُ إذا كـســروا الـجـفـون أكـابـرٌ

صُـــبـــرٌ وحـــيـــن تـــحـــلّـــلُ الأزرارُ

يـغـشـون حـومـات الـمـنـون وإنّـهـا

فـــي الله عـــنـــد نـفـوسـهـم لـصـغـارُ

يـمـشـون فـي الـخـطـيِّ مـا ماشـيـتـهـم

والــقــوم إذ ركـــبـــوا الـــرمـــاح تـجـارُ

فقال الفرزدق: ويلك اكتم هذا! لا يسمعه النسَّاجون فيخرجون علينا بالحفوف[1].

حدَّثني الريّاشي قال: أخبرنا عبيد بن عقيل قال: أخبرنا جرير بن حازم، ومحمد بن سيرين قالا: كان شعراء المسلمين: حسّان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك، يخوّفونهم بالحرب، وعبد الله يعيّرهم بالكفر، وكان حسّان يُقبلُ على الأنساب. قال ابن سيرين: فبلغني أنَّ دوسًا[2] إنَّما أسلمت فَرَقًا[3] من كعب وقوله:

قـضـيـنـا مـن تـهـامـة كـلَّ وتـر

وخـيـبـر ثـمَّ أغـمـدنـا الـسـيـوفـا

نـخـيّـرهـا ولـو نـطـقـت لـقـالـت

قـواطـعـهـنّ: دوسًـا أو ثـقـيـفـا

فقالت دوس: انطلقوا فخذوا لأنفسكم، لا ينزل بكم ما نزل بثقيف[4].

---

(1) ينظر عيون الأخبار، 124/1، والعقد الفريد، 106/1، والخطيّ: الرماح، والحفوف: جمع حَفّ وهو المنسج.

(2) دوس: قبيلة يمنية تنسب إلى أبيها دوس بن عُدثان، من ولده مُنْهب، وغَنْم، ومن قبائل دوس مالك بن فهم، وهم بعمان، وسُلَيْم بن فهم، ومنهم أبو هريرة، ووفد الطفيل بن عمرو الدوسي على رسول الله ﷺ، فدعا لدوس قائلاً: «اللهم اهد دوسًا». ينظر الاشتقاق، ص496و504، وجمهرة أنساب العرب، ص379، وما بعدها.

(3) فَرَقا: خوفاً.

(4) الخبر في العقد الفريد، 278/5، وزهر الآداب، 28/1، والشعر في سيرة ابن هشام، 121/4.

قال: وأمّا شعراء المشركين فعمرو بن العاص، وعبد الله بن الزبعرى، وأبو سفيان بن حرب.

وذكر أبو اليقظان أنَّ الحارث بن عوف[1] سيّد بني مُرّة، وصاحب الحمالة بين عبس وذبيان، أدرك الإسلام فأسلم، وبعث معه رسول الله ﷺ رجلاً من الأنصار في جواره يدعو إلى الإسلام، فقتله رجل من بني ثعلبة، فبلغ الخبرُ رسول الله ﷺ فقال لحسّان: «قُل فيه». فقال:

يـا حـــارِ مَـــنْ يـغـدر بـذمَّـة جـاره

مـنـكـم فـــإنَّ مـحـمـدًا لـم يـغـدرِ[2]

وأمـــانــة الـــمُــرّي مــا اسـترعـيـتـه

مـثـل الـزجـاجـة صـدعُـهـا لـم يُـجـبـرِ

إن تــغــدروا فـالـغـدر مـنـكـم عــادةٌ

والـغـدر يـنـبـت فـي أصــول الَّخْبرِ[3]

فبعث الحارث يعتذر، وبعث بدية الرجل إبلاً فقبلها النبي ﷺ، ودفعها إلى ورثته[4].

فتوقّفْ على هذا الخبر، وتفهَّم قول رسول الله ﷺ: قل فيه؛ لعلمه ﷺ بوقع الشعر من القلوب، ولُطف مدخله، وأنَّه أهزُّ، وأمضُّ، وأوجع، وأبخع، لا جرم ما كان الجواب عنه إلاّ الديّة.

وقد كان رسول الله ﷺ يعطي الشعراء، ومدحه شاعر فقال: «اقطعوا عنّي لسانه فأعطوه»[5].

---

(1) الحارث بن عوف بن أبي حارثة المزني، مشهور من فرسان الجاهلية، كان رسول الله ﷺ خطب إليه ابنته، فقال: لا أرضاها لك فإنَّ بها سوادًا، ولم يكن بها، فرجع فوجدها قد برصت، وله الحادثة التي يسوقها ابن قتيبة، ينظر الإصابة، 168/2، رقم (1457)، والاستيعاب، 251/2، رقم (428)، والبرصان والعرجان، ص141.

(2) يا حار: ترخيم حارثة.

(3) السخبر: شجر إذا طال تدلَّت رؤوسه وانحنت، واحدته سَخْبَرة.

(4) ينظر الاشتقاق، ص288، وفيه الحارث بن سنان، والأغاني، 11/4و155، والإصابة، 168/2، والاستيعاب، 251/2، وسرح العيون، ص161.

(5) قال ﷺ هذا القول للعباس بن مرداس بعد أن سمع شعره، فأمر عليًا كرّم الله وجهه أن يقطع لسانه، فأخذه إلى

وكسا كعب بن زهير بُردًا حين قال له:

نُـبِّـئـت أنَّ رســـولَ الله أوعـــدنـــي

والــعــفــو عــنــد رســـول الله مــأمــولُ

فاشتراه منه معاوية بعشرين ألف درهم، ولم يزل البُرد في أيدي الخلفاء إلى اليوم[1].

حدَّثني الزيادي قال: حدَّثنا عبد الوارث بن سعيد عن محمد بـن [ ][2] عن محمد بن علي: أنَّ رجلاً مدح الله ومدح رسوله، فأعطاه رسول الله ﷺ لمديحه الله خلعة، ولم يُعطه لمديحه إيّاه شيئًا[3].

وقال خلاَّد الأرقط: إعطاء الشاعر من برِّ الوالدين[4].

ومدح ابنَ شهاب شاعرٌ فأعطاه، وقال: إنّ من ابتغاء الخير اتّقاء الشرّ[5].

وقال رسول الله ﷺ لحسَّان: «نافح عن قومك، وسل أبا بكر عن معايب القوم»، وكان أبو بكر أعلم قريش بقريش، وقال له: «والله لشعرك أشدُّ عليهم من وقْع السهام في غلس الظلام»، وقال ﷺ لحسَّان: «اهجهم وجبريل معك»[6].

وكانوا يأمرون برواية الشعر لما يقيّد من مكارم الأخلاق، وغرائب الحكمة. قال: وكان

الحظائر، وأعطاه أربعين من الإبل، ينظر زهر الآداب، 938/2، ويضيف الحصري أنَّ الحجاج نظر إلى هذا القول، وأعاده حين خاطب ليلى الأخيلية، ينظر خبر الحجاج مع ليلى في أمالي القالي، 86/1، وينظر خير العباس في سيرة ابن هشام، 137/4، والعقد الفريد، 276/1، 302/5، والشعر والشعراء، 748/2، و الحماسة البصرية، 258/1، وخزانة الأدب، 152/1.

(1) ينظر مجالس ثعلب، 409/2، والشعر والشعراء، 142/1و156، والعقد الفريد، 288/5و291، والأغاني، 143/15، والعمدة، 23/1، والمصون، ص197، وثمار القلوب، ص61.

(2) ما بين المعقوفين كلمة غير مقروءة.

(3) ينظر الفاضل، ص9.

(4) ينظر نثر الدرّ، 184/1، وبهجة المجالس، 433/2، وجمهرة الأمثال، 88/1، وفي كتاب الموضوعات لابن الجوزي، 191/1، أنَّه حديث موضوع باطل.

(5) ينظر عيون الأخبار، 22/3، والممتع، ص363، وجمهرة الأمثال، 181/1، وبهجة المجالس، 433/2.

(6) ينظر صحيح البخاري، 142/7، مسند الإمام أحمد، 82/6، وسنن الترمذي، 127/5، وسنن أبي داود، 280/5، وسير أعلام النبلاء، 513/2، والكامل، 1472/3، وزهر الآداب، 25/1، والممتع، ص43، والعقد الفريد، 6/6، وثمار القلوب، ص220.

ابن عباس يقول: إنَّ الشعر علم العرب، وهو ديوانها فتعلَّموه، وعليكم بشعر الحجاز فإنَّه شعر الجاهلية، وقد عُفي عنه[1].

وقال مسلم بن بشّار: سمعت سعيد بن المسيِّب وقد أنشد شعرًا، فقلت: وإنَّكم لتنشدون الشعر؟ قال: أوما ينشدونه عندكم؟ قلت: لا. قال: لقد نسكتم نسكًا أعجميًا[2]. ثمّ حدَّث أنَّ رسول الله ﷺ قال: «شرُّ النسك نسك أعجمي»[3].

وقال ﷺ: «إنَّ من الشعر حكمًا»[4].

وروى شعيب بن واقد عن صالح بن الصقر عن عبد الله بن زهير قال: وفَد العلاء بن الحضرمي[5] إلى رسول الله ﷺ فقال له: «أتقرأ من القرآن شيئًا»؟ فقرأ (عبس)، فزاد فيها من عنده: وهو الذي أخرج من الحُبْلى، نسمة تسعى، من بين شراسيف[6] وحشا! فصاح به النبيُّ ﷺ، وقال: «كُفَّ، فإنَّ السورة كافية»، ثمَّ قال: «هل تروي من الشعر شيئًا»؟ فأنشده:

فحيِّ ذوي الأضغان تَسْبِ قلوبهم

تحيّتك الحسنى وقد يُرقع النَّعَلْ

فإن دحسوا بالكره فاعفُ تكرُّمًا

وإن حبسوا عنك الحديث فلا تَسَلْ

فإنَّ الذي يؤذيك منه سماعُه

وإنَّ الذي قالوا وراءك لم يُقَلْ

(1) ينظر العقد الفريد، 281/5، ومجالس ثعلب، 317/1، والعمدة، 30/1، والإتقان، 67/1.

(2) ينظر البيان والتبيين، 202/1، وزهر الآداب، 165/1، والعمدة، 29/1.

(3) ينظر العمدة، 16/1.

(4) ينظر مسند الإمام أحمد، 268/4و292، وجمهرة أشعار العرب، 146/1، مع تخريجه، والفاضل، ص9، وزهر الآداب، 18/1، والعقد الفريد، 117/1 و274/5، والممتع، ص32و35، والتمثيل والمحاضرة، ص27، ورسائل الجاحظ، 160/2، والعمدة، 16/1و27، وديوان المعاني، 150/1، وأول أمثال الميداني، والمحاسن والمساوئ، 222/2، وبهجة المجالس، 38/1، ونهاية الأرب، 4/3.

(5) العلاء بن الحضرمي: صحابي ولاّه رسول الله ﷺ البحرين، وأقرّه عليها أبو بكر وعمر، قاتل أهل الردة بالبحرين وأبلى البلاء العظيم، توفي في خلافة عمر. ينظر أسد الغابة، 7/4، والإصابة، 497/2 رقم (5642).

(6) شراسيف: جمع شرسوف؛ وهو غضروف معلّق بكل ضلع، أو طرف الضلع المشرف على البطن.

فقال النبيّ ﷺ: «إنَّ من الشعر حكمًا، وإنَّ من البيان لسحرًا»[1].

والعجم تعجب بكلام بزرجمهر وآنوشروان، وأشباههما من ملوكهم وموبذيهم[2]، وتفخر بما أودعوا من آدابهم، وحكمهم، ولو تتبَّعوا ذلك من أشعار العرب، وكلام حكمائها؛ مثل كلام أكثم بن صيفي التميمي، وأبي حجار أبجر بن جابر العجلي، وعامر ابن الظرب العدواني[3]، وأشباههم، لوجدوه بعينه، أو أجود منه في معناه، وسأذكر من ذلك شيئًا؛ لأنبِّه على ما للعرب – وإن قلَّ – يكون خاتمة الكتاب إن شاء الله.

الحكمة في الشِعر:

قال ابن عباس: إنَّها كلمة نبيّ[4]:

ستبدي لك الأيامُ ما كنت جاهلاً

ويأتيك بالأخبار مَنْ لم تزوِّدِ[5]

والعجم تقول في حكمها: كلُّ عزيز دخل تحت القدرة فهو ذليل[6].

قال الشاعر[7] في هذا المعنى، أو شبهه:

---

(1) الخبر والأبيات في: شرح الحماسة للتبريزي، 2/1، وعيون الأخبار، 18/2 و168، والعقد الفريد، 65/2 و123 و336و64/3و273/5، والزينة، 100/1، وجمهرة الأمثال، 13/1، وسرح العيون، ص149، ومعجم الشعراء، ص296، وجمهرة أشعار العرب، 157/1، ولسان العرب، 76/6، وبلوغ الأرب، 130/3.

(2) الموبذ: قاضي المجوس، وموبذ الموبذان: قاضي القضاة، ينظر مفاتيح العلوم، ص151، ولسان العرب، 511/3.

(3) عامر بن الظرب العدواني من حكام قيس، كانت العرب لا تعدل بفهمه فهمًا، ولا بحكمه حكمًا، وصفه الجاحظ بقوله: «كان حكيماً، خطيبًا، رئيسًا»، ينظر المعارف، ص80و553، والبيان والتبيين، 401/1، وبلوغ الأرب، 136/1.

(4) ينظر عيون الأخبار، 191/2، والعقد الفريد، 276/5و271، وفيه، 137/3: «أنَّ رسول الله ﷺ قال بعد أن سمع البيت: إنّ معناه من كلام النبوة».

(5) البيت لطرفة بن العبد، ديوانه، ص48.

(6) ينظر عيون الأخبار، 2/2، والعقد الفريد، 78/3، والبخلاء، ص161، وفيه: «وفي بعض كتب الفرس».

(7) هو الأحوص الأنصاري، عبد الله بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح، والأحوص لقب. شاعر من مقدَّمي شعراء الدولة الأموية، مدح الخلفاء ورجالهم، كان هجّاءً، وهذا ما حدا بعمر بن عبد العزيز أن يسيّره إلى دهلك منفيّاً، ليعيده بعد هذا يزيد بن عبد الملك، إلى أن يدركه الموت في آخر خلافته. تنظر مقدمة شعره مع مصادرها.

وزادنـــي كـلـفـاً بـالـحـبِّ أن منعت

وحــبُّ شــيءٍ إلـى الإنـســان مـا مُنِعا[1]

وقالوا: كلُّ مقدور عليه مملول محقور[2]. وقالوا: المرء توّاق إلى ما لم يَنَل[3]. ويقول أصحاب القياس: ما شاهدتَ دليلٌ على ما غاب عنك. وقال الشاعر في مثله:

ألـــوت بـإصــبـعـهـا وقـــالــت: إنَّــمـا

يكفيك مـمّـا لا تـرى مـا قـد [رأيت][4]

وتقول الحكماء: مَنْ سَنَّ سُنَّة فليرض أنّ يُحكم عليه بها[5]. وقال أبو ذؤيب في مثله[6]:

فــلا تـجـزعـن مــن سُــنَّــة أنــت سـرتـهـا

وأوّل راضٍ ســنّــةً مَـــنْ يسيرها[7]

وتقول الحكماء: الطبع أمْلك[8]. وقال الشاعر في مثله:

---

(1) شعره، ص195.

(2) ينظر مجمع الأمثال، 53/3، وعيون الأخبار، 3/2، والعقد الفريد، 78/3، والبخلاء، ص161، وينسبه إلى معاذة العدوية.

(3) ينظر عيون الأخبار، 3/2.

(4) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط، ولعلَّ هذه اللفظة تناسب البيت.

(5) من أمثالهم: «لا تجزعن من سنّة أنت سرتها»، مجمع الأمثال، 214/3، وفي عيون الأخبار، 136/4: «كتبت مُنية إلى قابوس: مَنْ سنّ سنّة فليرضَ بأن يُحكم عليه بها».

(6) في مجمع الأمثال، 215/3، أنَّ قائل هذا البيت، ومعه ثلاثة أخرى هو خالد ابن أخت أبي ذؤيب، وساق قصة للأبيات. ونسبه ابن قتيبة نفسه في عيون الأخبار، 109/4، والشعر والشعراء، 654/2 إلى خالد بن زهير، وهو ابن أخت أبي ذؤيب، أو ابن عمّه، وديوان الهذليين، 157/1.

(7) ينظر مجمع الأمثال، 215/3، وعيون الأخبار، 109/4، والشعر والشعراء، 654/2، والأغاني، 62/6، وأدب الخواص، ص82، العجز وحده، وبهجة المجالس، 788/2، وديوان الهذليين، 157/1، وهو بلا نسبة في نوادر المخطوطات، ص272.

(8) ينظر العقد الفريد، 3/3، وتأويل مختلف الحديث، ص291.

ومَــنْ يبتـدع مـا ليس مـن سـوس نفسه

يَـدعْـه وتغلبـه عـلـى الـنفـس خِيْمها[1]

وقال آخر[2]:

كـــلُّ امـــرئٍ راجـــعٌ يـومًـا لـشيـمتـه

وإن تـخـلَّـق أخـــلاقًـا إلـــى حينِ[3]

وقال آخر[4]:

ارجــع إلــى خُـلْـقِـك الـمعـروف ديدنـه

إنّ الـتـخـلّـقَ يـأبـى دونـــه الخُلُقُ[5]

وتقول حكماء العجم: الحرص محرمة[6]. وقال عدي بن زيد:

قـــد يُـــــدرك الـمـبـطـئ مـــن حـظِّـه

والـجَـدُّ قـد يـسبـق جهـد الحريصْ[7]

---

(1) نسب هذا البيت إلى غير واحد من الشعراء، فهو لكثيّر، ينظر ديوانه، ص148، أو حاتم الطائي، ينظر ديوانه، ص289، أو العتبي، أو الأعور الشنيّ أو ذي الإصبع العدواني أو سليمان بن المهاجر. ينظر اختلاف النسبة في ديوان حاتم، ص289. ونسب إلى مالك بن الدخشم الأنصاري في معجم الشعراء، ص362، وهو بلا نسبة في تأويل مختلف الحديث، ص291، وبهجة المجالس، 660/2، ونُسب في الفاضل، ص40، إلى خالد بن عبد الله الطائي، ونُسب إلى كثيّر في الشعر والشعراء، 513/1، والحماسة البصرية، 173/2.

(2) هو ذو الإصبع العدواني، واسمه حُرثان من عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان، وسمّي ذا الإصبع؛ لأنَّ حيّة نهشت إبهام قدمه. شاعر فارس جاهلي، له غارات كثيرة، ووقائع مشهورة، عمّر دهرًا طويلاً. تنظر ترجمته في المفضليات مع مصادر المحققّين، والشعر والشعراء، 708/2، وخزانة الأدب، 284/5.

(3) البيت منسوب إلى ذي الإصبع في الكامل، 26/1، والممتع، ص398، والأمالي، 256/1، والحماسة البصرية، 224/1، وينظر مزيد من التخريج فيها.

(4) هو العرجي، واسمه عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان، ولُقّب بالعرجي نسبة إلى ماء له يقال له العرج، شاعر من مقدّمي شعراء قريش، والدولة الأموية، غلب على شعره الغزل، والمجون، ووصف اللهو. توفي مسجونًا سنة 120 للهجرة بالمدينة. تنظر مقدمة ديوانه مع مصادرها.

(5) ديوانه، ص33، باختلاف. وينظر الهامش الخامس في الديوان.

(6) ينظر الأدب الكبير، ص97.

(7) ديوانه، ص70، باختلاف يسير.

وقيل لبزرجمهر: هل من أحد ليس فيه عيب؟ قال: لا، إنَّ الذي لا عيب فيه لا ينبغي أن يموت[1]. وقال موسى شهوات[2] في مثله:

ليس فيما بدا لنا منك عيبٌ
عابه الناس غير أنَّكَ فانِ

أنتَ خير المتاع لو كنت تبقى
غير أن لا بقاءَ للإنسانِ[3]

وتقول العجم: آفة الحلم الضعف. وقال النابغة الجعدي:

ولا خيرَ في حلمٍ إذا لم يكن له
بوادرُ تحمي صفوه أن يكدَّرا[4]

وأنشده النبيّ ﷺ، فقال: لا يفضض الله فاك. قال: فغبر مئة سنة لم تنغض له سن[5].

وتقول الحكماء: أحقُّ مَنْ شركك في النِّعم شركاؤك في المكاره[6]. وقال الشاعر[7]:

---

(1) ينظر عيون الأخبار، 17/2، والعقد الفريد، 336/2، وهو منسوب إلى العتابي في العقد، 3/1، والتمثيل والمحاضرة، ص11.

(2) موسى شهوات: هو موسى بن يسار مولى بني تيم قريش، وشهوات لقب لحق به. من شعراء المدينة وظرفائهم. ينظر الشعر والشعراء، 577/2، مع مصادر المحقق، والمؤتلف، ص377، وسمط اللآلي، 807/2، وخزانة الأدب، 297/1، وينظر كفاية الطالب، ص67 فهما منسوبان إليه.

(3) في نسبة البيتين خلاف، فهما في البيان والتبيين، 144/3، منسوبان إلى جارية لسليمان بن عبد الملك، أنشدتهما بعد أن ركب في زيّ عجيب، وهما لها في العقد الفريد، 425/4، وتاريخ الطبري، 547/6، والكامل في التاريخ، 37/5، وهما في الأخبار الموفقيات، ص193 لأعرابي يمدح سعيد بن العاص، وهما لموسى في الشعر والشعراء، 578/2، وعيون الأخبار، 17/2، ومعجم الشعراء، ص377، والعمدة، 136/2، والأغاني، 94/9، و122/3.

(4) شعره، ص69، باختلاف يسير.

(5) ينظر مجالس ثعلب، 663/2، والشعر والشعراء، 289/1، ورسائل الجاحظ، 364/1، ومعجم الشعراء، ص321، وغريب الحديث، 127/1، والعقد الفريد، 52/2 و80، و276/5، والمختار من شعر بشار، ص140، والعمدة، 53/1، وطبقات ابن سلاّم، 103/1، وجمهرة أشعار العرب، 152/1، والإصابة، 118/10، وبهجة المجالس، 714/1، ونهاية الأرب، 71/3، وتنغض: تتحرك.

(6) ينظر عيون الأخبار، 20/3، والعقد الفريد، 366/2، والتمثيل والمحاضرة، ص36، وبهجة المجالس، 714/1، ونُسب إلى أكثم بن صيفي.

(7) هو دعبل الخزاعي، أو أبو تمام، أو إبراهيم بن العباس الصولي. ينظر عن اختلاف النسبة شعر دعبل الخزاعي، ص461–462، ويرجّح جامع شعره أنَّ البيت ليس لدعبل بلا أسباب يوردها.

وإنَّ أَوْلـــى الـبـرايـا أن تـواسـيَـه

عند الـسـرور لمن آســاكَ فـي الحَزَنِ[1]

وفي كتاب: قد تُقطع الشجرة بالفؤوس فتنبت، ويُقطع اللحم بالسيوف فيندمل، واللسان لا يندمل جرحه[2]. قال امرؤ القيس:

....

وجـــرح اللسان كجـرح الـيـد[3]

وقال طرَفة:

وتـصـــدُّ عـنـك مـخـيـلـة الـرجـل الــ

ـعـرِّيـض مـوضـحـةٌ عــن الـعـظـمِ

بـحـسـام سـيـفـك أو لـسـانِـك والــ

ـكـلـم الأصـيـل كـأرغـب الكَلِمِ[4]

ونحوه:

....

والقـول ينفذ ما لا تنفذ الإبـرُ[5]

---

(1) ينظر شعر دعبل، ص462، والشعر والشعراء، 852/2، والحماسة البصرية، 3/2، ونسب فيهما إلى دعبل. ويذهب جامع شعر دعبل إلى أنَّ البيت ضمن قصيدة لأبي تمام مطلعها:

أراك أكـبـرت إدمـانـي عـلـى الـدّمـنِ

وحـمـلـيَ الـشـوق مـن بـادٍ ومـكـتـمـنِ

وهي في ديوانه، 337/3–339، وليس فيها هذا البيت.

(2) ينظر يتيمة السلطان، ص162، وعيون الأخبار، 22/2، وفيه: «وقرأت في كتاب للهند»، وجمهرة الأمثال، 476/1، وفيه: «وقال بعض حكماء الهند».

(3) ديوانه، ص183، وهو عجز بيت، وصدره: «ولو نثا غيره جاءني».

(4) ديوانه، ص96، والمخيلة: الخيلاء والتكبّر، والعريّض: المعترض فيما لا يعنيه، والموضحة: الشجّة تبدي عن وضح العظم وبياضه، أي تمنع المتكبّر ضربة شديدة، وكأرغب الكلم: أي كأوسعه.

(5) هذا عجز بيت للأخطل، ينظر ديوانه، 202/1، وصدره: «حتى استكانوا وهم مني على مضض».

وقالت الحكماء: إذا لم يُنجك الخير أنجاك الشرّ[1]. وقال الفند الزِّمَّاني[2]:

وفـــــي الـــشـــــرِّ نـــجـــــاةٌ حـيـ

ـــن لا يـنـجـيـك إحـــســـــانُ[3]

ويقولون: العجلة موكّل بها الزلل[4]. وقال القطامي[5]:

والـنـاس مَـنْ يَـلْـقَ خـيـرًا قـائـلـون له

مـا يـشـتـهي ولأمِّ الـمـخـطئ الـهـبـلُ

قـد يُـــدرك الـمـتـأنّـي بـعـض حـاجـتـه

وقـد يـكـون مـع الـمـسـتـعجل الزللُ[6]

وفي كتاب الهند: من علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقًا، ولعدوِّ صديقه عدوًّا[7]. فقال الشاعر[8] في مثله:

تـــودُّ عـــدوّي ثـــمَّ تـزعـم أنّـــني

صـديـقُـك، إنَّ الـــرأي عـنـك لـعـازبُ

---

(1) من أمثالهم: «قد يُدفع الشرّ بمثله إذا أعياك غيره». ينظر مجمع الأمثال، 485/2، وساق بيت الفند.

(2) الفند الزِّمَّاني: شهل بن شيبان بن ربيعة بن زمَّان بن مالك بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، والفند لقب غلب عليه، وهو القطعة العظيمة من الجبل. شاعر جاهلي، فارس. شهد حرب بكر وتغلب وقد قارب المئة. تنظر مقدمة شعره المجموع مع مصادرها ضمن كتاب (عشرة شعراء مقلّون)، ص9.

(3) شعره، ص22.

(4) ينظر العقد الفريد، 360/2.

(5) القطامي: لقب، واسمه عُمير بن شييم بن عامر بن بكر بن عبّاد... بن تغلب بن وائل. شاعر إسلامي، مقلّ، مجيد، كان نصرانيًا فأسلم، وضعه الجمحي في الطبقة الثانية من شعراء الإسلام، ووصفه بأنَّه شاعر فحل، رقيق الحواشي. تنظر جمهرة أشعار العرب، 803/2 في مشوبته المشهورة مع مصادر المحقق.

(6) ديوانه، ص2.

(7) ينظر عيون الأخبار، 6/3، وفيه: «وقرأت في كتاب للهند»، والعقد الفريد، 306/2، ويتيمة السلطان، ص159، وبهجة المجالس، 687/2.

(8) هو صالح بن عبد القدوس كما في حماسة البحتري، ص280، أو العتابي كما في عيون الأخبار، 6/3، أو عبد الله ابن المخارق كما في الحماسة البصرية، 43/2.

ولـيـس أخـــي مَـــنْ ودَّنـــي رأي عينه

ولـكـن أخـــي مَـــنْ صــدَّقـتـه المغايبُ[1]

وتقول الحكماء: السكوت أخو الرضى[2]. قال الشاعر[3]:

بـنـي هـــلال ألا فـانـهـوا سـفـيـهكُـمُ

إنَّ الـسـفـيـهَ إذا لـم يُـنْـهَ مأمورُ[4]

وقال الشاعر:

رأيـــت أخـــا الـدنـيـا وإن بـات آمـنًـا

عـلـى سـفـر يُـســرى بـه وهــو لا يـدري

وأصحاب الفقه والحكّام يرون مقاطع الحقوق في ثلاث: يمين، أو محاكمة، أو حجّة. وقد جمع ذلك زهير في قوله:

فـــــإنِّ الـــحـــقَّ مــقــطــعُــهُ ثــلاث

يــمــيــنٌ أو نــفــارٌ أو جــــــلاءُ[5]

وأنشد[6] عمر بن الخطاب – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – هذا البيت، فجعل يعجب من معرفته بمقاطع

---

(1) حماسة البحتري، ص280 لصالح، وهما للعتابي في عيون الأخبار، 6/3، والعقد الفريد، 307/2، وبهجة المجالس، 689/2 باختلاف يسير، وهما بلا نسبة في أمالي القالي، 83/1، ورسالة الصداقة، ص46، ولعبد الله بن المخارق في الحماسة البصرية، 43/2، وينظر فيها المزيد من التخريج.

(2) ينظر التمثيل والمحاضرة، ص40، وفيه أنَّ القائل هو حسان بن ثابت، ومجمع الأمثال، 148/2، وجمهرة الأمثال، 521/1.

(3) هو الأحوص الأنصاري، وقد مرَّت ترجمته.

(4) شعره، ص161، باختلاف يسير.

(5) ديوانه، ص75.

(6) ينظر الشعر والشعراء، 149/1، والبيان والتبيين، 240/1، والعقد الفريد، 281/5، والعمدة، 55/1، والتمثيل والمحاضرة، ص47، ونهاية الأرب، 62/3، وعيون الأخبار، 67/1، وهناك زيادة فيه هي: «... وتفصيله بينها ويقول: لا يخرج الحقّ من إحدى ثلاث: إمّا يمين أو محاكمة أو حجّة».

الحقوق. وأنشد لعبدة بن الطبيب[1]:

....

والعيش شحٌّ وإشفاقٌ وتأميلُ[2]

فجعل يكرّره، ويعجِّبهم من حسن ما قسّم وفصَّل[3].

والله يقول: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ﴾[4]، وقال الشاعر[5]:

ولستَ بمأخوذ بقول تقوله

إذا لم تعمَّد عاقداتِ العزائمِ[6]

وقالت العجم: مَنْ لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه، كان حتفه في أغلب خصال الشرّ عليه[7]. وقال الشاعر[8] في نحوه:

رأيت اللسان على أهله

إذا ساسه الجهلُ ليثًا مغيرا[9]

وفي كتاب الهند: ليس من خصلة هي للغني مدح إلاّ وهي للفقير ذم؛ فإن كان شجاعًا

---

(1) عبدة بن الطبيب شاعر مخضرم من شعراء تميم، أدرك الإسلام، وأسلم، وحسن إسلامه. شارك في فتوح العراق. توفي بعد سنة عشرين للهجرة. تنظر مقدمة شعره المجموع ومصادرها.

(2) ينظر شعره، ص75، وهو عجز بيت وصدره (والمرء ساعٍ لأمر ليس يدركه).

(3) ينظر البيان والتبيين، 240/1، والحيوان، 46/3، وبهجة المجالس، 117/1.

(4) المائدة، 89.

(5) هو الفرزدق.

(6) ديوانه، 307/2، باختلاف يسير.

(7) ينظر البيان والتبيين، 86/1، ونُسب إلى بعض الأولين، وعيون الأخبار، 330/1، والكامل، 104/1، ونُسب إلى أردشير باختلاف.

(8) البيت غير منسوب لشاعر بعينه.

(9) البيت بلا نسبة في عيون الأخبار، 330/1 و178/2، وجمهرة الأمثال، 228/2، والمحاسن والمساوئ، 90/2، وبهجة المجالس، 83/1، وفصل المقال، ص20، ونوادر المخطوطات، ص266.

قيل: أهوج، وإن كان وقورًا قيل: بليد، وإن كان لسِنًا قيل: مهذار، وإن كان زمِّيتًا قيل: عييّ[1]. وقال الشاعر[2]:

ومَــنْ يفتقرْ في قومه يحمدِ الغنى
وإن كان فيهم ماجدَ العمّ مخولا

يمنّون إن أعطوا ويبخلُ بعضُهم
ويُحسب عيًّا سكته إن تجمَّلا

ويــزري بعقل المرء قلّةُ ماله
وإن كان أقوى من رجال وأحولا[3]

ومن حِكَم الشعراء قول الشاعر[4]:

إذا أنتَ جاريتَ السفيه كما جرى
فأنت سفيهٌ مثله غير ذي حلمِ

إذا أمِن الجهّال جهلك مرَّة
فعرضك للجهَّال غُنْمٌ من الغُنْمِ

فلا تقرضَنْ عرض السفيه ودارِه
بحلمٍ، فإن أعيا عليك فبالصَّرمِ

وغَمٍّ عليه الحلمَ والجهلَ والقه
بمرتبة بين العداوةِ والسلمِ

---

(1) ينظر عيون الأخبار، 239/1، ويتيمة السلطان، ص159، والعقد الفريد، 36/3، وبهجة المجالس، 209/1.
(2) هو جابر بن الثعلب الطائي، كما في الحماسة البصرية، 350/1، وشرح الحماسة للتبريزي، 292/1، وسمط اللآلئ، 842/2، وهو شاعر جاهلي، ينظر شعر طيئ وأخبارها، 359/2.
(3) تنظر المصادر السابقة، وشعر طيئ وأخبارها 361/2 باختلاف يسير، وفيه مزيد من التخريج.
(4) هو مروان بن الحكم كما في بهجة المجالس، 623/3، ويبدو أنَّه كان شاعرًا؛ إذ نجد المرزباني يترجم له في معجم الشعراء، ص396.

لـيـرجـوك تـــارات ويـخـشـاك تـارةً

وتــأخــذ فـيـمـا بـيـن ذلــك بـالـحـزمِ

فـإن لـم تـجـد بُــدّاً مـن الـجـهـل فاستعن

عـلـيـه بـجـهّـال فــذاك مـن الـعــزمِ[1]

وقال كثير:

ومَــنْ لا يـغـمِّـض عـينَـه عـن صـديقه

وعــن بعـض مـا فـيـه يـمـت وهـو عـاتـبُ

ومَــنْ يـتَّـبـع مـن صـاحـبٍ كـلَّ عـثـرة

يجدها ولا يسلم لـه الـدَّهـرَ صاحبُ[2]

وأنشد ابن الأعرابي[3]:

أغـمِّـض لـلـصـديق عـن الـمـسـاوي

مـخـافـة أن أعـيـشَ بـلا صديقِ[4]

والسابق إلى هذه: النابغةُ. قال:

ولـسـت بـمـسـتـبـقٍ أخًـا لا تـلـمُّـه

على شعثٍ، أيُّ الـرجـال المهذَّبُ[5]

(1) بهجة المجالس، 623/3، باختلاف.

(2) ديوانه، ص154.

(3) البيت لأبي زبيد الطائي كما في رسالة الصداقة والصديق، ص19، وهو حرملة بن المنذر بن معدي كرب بن حنظلة ابن النعمان...، شاعر جاهلي قديم من طيئ، كان نصرانيًا وأدرك الإسلام، وفي إسلامه أقوال. من فنونه الوصف والرثاء. تنظر مقدّمة شعره مع مصادرها، وينظر البرهان، ص286.

(4) ديوانه، ص125، باختلاف.

(5) ديوانه، ص56.

وقال سويد بن الصامت[1]:

ألا رُبَّ مَنْ تدعو صديقًا ولو ترى

مقالتَه بالغيب ساءك ما يفري

مقالته كالشهد ما كنت شاهدًا

وبالغيب مأثور على ثغرة النَّحرِ

تُبين لك العينان ما هو كاتمٌ

وما جنَّ للبغضاء بالنظر الشزْرِ

فَرِشني بخير طالما قد بريتني

وخيرُ الموالي مَنْ يريش ولا يبري[2]

وقال رجل من غطفان[3]:

إذا أنت لم تستبقِ ودَّ صحابةٍ

على دَخَنٍ أكثرت ردَّ المعايبِ

وإنِّي لأستبقي امرأ السوء عدَّةً

لعدوةِ عرِّيضٍ من الناس عائبِ

---

(1) سويد بن الصامت بن حارثة بن عدي بن قيس بن زيد بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج الأنصاري، صحابيٌّ من الذين شهدوا غزوة أحد، وهو شاعر مقلّ، تنظر الإصابة، 99/2، رقم (3599)، وفي طبقات ابن سعد، 552/3 ذكر لرجل اسمه سويد بن الصامت قُتل في الجاهلية فهيّج قتله وقعة بعاث، وفي الأوائل للعسكري، 194/1 أنّ المجذر ابن زياد قتل سويد بن الصامت في الجاهلية، ثم أسلم. وينظر البرصان للجاحظ، ص346.

(2) الأبيات منسوبة إلى سويد باختلاف يسير في عيون الأخبار، 81/3، وأمالي القالي، 198/2، والبيان والتبيين، 66/4، وبهجة المجالس، 686/2، ورسالة الصداقة والصديق، ص97، والثالث وحده بلا نسبة في جمهرة الأمثال، 550/1، والرابع وحده بلا نسبة في الفصول والغايات، ص363، وهي منسوبة إلى عمير بن حباب في لسان العرب، 208/5.

(3) نُسبت الأبيات إلى النعمان بن حنظلة العبدي في حماسة البحتري، ص249، وإلى رجل من بني عبد الله بن غطفان في الحيوان، 368/1، وإلى ابن دارة في رسالة الصداقة والصديق، ص266.

أخـــاف كـــلاب الأبــعــديــن ونـبـحـهـا

إذا لــم تـجـاوبـهـا كـــلابُ الأقــــاربِ[1]

وقال النعمان بن بشير[2]:

وإنِّـــي لأعـطـي الـمـال مَــنْ لـيـس سـائـلاً

وأدرك لـلـمـولـى الـمـعـانـد بـالـظـلـمِ

وإنِّـــي مـتـى مـا يـلْـقَـنـي صــارمًـا لـه

فـمـا بـيـنـنـا عـنـد الـشـدائـد مـن صـرمِ

فـلا تـعـدد الـمـولـى شـريـكـك فـي الغنى

ولـكـنَّـمـا الـمـولـى شـريـكـك فـي الـغُـرمِ

إذا مَـــتَّ ذو الـقُـربـى إلـيـك بـرحـمـه

وغـشَّــك واسـتـغـنـى فـلـيـس بـذي رحـمِ

ولـكـنَّ ذا الـقُـربـى الـــذي يـسـتـخـفُّـه

أذاك ومَــنْ يـرمـي الـعـدوَّ الـذي ترمي[3]

وقال كعب بن زهير:

ولـيـس لـمَـنْ لـم يـركـب الـهـولَ بغيةٌ

ولـيــس لــرجْــلٍ حـطَّـهـا الله حـامـلُ

---

(1) حماسة البحتري، ص249، والحيوان، 368/1، والصداقة والصديق، ص266، باختلاف يسير.

(2) النعمان بن بشير الأنصاري أول مولود يولد للأنصار بعد الهجرة، توفي رسول الله ﷺ وهو ابن ثماني سنين. شاعر معروف، بيته من بيوتات الشعر المعرقة. شارك في الأحداث السياسية في العصرين الإسلامي والأموي، وله فيها شعر كثير. قُتل سنة أربع وستّين للهجرة. تنظر مقدّمة شعره مع مصادرها.

(3) شعره، ص159–160.

إذا أنت لم تُقصر عن الجهل والخنا

أصبت لبيبًا أو أصابك جاهلُ[1]

وقال آخر:

ترى الشيء ممّا تتّقي فتخافه

وما لا يُرى ممّا يقي الله أكثرُ

وقال إياس بن قتادة[2]:

تعاقبُ أيدينا ويحلم رأينا

ونشتم بالأفعال لا بالتكلُّمِ[3]

وقال:

إنّي امرؤٌ يذبُّ عن حريمي

حلمي وتركي اللوم للئيمِ

والحلم أحمى من يد الظلومِ[4]

ونحوه قال الأحنف: وجدت الحلم أنصر لي من الرجال[5]. وقال امرؤ القيس:

فإنَّك لم يفخر عليك كفاخر

ضعيف ولم يغلبك مثل مغلَّبِ[6]

---

(1) شرح ديوانه، ص257، باختلاف يسير.

(2) إياس بن قتادة بن أوفى بن مؤلة بن عتيبة بن عميرة بن مُلادس بن عبشمس، فارس شجاع، ابن أخت الأحنف، حمل ديات الأزد أيام حرب مسعود. ينظر جمهرة أنساب العرب، ص215.

(3) في الحماسة البصرية، 30/1، والممتع، ص350 نسب إلى معبد بن علقمة؛ وهو شاعر جاهلي، وينظر التخريج هناك. وهو بلا نسبة في عيون الأخبار، 286/1و178/2.

(4) بلا نسبة في عيون الأخبار، 286/1، وفيه: (والعِلم) بدل (والحلم) وفي الهامش: «كذا في الأصول، ولعلّه: والحلم».

(5) ينظر عيون الأخبار، 286/1.

(6) ديوانه، ص99.

وقال سويد[1]:

إنّـــي إذا مــا الأمـــر بـيّــن شـكُّـه

وبـــدت بـصـــائـرُه لـمــن يـتــأمَّــلُ

أدع الـتــي هــي أرفـــق الــحــالات بي

عـنـد الـحـفـيـظـة لـلـتـي هـي أجملُ[2]

وقال زهير:

الــســتــرُ دون الـفـاحــشــات ولا

يـلـقـاك دون الـخـيـر مــن سترِ[3]

وقال حسّان أو ابنه:

وإنَّ امـــرأً يـمـسـي ويـصـبـح سـالـمًا

مـن الـنـاس إلاّ مـا جـنـى لـسـعـيـدُ[4]

وقال الفرزدق:

تـصـــرَّم عـنّـي ودُّ بـكـر بـن وائــل

ومـــا خـلــتُ عـنّـي ودَّهـــم يـتـصــرَّمُ

قـــوارصُــس تـأتـيــنـي ويـحـتـقـرونـهـا

وقـد يـمـلأ الـقـطـرُ الإنـــاءُ فيفعمُ[5]

---

(1) هو سويد المراثد الحارثي، ويقال له سويد المراثي. شاعر مقلّ تغلب على شعره الحكمة، ينظر البيان والتبيين، 186/2، وشرح التبريزي للحماسة، 320/2.

(2) ينظر البيان والتبيين، 241/3، وعيون الأخبار، 289/1، منسوبان إليه.

(3) ديوانه، ص95.

(4) ديوان حسّان، 414/1، وفيه عرض شامل لتنازع البيت بين حسّان وابنه.

(5) ديوانه، 195/2، باختلاف يسير.

وقال كثيّر، وذكر النساء وسياسته لهنَّ:

يحاذرن منّي غيرةً قد علمنها

قديمًا فما يضحكن إلاّ تبسُّما

تراهنَّ إلاّ أن يؤدِّين نظرةً

بمؤخر عين أو يقلِّبن معصما

كواظم ما ينطقن إلاّ محورةً

رجيعة قولٍ بعد أن تتفهَّما

وكُنَّ إذا ما قُلنَ شيئًا يسرُّه

أسرّ الرّضى في نفسِه وتجرَّما[1]

وقال القطامي[2]:

ومعصية الشفيق عليك ممَّا

يزيدك مرَّة منه استماعا

وخير الأمر ما استقبلت منه

وليس بأن تتبّعه اتباعا

كذاك وما رأيت الناس إلاّ

إلى ما جرَّ غاويهم سراعا

تراهم يغمزون مَنْ استركُّوا

ويجتنبون مَنْ صدق المصاعا[3]

(1) ديوانه، ص136، كواظم: صامتات. المحورة: الجواب. رجيعة قول: ردًا على قول. التجرّم: ادعاء الجرم دون أن يكون حاصلاً.

(2) مرَّت ترجمته.

(3) ديوانه، ص39.

الحكمة في منثور كلام العرب ومسجعه:

قال أكثم بن صيفي: تباعدوا في الديار تقاربوا في المودَّة[1].

وكتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى: مُر ذوي القرابات أن يتزاوروا، ولا يتجاوروا[2].

وقيل لأعرابي: ما تقول في ابن عمِّك؟ قال: عدوّك وعدوُّ عدوِّك.

وقال معاوية: ما رأيت شرفًا قطّ إلاّ وإلى جانبه حق مضيَّع[3].

وقال عمرو بن العاص: ليس العاقل الذي يعرف الخير من الشرّ، ولكنَّه يعرف خير الشرّين[4].

وقال زياد: ليس العاقل الذي يحتال للأمر إذا وقع فيه، ولكنَّ العاقل الذي يحتال للأمر ألا يقع فيه[5].

وقال أكثم بن صيفي لقوم أرادوا محاربة قوم: أقلّوا الخلاف على أمرائكم، واعلموا أنَّ كثرة الصياح من الفشل، والمرء يعجز لا المحالة، تلبّثوا فإنَّ أحزم الفريقين الركين، ورُبَّ عجلة تهب ريثًا، وابرزوا للحرب، وادَّرعوا الليل فإنَّه أخفى للويل، ولا جماعة لمن اختلف[6].

وقال أبجر بن جابر لابنه: إذا قدمنا المصر فاستكثر من الصديق، فأمّا العدوّ فلا يهمّنّك، وإيّاك والخُطَب فإنّها مشوار كثير العثار[7].

---

(1) ينظر البيان والتبيين، 70/2، وعيون الأخبار، 88/3، والعقد الفريد، 326/2و77/3و103.

(2) ينظر عيون الأخبار، 88/3، ومجمع الأمثال، 266/1، والتمثيل والمحاضرة، ص29، والعقد الفريد، 326/2، و103/3، وبهجة المجالس، 281/1.

(3) ينظر البيان والتبيين، 367/3، وعيون الأخبار، 332/1، وزهر الآداب، 53/1.

(4) ينظر عيون الأخبار، 280/1، والعقد الفريد، 246/2، والتمثيل والمحاضرة، ص31، وجمهرة الأمثال، 68/1، وبهجة المجالس، 535/2.

(5) ينظر عيون الأخبار، 280/1، والعقد الفريد، 241/2.

(6) ينظر عن هذه الأقوال المعمّرون والوصايا، ص16، وعيون الأخبار، 108/1، والعقد الفريد، 97/1، ونثر الدر، 392/6، وشرح نهج البلاغة، 543/4، وجمهرة الأمثال، 493/1، ونهاية الأرب، 8/6.

(7) ينظر المعمرون والوصايا، ص139، وفيه (النشوار) بدل (المشوار) وعلّق المحقّق بقوله: «والنشوار: ما تبقيه الدابة من علفها، والمراد أنَّ الخطب فيها فضل كلام لا يؤمن الصواب فيه فيعثر اللسان»، وهو تأويل بعيد، وفي جمهرة الأمثال، 187/1: «الخطبة مشوار كثير العثار»، وقول أبجر في غريب الحديث، 558/1، ولسان العرب، 436/4، ويفسّران المشوار بأنَّه المكان الذي تعرض فيه الدواب، أي أنَّ الخطيب يعرض عقله في الخطبة، وربّما أخطأ، وهو أليق بالسياق.

وقال أكثم: الانقباض مكسبة العداوة، وإفراط الأنس مكسبة لقرناء السوء[1].

وقال أعرابي: الله يخلف ما أتلف الناس، والدّهر يُتلف ما جمعوا. وكم من منيَّة علقها طالب الحياة، وحياة سببها التعرّض للموت[2].

وقال أبو بكر – رَحِمَهُ اللَّهُ – لخالد بن الوليد: احرص على الموت توهب لك الحياة[3].

والعرب تقول: اشتدّي تنفرجي[4]. العدم عدم العقل[5]. السخاء وشك البذل. بقاء المودَّة التعّهد[6]. إن يثقل الشكر فلا تخف الكفر. من التواني والعجز نتجت الفاقة[7]. عيّ الصمت أحمد من عُسر النطق[8]. كثير النُّصح يهجم على كثير الظنّة[9]. لكلِّ ساقطة لاقطة[10]. من مأمنه يؤتى الحذر[11]. اسْعِ بجد أو دع[12]. جدُّك لا كدُّك[13]. سيّد القوم

---

(1) ينظر عيون الأخبار، 329/1، والأمثال، ص220، ومجمع الأمثال، 503/2، ونثر الدر، 176/4، والمعمرون والوصايا، ص23، وجمهرة الأمثال، 495/1، وبهجة المجالس، 674/2و192/3، والتمثيل والمحاضرة، ص36.

(2) ينظر عيون الأخبار، 126/1.

(3) ينظر رسائل الجاحظ، 377/2، وعيون الأخبار، 125/1و126، وغريب الحديث، 328/2، والعقد الفريد، 21/1 و100، ونهاية الأرب، 224/3.

(4) ينظر عيون الأخبار، 23/1، وجمهرة الأمثال، 81/2، ومجمع الأمثال، 218/1، ونثر الدرّ، 190/1، ونهاية الأرب، 3/3.

(5) ينظر الفاخر، ص263، ومجمع الأمثال، 96/3.

(6) ينظر الفاخر، ص263، ومجمع الأمثال، 96/3، والوسيط، ص149.

(7) ينظر الفاخر، ص263، والمستقصى، 349/2، ومجمع الأمثال، 333/3، والأمثال، ص200، والعقد الفريد، 108/3، والوسيط، ص149، وبهجة المجالس، 193/3.

(8) ينظر الأمثال، ص44، والمستقصى، 349/2، ومجمع الأمثال، 355/2، وأدب الخواص، ص75، وجمهرة الأمثال، 494/1.

(9) ينظر جمهرة الأمثال، 495/1 و121و161و495/2، والمستقصى، 215/2، والفاخر، ص263، ومجمع الأمثال، 116/1، والكامل، 1502/3، والوسيط، ص146.

(10) ينظر الأمثال، ص41، وفصل المقال، ص23، ومجمع الأمثال، 115/3، والمستقصى، 292/2، والفاخر، ص109، وأدب الكاتب، ص58، والحيوان، 201/1، والعقد الفريد، 80/3، والزاهر، 350/1.

(11) ينظر الأمثال، ص327، وجمهرة الأمثال، 271/2، ومجمع الأمثال، 329/3، والمستقصى، 352/2، والعقد الفريد، 77/3.

(12) ينظر جمهرة الأمثال، 129/1، وفصل المقال، ص284، والمستقصى، 168/1، والأمثال، ص193، وديوان المعاني، 247/2، والوسيط، ص57، وبهجة المجالس، 193/3.

(13) ينظر مجمع الأمثال، 306/1، وفصل المقال، ص285، والفاخر، ص252، والأمثال، ص193، والوسيط، ص77، وبهجة المجالس، 186/1، 193/3، وجمهرة الأمثال، 302/1.

أسبقهم فكُنْه. رُبَّ قول أنفذ من صول[1]. لا تَبُل على أكمة، ولا تُفش سرًا إلى أمة[2]. مقتل الرجل بين التقدّم قبل التندّم[3]. لم يذهب من مالك ما وعظك[4].

مَنْ حفظ ماله حفظ الأكرمين[5]. قتل أرضًا عالمها، قتلت أرضٌ جاهلها[6]. لا يُرحَّل رحلك مَنْ ليس معك[7]. منك مَنْ أعتبك[8]. الدالُّ على الخير كفاعله[9]. قلّ ابن ذلّ[10]. الحرُّ حرٌّ وإن مسَّه الضرّ، والعبد عبد وإن كان في رغد[11]. ليس من العدل سرعة العذل[12]. المسألة آخر كسب المرء[13]. الحليم مطيّة الجهول[14]. مَنْ سلك الجَدَد أمن العثار[15]. آخِ كريمًا أو دعْ.

---

(1) ينظر الأمثال، ص41، والمحاسن، والمساوئ، 90/2، وفصل المقال، ص23، ومجمع الأمثال، 29/2، وجمهرة الأمثال، 476/1و92/2، وأدب الخواص، ص64، والممتع، ص283، والعقد الفريد، 12/2و78/3، والمستقصى، 98/2، والفاخر، ص265.

(2) ينظر جمهرة الأمثال، 378/2، والفاخر، ص264، والمستقصى، 257/2، والتمثيل والمحاضرة، ص323، ومجمع الأمثال، 156/3، والأمثال، ص57و85، والعقد الفريد، 84/3، والمعمرون والوصايا، ص15.

(3) ينظر الفاخر، ص264، ومجمع الأمثال، 239/1.

(4) ينظر العقد الفريد، 107/3، والمستقصى، 295/2، ومجمع الأمثال، 277/3، والأمثال، ص194، والأمالي، 116/1، وبهجة المجالس، 188/3.

(5) ينظر عيون الأخبار، 244/1، والأكرمان: الدين و العِرض.

(6) ينظر مجمع الأمثال، 504/2، والأمثال، ص205، والمستقصى، 188/2، وجمهرة الأمثال، 121/2، والعقد الفريد، 80/3، وبهجة المجالس، 189/3.

(7) ينظر جمهرة الأمثال، 396/2، والمستقصى، 269/2، والأمثال، ص253، والعقد الفريد، 127/3، والأمالي، 132/1.

(8) ينظر المعمرون والوصايا، ص17.

(9) ينظر جمهرة الأمثال، 494/1، وعيون الأخبار، 245/3، والوسيط، ص49، والمعمرون والوصايا، ص18، والعقد الفريد، 79/3، والمستقصى ، 317/1، ومجمع الأمثال، 471/1، والفاخر، ص143، ونهاية الأرب، 3/3، ونثر الدرّ، 161/1.

(10) قريب منه في جمهرة الأمثال، 466/1و495و235/2.

(11) ينظر مجمع الأمثال، 369/1، والفاخر، ص265، وجمهرة الأمثال، 92/2، وتمثال الأمثال، 295/1، والعقد الفريد، 78/3، والتمثيل والمحاضرة، ص221، وبهجة المجالس، 792/2.

(12) ينظر الأمثال، ص267، وجمهرة الأمثال، 92/2و192، ونهاية الأرب، 49/3، والمستقصى، 308/2، ومجمع الأمثال، 199/3، والبخلاء، ص187، والعقد الفريد، 142/2و78/3و129.

(13) ينظر الأمثال، ص287، ومجمع الأمثال، 278/3، والمستقصى، 346/1، وفصل المقال، ص407، وعيون الأخبار، 190/3، والمعمرون والوصايا، ص135.

(14) ينظر مجمع الأمثال، 375/1، والمستقصى، 313/1، والعقد الفريد، 104/3، وعيون الأخبار، 284/1، والأمثال، ص150، وديوان المعاني، 133/1، وجمهرة الأمثال، 351/1، وبهجة المجالس، 618/2، وسرح العيون، ص33.

(15) ينظر الأمثال، ص218، وجمهرة الأمثال، 256/2، ومجمع الأمثال، 320/3، والمستقصى 356/2، وفصل المقال، ص315، والعقد الفريد، 111/3، ونهاية الأرب، 52/3.

يد تشجّ وأخرى تأسو[1]. حسبك من شرّ سماعه[2]. تذكّر قبل الورود الصَّدر. كفى بالمـرء عارًا أن يُنســب إلى أمِّه[3]. شرُّ النصـرة التعـدّي. أسـر ع الذنوب عقوبة البغي[4]. [ ][5] الرفد لا النعم. اليأس عون على الصَّبر. مَنْ يئس من شيء استغنى عنه[6]. الاستطالة تهدم الصنيعة. القدرة تُذهب الحفيظة[7]. الصبر من أسباب الظفر[8]. لا يغني الحذر من قدَر[9]. استقبال الموت خير من استدباره. الكلام مصائد القلوب. خير الحفظ ما كان فـي المغيـب. فَقْد الأحبة غربة[10]. تطأطأ لها تخطك[11]. أحقُّ مَنْ أعطيت مَنْ إن سألته لم يمنعك. الاجتمـا ع حصـن. الفقر في الوطن غربة[12]. الغنى في الغربة وطن[13].

الشر يبد[ؤه][14] صغاره[15]. كم مطرٍ بدؤه مطير. الحلال يقطر والحرام يسيل[16]، ومثله قول الشاعر:

إنَّ الــحـــرام غـــزيـــرةٌ حـلـبـاتـه

ورأيــــت حـالـبـة الـحـلال [ ][17]

---

(1) ينظر الأمثال، ص52 و304، وفصل المقال، ص47، ومجمع الأمثال، 521/3، والمستقصى، 411/2، والعقد الفريد، 83/3، والمحاسن والمساوئ، 214/2، ونهاية الأرب، 60/3.

(2) ينظر جمهرة الأمثال، 344/1 و265/2، ومجمع الأمثال، 345/1، والمستقصى، 62/1، والتمثيل والمحاضرة، ص327، والأمثال، ص72، والعقد الفريد، 444/2، والمعمرون والوصايا، ص17، ونهاية الأرب، 26/3.

(3) ينظر المعمرون والوصايا، ص17.

(4) ينظر مجمع الأمثال، 191/1 بلفظ قريب.

(5) ما بين المعقوفين كلمة غير مقروءة، ولعلّها (يسير).

(6) ينظر شرح نهج البلاغة، 159/3.

(7) ينظر مجمع الأمثال، 20/1، والمستقصى، 349/1، والأمثال، ص155، والعقد الفريد، 156/2، وديوان المعاني، 221/1، وعيون الأخبار، 103/1و288.

(8) ينظر مجمع الأمثال، 272/1، والعقد الفريد، 34/3، ونسبه إلى أرسطو.

(9) ينظر جمهرة الأمثال، 181/1، ومجمع الأمثال، 103/1، والعقد الفريد، 119/3.

(10) ينظر المستقصى، 181/2، ومجمع الأمثال، 460/2.

(11) ينظر مجمع الأمثال، 239/1، والمستقصى، 29/2، وعيون الأخبار، 291/1.

(12) ينظر التمثيل والمحاضرة، ص392، وعيون الأخبار، 245/1.

(13) ينظر التمثيل والمحاضرة، ص392، وعيون الأخبار، 245/1، والعقد الفريد، 79/3.

(14) ما بين المعقوفين غير مقروء في المخطوط، والزيادة من المصادر القادمة.

(15) ينظر فصل المقال، ص232، والمستقصى، 326/1، ومجمع الأمثال، 162/2، وجمهرة الأمثال، 550/1، والتمثيل والمحاضرة، ص327، والأمثال، ص152، والمعمّرون والوصايا، ص18.

(16) ينظر بهجة المجالس، 144/1.

(17) ما بين المعقوفين كلمة غير مقروءة.

ترك الذنب أيسر من طلب التوبة[1]. عداوة العاقل خير من صداقة الأحمق[2]. من البلاء أن تعنَّى بحظ غيرك. مَنْ غلب شهوته [ ][3].

مَنْ غلب هواه فهو الرجل. الولوع بالشر ظفرٌ به. المرء بأصغريه[4]. خير مالك ما وقاك، وشرّه ما وقيته. مَنْ حقر حُرم[5]. كلُّ ما هو آت قريب[6]. أولى الأمور بالنُجح المواظبة[7]. حفظ ما في الوعاء شدُّ الوكاء[8]. تلافيك ما فاتك في صمتك أيسر من إدراكك ما فرط في منطقك. حفظ ما في يدك خير من طلبك ما في يد غيرك[9]. ظلم الضعيف أفحش الظلم[10]. من أسباب الحرمان التواني[11]. من حلم ساد، ومَنْ تفهَّم ازداد[12]. إن كنت جازعًا على ما تلف من يديك، فاجزع على ما لم يصل إليك. الشفيق بسوء الظن مولع[13]. أخِّر الشرَّ فإنَّك إذا شئت تعجَّلته. من الكرم منع الحرم[14]. ما أحقُّ مَنْ غدر بألّا يوفى له[15]. زلَّة المتوقّي أشدُّ زلَّة[16]. علَّة الكذوب أقبح علَّة[17]. الاقتصاد يثمر اليسار. ما عال مَنْ اقتصد[18].

---

(1) ينظر مجمع الأمثال، 214/1، والمستقصى، 24/2، والأمثال، ص64، و العقد الفريد، 86/3، والوسيط في الأمثال، ص87.

(2) ينظر الأمثال، ص125، والمستقصى، 346/2، وفصل المقال، ص187.

(3) ما بين المعقوفين كلمة غير مقروءة.

(4) ينظر مجمع الأمثال، 301/3، والمستقصى، 345/1، والتمثيل والمحاضرة، ص306.

(5) ينظر المستقصى، 355/2، والوسيط، ص165، وعيون الأخبار، 178/3، وجمهرة الأمثال، 249/2.

(6) ينظر فصل المقال، ص329.

(7) ينظر مجمع الأمثال، 446/3.

(8) ينظر مجمع الأمثال، 367/1، والمستقصى، 68/1، والتمثيل والمحاضرة، ص304، والوكاء: كلّ سير أو خيط يُشدّ به فم السقاء أو الإناء.

(9) ينظر بهجة المجالس، 195/3.

(10) ينظر التمثيل والمحاضرة، ص452 باختلاف يسير.

(11) ينظر بهجة المجالس، 195/3.

(12) ينظر عيون الأخبار، 282/1، والعقد الفريد، 283/2، و480، وبهجة المجالس، 195/3.

(13) ينظر مجمع الأمثال، 17/1، وجمهرة الأمثال، 71/1و555، والأمثال، ص184، ونهاية الأرب، 15/3.

(14) ينظر العقد الفريد، 77/3و104، وبهجة المجالس، 196/3.

(15) ينظر مجمع الأمثال، 235/1 باختلاف، والمستقصى، 351/2، والتمثيل والمحاضرة، ص37.

(16) ينظر بهجة المجالس، 196/3.

(17) ينظر عيون الأخبار، 26/2.

(18) ينظر عيون الأخبار، 26/2.

لا خير في لذَّة تعقب ندمًا. المزاح يورث الضغائن[1]. إذا تغيّر السلطان تغيّر الزمان[2]. الرفيق قبل الطريق[3]. الجار ثمّ الدار[4]. الخير عادة والشرُّ لجاجة[5]. الحقُّ أبلج والباطل لَجْلَج[6].

فهذا ما للعرب من العلوم قد دللنا عليه بقليل ما ذكرنا منه، وهو لهم خالص لا يُنازعونه، ولا يدَّعي أحد من الأمم أنَّهم أخذوا شيئًا من ذلك عنه.

وكلُّ ما يعلمه أهل فارس[7] فهم له متعلِّمون، وفيه لغيرهم متبِّعون، ولأعقاب الأمم واطئون.

فإن نحن سألنا عن قدماء الأطباء دُللنا على أبقراط[8]، وجالينوس[9]، وإن سألنا عن أوّل علم النجوم والحساب دُللنا على كتاب إقليدس[10]، وكتاب المجسطي[11]. وإن سألنا عن

(1) ينظر التمثيل والمحاضرة، ص27، وفيه أنّ هذا القول من سائر أمثال رسول الله ﷺ وحكمه، وينظر ص428، ومجمع الزوائد، 96/8، ونثر الدر، 162/1، وبهجة المجالس، 215/1، وعيون الأخبار، 331/1.

(2) ينظر المستقصى، 452/1، ومجمع الأمثال، 286/3.

(3) ينظر التمثيل والمحاضرة، ص131.

(4) ينظر مجمع الأمثال، 52/2، وجمهرة الأمثال، 219/1، والمستقصى، 323/1، والأمثال، ص77.

(5) ينظر التمثيل والمحاضرة، ص28و326، والأمثال، ص169، ونثر الدرّ، 161/1، وفيه أنَّه حديث، وخرّجه المحقق من سنن ابن ماجة، 49/1، وبهجة المجالس، 113/3، وعيون الأخبار، 157/3، وفيه أنّه حديث.

(6) ينظر مجمع الأمثال، 397/1، والتمثيل والمحاضرة، ص328، وجمهرة الأمثال، 364/1، وبهجة المجالس، 196/3، ونهاية الأرب، 15/3.

(7) يقول العسكري: «... وقد اتفقت العرب والفرس في جميع أمثالها إلاّ في هذا المثل»، ويسوق مثلاً واحدًا هو: جاور بحرًا أو ملكًا. ينظر جمهرة الأمثال، 301/1.

(8) أبقراط: أو بقراط بن إيراقلس، سيد الطبيعيّن في عصره، له في الطبّ تآليف مشهورة في جميع أنحاء العالم، كان فاضلاً متديّنًا يعالج المرضى احتسابًا، كان في زمن أردشير، ودعاه إلى معالجته فأبى وامتنع. من كتبه: عهد بقراط، وكتاب الفصول، وكتاب الأمراض الحادّة، وغيرها، وهي مترجمة إلى العربية، ينظر تاريخ الحكماء، ص90، وما بعدها، وعيون الأنباء، ص43، وما بعدها.

(9) جالينوس: إمام الأطباء في عصره، ومؤلف الكتب الجليلة في صناعة الطبّ التي زادت على مئة كتاب، وهو من أهل مدينة فرغاموس في أرض اليونان. من كتبه: التشريح الكبير، تعرّف علل الأعضاء، حركات الصدر والرئة، وغيرها، وكثير منها ما هو مترجم إلى العربية، ينظر تاريخ الحكماء، ص122، وما بعدها، وعيون الأنباء، ص109، وما بعدها.

(10) إقليدس: بن نوقطرس بن برنيقس، المظهر للهندسة المبرّز فيها، حكيم قديم العهد، يوناني الجنس، شامي الديار، من كتبه في الهندسة والحساب: كتاب الأركان، وكتاب اختلاف المناظر، وكتاب الثقل والخفّة، وغيرها، ينظر تاريخ الحكماء، ص62، وما بعدها.

(11) المجسطي: من أهمّ الكتب الفلكية، وهو ذو تأثير على تقدّم الفلك عند العرب، وفي أوروبا في القرون الوسطى، كتبه عالم الإسكندرية بطليموس، وترجم إلى اللغة العربية. ينظر تفصيل ذلك في الموسوعة العربية، ص1648.

حدِّ المنطق دُللنا على كتاب أرسطوطاليس. وإن سألنا عن علم اللحون دُللنا على كتاب الموسيقا[1]، وهذا كلُّه للروم، واليونان، وليس لأهل فارس فيه إلاّ ما لغيرهم من القابسين المستفيدين. وللروم الفلاحة، وللهند الشطرنج، وكتاب كليلة ودمنة، والحساب بالحروف التسعة[2]، ولهم طبٌّ قديم صحيح عن استنباط يخالفون في كثير منه اليونانيين.

ومن الدليل على ذلك ما أقرَّ به أهل فارس على أنفسهم في كتاب سير ملوكهم، فإنَّهم ذكروا أنَّ سابور[3] لمّا أسنَّ، وكلَّ بصره، ووهنت قواه، شكا إلى أهل مملكته الضّعف عن سياستهم، وأمرهم بالتماس مَنْ يضطلع بأمورهم، فأكبروا ذلك، وقطعوا به، وسألوه الإذن لهم في طلب الأطباء له فأذن لهم، فأرسلوا إلى ملك الهند رسولاً، وبعثوا إليه بهدّية عظيمة، وسألوه أن يبعث إليهم طبيبًا من أفاضل مَنْ عنده ففعل، فلم يزل يعالجه حتى اشتدَّ عصبه، وانبسط جلده، وارتدَّ بصره، وركب للصيد، وهشَّ للنساء. فأحسن مكافأة الطبيب، وأمره أن يتخيَّر أحبَّ المواضع إليه من مملكته لينزله، فاختار السوس[4] فسكنها، فورث طبَّه أهل السوس[5].

قالوا: وقد كان أيضًا أسكن السوس سبْيًا من سبي الروم فتعلّموا منه الطبَّ، فصار أهل السوس أطباء أهل فارس. وهذا خبر صادق؛ لأنَّا نجد في جامع الطبِّ المعمول بالسوس أخلاطًا هندية، وأخلاطًا رومية. فإن ادُّعيَ أنَّ الاسكندر لمّا دخل أرض فارس، وقتل فيها، وسبى، وأخرب، نقل كتب علومهم إلى الروم، وترجمها بلسانه، وأحرق أصولها التي كانت عندهم فصارت علومهم للروم[6]. قلنا: خبركم هو إقرار على أنفسكم يُقبل فيه قولكم،

---

(1) لعلَّ ابن قتيبة يريد به كتاب الموسيقا لنيكوماخوس، أو كتاب الموسيقى لفيثاغورس، وترجم الكتابان إلى العربية منذ وقت مبكر. ينظر تاريخ الموسيقا العربية، ص180.

(2) ينظر تفصيل هذا الحساب في مفاتيح العلوم، ص208.

(3) هو سابور ذو الأكتاف بن هرمز، أحد الأكاسرة الأقوياء، شبّ ذكيًا فطنًا، كانت له وقائع كثيرة مع بعض القبائل العربية؛ مثل عبد القيس، وتميم، وبكر، وتغلب. ملك اثنتين وسبعين سنة، ينظر المعارف، ص656، وتاريخ الطبري، 55/2.

(4) السوس: بلدة بخوزستان فيها قبر النبي دانيال. يقال إنَّ أوّل سور وضع في الأرض بعد الطوفان سور السوس وتستر، وأول مَنْ حفر نهرها، وبنى كُورَها: أردشير بن بهمن. ينظر معجم البلدان، 319/3، ومعجم ما استعجم، 767/3.

(5) ينظر المعارف، ص658 ففيه هذا الخبر، وتاريخ الطبري، 61/2.

(6) ينظر تفصيل ذلك في عيون الأنباء، ص18، وفيه حديث إحراق الكتب.

وخبركم الثاني دعوى لما في أيدي غيركم، تحتاجون معه إلى إقرار الروم لكم به، وإحضار بيّنة وبرهان.

تمَّ كتاب العرب وعلومها والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين[1]

وحسبنا الله ونعم المعين

وفرغ من كتبه لنفسه هبة الله المكنى أبا الفتوح بن يوسف بن خمرتاش

في شهر ربيع الأول من سنة تسع وثمانين وخمسمئة

وهو حامل كفَّه، شاكر له

مُصَلٍّ على رسوله المصطفى، ونبيّه المجتبى، وعلى آله الطاهرين

غفر الله لمن دعا له بالمغفرة وكافّة المسلمين. آمين آمين[2]

(1) في الهامش قريباً من هذا الموضع: ختم الكتبخانة الخديوية المصرية.

(2) وفي الهامش الأيمن ما نصُّه: «قوبل وصُحّح معارضة بالأصل، ولله الحمد والمنّة» وفي آخر النسخة بخطّ مغاير حديث ما نصّه: «جامعة الدول العربية. الإدارة الثقافية. آخر النسخة. تمت تصويرًا بدار الكتب المصرية في يوم الثلاثاء 26 من محرّم الحرام 1367هـ الموافق 9 من ديسمبر 1947م».

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث

فهرس الشعر

فهرس أنصاف الأبيات

فهرس الأمــثــال

فهرس الأعـــلام

فهرس الطوائف والقبائل والأمم

فهرس الأماكن

المصادر والمراجع

1 – الآثار الباقية من القرون الخالية. أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي. باعتناء س. ادوارد ساك. لايبزج، سنة 1923.

2 – ابن قتيبة. د. إسحاق موسى الحسيني. ترجمة د. هاشم ياغي. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. الطبعة الأولى. سنة 1980.

3 – ابن قتيبة. د. محمد زغلول سلام. دار المعارف بمصر. القاهرة. سنة 1965.

4 – ابن قتيبة العالِم الناقد الأديب. د. عبد الحميد سند الجندي. المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر. القاهرة. سنة 1963.

5 – ابن قتيبة والشعوبية. د. عبد الله الجبوري. وزارة الثقافة والإعلام. بغداد. سنة 1990.

6 – الأجوبة المسكتة. ابن أبي عون الكاتب. تحقيق ودراسة د. محمد عبد القادر أحمد. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة. سنة 1985.

7 – أخبار الدولة العباسية. مؤلف مجهول. تحقيق الدكتور عبد العزيز الدوري والدكتور عبد الجبار المطلبي. دار الطليعة للطباعة والنشر. بيروت. سنة 1971.

8 – الأخبار الطوال. أبو حنيفة الدينوري. تحقيق عبد المنعم عامر. وزارة الثقافة والإرشاد القومي. القاهرة. الطبعة الأولى. سنة 1960.

9 – الأخبار الموفقيات. الزبير بن بكار. تحقيق د. سامي مكي العاني. رئاسة ديوان الأوقاف. الجمهورية العراقية. مطبعة العاني. بغداد. سنة 1972.

10 – اختيار من كتاب الممتع. عبد الكريم النهشلي، تقديم وتحقيق د. منجي الكعبي. الدار العربية للكتاب. ليبيا. تونس. سنة 1978.

11 – أدب الخواص. الوزير المغربي. أعدَّه للنشر حمد الجاسر. من منشورات النادي الأدبي في الرياض. المملكة العربية السعودية. سنة 1980.

12 – أدب الكاتب. ابن قتيبة الدينوري. حقَّقه وعلَّق حواشيه ووضع فهارسه محمد الدالي. مؤسسة الرسالة. بيروت. الطبعة الأولى. سنة 1982.

13 – إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري. شهاب الدين القسطلاني. دار صادر. بيروت. نسخة مصوّرة عن طبعة بولاق سنة 1304 هجرية.

14 – الأزمنة والأمكنة. المرزوقي. طبعة مصورة عن طبعة حيدر آباد الدكن سنة 1332 هجرية. دار الكتاب الإسلامي. القاهرة. بلا تاريخ.

15 – الاستيعاب في معرفة الأصحاب. يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر. تحقيق فضيلة الدكتور طه محمد الزيني. مطبوع على هامش الإصابة. مكتبة الكليات الأزهرية. القاهرة. الطبعة الأولى. سنة 1976.

16 – أُسد الغابة في معرفة الصحابة. ابن الأثير. دار إحياء التراث العربي. بيروت. لبنان. بلا تاريخ.

17 – أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها. الأسود الغندجاني. حقّقه وقدّم له الدكتور محمد علي سلطاني. دمشق. سنة 1981. لم يذكر مكان الطبع.

18 – أسماء خيل العرب وفرسانها. ابن الأعرابي. تحقيق ودراسة الدكتور محمد عبد القادر أحمد. ملتزم الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية. القاهرة. الطبعة الأولى. سنة 1984.

19 – الأشربة. ابن قتيبة الدينوري. عني بنشره وتحقيقه محمد كرد علي. مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، سنة 1947.

20 – أشعار اللصوص وأخبارهم. جمع وتحقيق عبد المعين الملوحي. دار الحضارة الجديدة. بيروت. الطبعة الثانية. سنة 1993.

21 – الإصابة في تمييز الصحابة. ابن حجر العسقلاني. تحقيق فضيلة الدكتور طه محمد الزيني. الناشر مكتبة الكليات الأزهرية. القاهرة. الطبعة الأولى. سنة 1976.

22 – الأصمعيات. اختيار الأصمعي. تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر. عبد السلام محمد هارون. دار المعارف بمصر. القاهرة، الطبعة الخامسة. سنة 1979.

23 – الأصنام. هشام بن محمد بن السائب الكلبي. تحقيق د. محمد عبد القادر أحمد وأحمد محمد عبيد. ملتزم النشر والطبع مكتبة النهضة المصرية. القاهرة. سنة 1993.

24 – الأغاني. لأبي الفرج الأصفهاني. دار الثقافة. بيروت. سنة 1957.

25 – أمالي ابن الشجري. الطبعة الأولى في مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية. حيدر آباد الدكن. سنة 1349 هجرية.

26 – الأمالي. لأبي علي القالي. مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة. الطبعة الثانية. سنة 1926.

27 – الإمتاع والمؤانسة. لأبي حيان التوحيدي. صحّحه وضبطه وشرح غريبه أحمد أمين وأحمد الزين. لجنة التأليف والترجمة والنشر. طبعة مصورة. المكتبة العصرية. بيروت.

28 – إنباه الرواة على أنباه النحاة. القفطي. بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. مطبعة دار الكتب المصرية. القاهرة. سنة 1952.

29 – الأنساب. السمعاني. بتحقيق الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو. الناشر محمد أمين دمج. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى. سنة 1981.

30 – أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها. ابن الكلبي. تحقيق المرحوم أحمد زكي باشا. مطبعة دار الكتب المصرية. القاهرة. سنة 1946.

31 – الأنواء في مواسم العرب. ابن قتيبة الدينوري. باعتناء م. نظام الدين. حيدر آباد الدكن. الطبعة الأولى. سنة 1956.

32 – الأنوار ومحاسن الأشعار. لأبي الحسن علي بن محمد بن المطهر العدوي المعروف بالشمشاطي. تحقيق صالح مهدي العزاوي. منشورات وزارة الإعلام. الجمهورية العراقية. سنة 1976.

33 – الأوائل. أبو هلال العسكري. حقّقه وعلَّق عليه محمد السيد الوكيل. المدينة المنورة. سنة 1966.
34 – الأوائل. أبو هلال العسكري. تحقيق د. وليد قصاب ومحمد المصري. دار العلوم للطباعة والنشر. الرياض. الطبعة الثانية. سنة 1981.
35 – البخلاء. للخطيب البغدادي. تحقيق الدكتور أحمد مطلوب، والدكتورة خديجة الحديثي وأحمد ناجي القيسي. ساعد المجمع العلمي العراقي على نشره. الطبعة الأولى. سنة 1964.
36 – البخلاء. الجاحظ. حقّق نصَّه وعلَّق عليه طه الحاجري. دار المعارف بمصر. سنة 1963.
37 – البرصان والعرجان والعميان والحولان. الجاحظ. تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون. المكتبة العصرية. بيروت. بلا تاريخ.
38 – بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. السيوطي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية. بيروت. بلا تاريخ.
39 – بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب. السيد محمود شكري الألوسي البغدادي. عني بشرحه وتصحيحه وضبطه محمد بهجة الأثري. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. الطبعة الثانية. بلا تاريخ.
40 – بهجة المجالس وأُنس المجالس. يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي. تحقيق محمد مرسي الخولي. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. الطبعة الثانية. سنة 1982.
41 – البيان والتبيين. الجاحظ. بتحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي بمصر. الطبعة الثانية. سنة 1960.
42 – تاج العروس من جواهر القاموس. محمد مرتضى الزبيدي. المطبعة الخيرية. مصر سنة 1306 للهجرة.
43 – تاريخ الأدب العربي. د. عمر فروخ. دار العلم للملايين. بيروت. لبنان. الطبعة السادسة. سنة 1992.
44 – تاريخ الأدب العربي. كارل بروكلمان. نقلَه إلى العربية د. عبد الحليم النجّار. دار المعارف بمصر. سنة 1961.
45 – تاريخ بغداد. الخطيب البغدادي. الناشر دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان. بلا تاريخ.
46 – تاريخ الحكماء. القفطي. باعتناء الدكتور يوليوس لايبرت. لايبزج. سنة 1903.
47 – تاريخ الخلفاء. السيوطي. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. مطبعة المدني. القاهرة. الطبعة الثالثة. سنة 1964.
48 – تاريخ الموسيقى العربية. هنري جورج فارمر. ترجمة د. حسين نصار. مكتبة مصر. القاهرة. سنة 1956.
49 – تأويل مختلف الحديث. ابن قتيبة الدينوري. صححه وضبطه محمد زهدي النجّار. مكتبة الكليات الأزهرية. القاهرة. سنة 1966.
50 – تأويل مشكل القرآن. ابن قتيبة الدينوري. بشرح وتحقيق السيد أحمد صقر. دار إحياء الكتب العربية. عيسى البابي الحلبي وشركاه. القاهرة. سنة 1954.
51 – ترتيب المدارك وتقريب المسالك. القاضي عياض. تحقيق الدكتور محمد بن شريفة. المملكة المغربية. وزارة الأوقاف بلا تاريخ.
52 – تفسير سورة الإخلاص. ابن تيمية. عني بتصحيحه السيد محمد بدر الدين النعساني. الطبعة الأولى.

القاهرة. سنة 1323هـ.
53 – تفسير الطبري. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. دار الفكر. بيروت. سنة 1988.
54 – تفسير القرطبي. الجامع لأحكام القرآن. دار الكتاب العربي للطباعة والنشر. القاهرة. سنة 1967.
55 – تفسير غريب القرآن. ابن قتيبة الدينوري. بتحقيق السيد أحمد صقر. دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه. القاهرة. سنة 1958.
56 – تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون. خليل الصفدي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية. بيروت. لبنان. سنة 1969.
57 – تمثال الأمثال. أبو المحاسن محمد بن علي العبدري الشيبي. حققّه وقدّم له الدكتور أسعد ذبيان. دار المسيرة. بيروت. الطبعة الأولى. سنة 1982.
58 – التمثيل والمحاضرة. الثعالبي. تحقيق عبد الفتّاح محمد الحلو. دار إحياء الكتب العربية. عيسى البابي الحلبي وشركاه. القاهرة. سنة 1961.
59 – تنوير الحوالك شرح موطأ الإمام مالك. السيوطي. دار الندوة الجديدة. بيروت. لبنان. بلا تاريخ.
60 – تهذيب الأسماء واللغات. محيي الدين النووي. عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية. القاهرة. بلا تاريخ.
61 – تهذيب التهذيب. ابن حجر العسقلاني. مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية. الهند. الطبعة الأولى. سنة 1325 هجرية.
62 – التوراة السامية. ترجمة الكاهن السامري أبي الحسن إسحاق الصوري. نشرها وعرَّف بها الدكتور أحمد حجازي السقا. الناشر دار الأنصار. القاهرة. سنة 1978. الطبعة الأولى.
63 – ثمار القلوب في المضاف والمنسوب. الثعالبي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف بمصر. سنة 1985.
64 – جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام. لأبي زيد القرشي. حققّه وعلَّق عليه وزاد في شرحه د. محمد علي الهاشمي. مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى. سنة 1979.
65 – جمهرة الأمثال. لأبي هلال العسكري. حققّه وعلَّق حواشيه ووضع فهارسه محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش. ملتزم الطبع والنشر المؤسسة العربية الحديثة. القاهرة. الطبعة الأولى. سنة 1964.
66 – جمهرة أنساب العرب. ابن حزم. تحقيق وتعليق عبد السلام هارون. دار المعارف بمصر. سنة 1962.
67 – جمهرة النسب. ابن الكلبي. تحقيق محمد فردوس العظم. دار اليقظة العربية. دمشق. بلا تاريخ.
68 – حلية الفرسان وشعار الشجعان. علي بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي. تحقيق وتعليق محمد عبد الغني حسن. دار المعارف. مصر. القاهرة. سنة 1951.
69 – الحماسة. لأبي عبادة البحتري. نقله عن صورة فوتوغرافية للنسخة الأصلية وضبطه وعلَّق حواشيه كمال مصطفى. المطبعة الرحمانية. القاهرة. الطبعة الأولى. سنة 1929.
70 – الحماسة البصرية. لصدر الدين بن أبي الفرج بن الحسين البصري. اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه الدكتور مختار الدين أحمد أم – أي – ذي – فل – آكسن. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية. حيدر آباد. الدكن. الهند. سنة 1964.

71 – الحماسة البصرية. تحقيق الدكتور عادل جمال سليمان. جمهورية مصر العربية. وزارة الأوقاف. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. لجنة إحياء التراث الإسلامي. سنة 1978.
72 – الحيوان. الجاحظ. بتحقيق وشرح عبد السلام هارون. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. الطبعة الثانية. سنة 1965.
73 – الخيل. أبو عبيدة معمر بن المثنى. تحقيق د. محمد عبد القادر أحمد. مطبعة النهضة العربية. القاهرة. سنة 1986.
74 – الخيل، للأصمعي. تحقيق الدكتور نوري حمودي القيسي. مستلة من مجلة كلية الآداب. جامعة بغداد. مطبعة الحكومة. بغداد. سنة 1970.
75 – خزانة الأدب. عبد القادر البغدادي. تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون. الناشر مكتبة الخانجي. القاهرة. الطبعة الثانية. سنة 1989.
76 – دليل فهارس المخطوطات في المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية. الأردن وفلسطين. مطبوعات المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية. عمّان. الأردن.
77 – دراسة في كتب ابن قتيبة. د. عبد الله الجبوري. بحث منشور بمجلة آداب الجامعة المستنصرية. بغداد. سنة 1977.
78 – الديباج، لأبي عبيدة معمر بن المثنى. تحقيق د. عبد الله الجربوع، و د. عبد الرحمن العثيمين. مكتبة الخانجي. القاهرة. الطبعة الأولى. سنة 1991.
79 – الديباج المذهّب في معرفة أعيان علماء المذهب. ابن فرحون المالكي. تحقيق و تعليق د. محمد الأحمدي أبو النور. دار التراث للطبع والنشر. القاهرة. سنة 1972.
80 – ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي. تحقيق محمد عبده عزام. دار المعارف بمصر. الطبعة الثالثة. سنة 1976.
81 – ديوان أبي العتاهية. باعتناء كرم البستاني. دار صادر، دار بيروت. بيروت. سنة 1964.
82 – ديوان أبي نواس. تحقيق بدر الدين حاضري ومحمد حمامي. دار الشرق العربي. بيروت. الطبعة الأولى. سنة 1992.
83 – ديوان الأسود بن يعفر. صنعة د. نوري حمودي القيسي. وزارة الثقافة والإعلام. بغداد. سنة 1968.
84 – ديوان الأعشى الكبير. ميمون بن قيس. شرح وتعليق د. محمد محمد حسين. المكتب الشرقي للنشر والتوزيع. بيروت. لبنان. سنة 1968.
85 – ديوان امرئ القيس. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف بمصر. سنة 1958.
86 – ديوان جران العود النميري. رواية أبي سعيد السكري. مطبعة دار الكتب المصرية. الطبعة الأولى. سنة 1931.
87 – ديوان جرير، باعتناء كرم البستاني. دار صادر للطباعة والنشر. دار بيروت للطباعة والنشر. بيروت. سنة 1960.
88 – ديوان حاتم الطائي. تحقيق وشرح كرم البستاني. مكتبة صادر. بيروت. سنة 1953.
89 – ديوان حسّان بن ثابت. حقّقه وعلّق عليه د. وليد عرفات. دار صادر. بيروت. سنة 1974.
90 – ديوان الحطيئة. برواية وشرح ابن السكيت. تحقيق د. نعمان محمد أمين طه. الناشر مكتبة الخانجي.

القاهرة. الطبعة الأولى. سنة 1987.
91 – ديوان الحماسة لأبي تمام. تحقيق د. عبد المنعم أحمد صالح. منشورات وزارة الثقافة والإعلام. بغداد. سنة 1980.
92 – ديوان حميد بن ثور الهلالي. صنعة الأستاذ عبد العزيز الميمني. مطبعة دار الكتب المصرية. القاهرة. الطبعة الأولى. سنة 1951.
93 – ديوان الخريمي. جمعه وحقّقه علي جواد الطاهر، ومحمد جبار المعيبد. دار الكتاب الجديد. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى. سنة 1971.
94 – ديوان ذي الرمة. حقّقه وقدّم له وعلّق عليه الدكتور عبد القدوس أبو صالح. مؤسسة الإيمان. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى. سنة 1982.
95 – ديوان الراعي النميري. جمعه وحقّقه راينهرت فاييرت. المعهد الألماني للأبحاث الشرقية. بيروت. سنة 1980.
96 – ديوان زيد الخيل الطائي. صنعة د. نوري حمودي القيسي. مطبعة النعمان. النجف الأشرف. بغداد. سنة 1968.
97 – ديوان السيدي الحميري. جمعه وحقّقه وشرحه شاكر هادي شكر. منشورات دار مكتبة الحياة. بيروت. بلا تاريخ.
98 – ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره. صنعة يحيى بن مدرك. رواية هشام ابن محمد الكلبي. دراسة وتحقيق د. عادل سليمان جمال. مطبعة المدني. القاهرة. الطبعة الثانية. سنة 1990.
99 – ديوان شعر الخوارج. جمع وتحقيق د. إحسان عباس. دار الشروق. بيروت. القاهرة. الطبعة الرابعة. سنة 1982.
100 – ديوان طرفة بن العبد. شرح الأعلم الشنتمري. تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق. سنة 1975.
101 – ديوان الطرّماح. حقّقه د. عزّة حسن. وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي. دمشق. سنة 1968.
102 – ديوان الطفيل الغنوي. تحقيق محمد عبد القادر أحمد. دار الكتاب الجديد. بيروت. الطبعة الأولى. سنة 1968.
103 – ديوان العباس بن مرداس السلمي. جمعه وحقّقه د. يحيى الجبوري. مطبوعات وزارة الثقافة والإعلام. بغداد. سنة 1968.
104 – ديوان عبد الله بن رواحة الأنصاري الخزرجي. دراسة، جمع، تحقيق د. حسن محمد باجودة. مطبعة السنة المحمدية. القاهرة. سنة 1972.
105 – ديوان العجّاج. رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي وشرحه. عني بتحقيقه د. عزة حسن. مكتبة دار الشرق. شارع سوريا. بيروت. سنة 1971.
106 – ديوان عدي بن زيد العبادي. حقّقه وجمعه محمد جبار المعيبد. وزارة الثقافة والإرشاد. بغداد. سنة 1965.
107 – ديوان العرجي. شرحه وحقّقه خضر الطائي ورشيد العبيدي. الشركة الإسلامية للطباعة والنشر المحدودة. بغداد. الطبعة الأولى. سنة 1956.

108 – ديوان عروة بن الورد. شرح ابن السكيت. حقّقه وأشرف على طبعه ووضع فهارسه عبد المعين الملوحي. وزارة الثقافة. دمشق. بلا تاريخ.
109 – ديوان الفرزدق. دار صادر. دار بيروت. بيروت. سنة 1960.
110 – ديوان القطامي. باعتناء جي. بارث. بريل. لايدن. سنة 1902.
111 – ديوان كثيّر عزَّة. جمعه وشرحه د. إحسان عباس. نشر وتوزيع دار الثقافة. بيروت. لبنان. سنة 1971.
112 – ديوان المزرّد بن ضرار الغطغاني. عني بتحقيقه خليل إبراهيم العطية. مطبعة أسعد. بغداد. سنة 1962.
113 – ديوان مسكين الدارمي. جمعه وحقّقه عبد الله الجبوري وخليل العطية. مطبعة دار البصري. بغداد. سنة 1970.
114 – ديوان المعاني. لأبي هلال العسكري. عالم الكتب. بلا تاريخ.
115 – ديوان النابغة الذبياني. جمعه وشرحه وكمّله وعلّق عليه الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور. الشركة التونسية للتوزيع. سنة 1976.
116 – رسائل ابن حزم الأندلسي. تحقيق د. إحسان عباس. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. الطبعة الثانية. سنة 1987.
117 – رسائل البلغاء. محمد كرد علي. لجنة التأليف والترجمة والنشر. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة. الطبعة الثالثة. سنة 1946.
118 – رسائل الجاحظ. بتحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي. القاهرة. سنة 1964.
119 – رسالة الصداقة والصديق. لأبي حيان التوحيدي. عني بتحقيقها والتعليق عليها د. إبراهيم الكيلاني. دار الفكر بدمشق. سنة 1964.
120 – رفع الإصر عن قضاة مصر. ابن حجر العسقلاني. بتحقيق د. حامد عبد المجيد ومحمد المهدي أبو سنة. المطبعة الأميرية. القاهرة. سنة 1957.
121 – روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات. الخوانساري. تحقيق أسد الله إسماعيليان. دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان. بلا تاريخ.
122 – زاد المعاد في هدى خير العباد. لان قيّم الجوزية. دار الفرقان. عمَّان. الأردن. بلا تاريخ.
123 – زهر الآداب وثمر الألباب. الحصري القيرواني. عارضه بمخطوطات القاهرة وحقَّقه وضبطه وشرحه ووضع فهارسه علي محمد البجاوي. دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه. الطبعة الأولى. القاهرة. سنة 1953.
124 – سرح العيون في رسالة ابن زيدون. جمال الدين بن نباتة المصري. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. الناشر دار الفكر العربي. القاهرة. سنة 1964.
125 – سلم الخاسر. د. نايف معروف. بلا ذكر لمكان الطبع وتاريخه.
126 – سمط اللآلي. البكري. نسخه وصححّه وحقّق ما فيه وخرّجه عبد العزيز الميمني. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة. سنة 1936.
127 – سنن ابن ماجة. حقّق نصوصه وعلّق عليه محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي. سنة

.1975
128 – سنن أبي داود. إعداد وتعليق عزّت عبيد الدعاس وعادل السيد. دار الحديث للطباعة والنشر. بيروت. الطبعة الأولى. سنة 1974.
129 – سنن الترمذي. تحقيق كمال يوسف الحوت. دار الفكر للطباعة والنشر. بلا تاريخ.
130 – سنن الدارمي. طبع بعناية محمد أحمد دهمان. نشرته دار إحياء السنة النبوية. بلا تاريخ ومكان الطبع.
131 – سير أعلام النبلاء. الذهبي. أشرف على تحقيق الكتاب وخرَّج أحاديثه شعيب الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة. بيروت. الطبعة الأولى. سنة 1983.
132 – السيرة النبوية. ابن هشام. حقّقها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها مصطفى السقا. إبراهيم الأبياري. عبد الحفيظ شلبي. منشورات دار إحياء التراث العربي. بيروت. لبنان. بلا تاريخ.
133 – شرح أشعار الهذليين. صنعة السكري. حقّقه عبد الستار أحمد فراج. راجعه محمود محمد شاكر. مكتبة دار العروبة. بلا تاريخ.
134 – شرح ديوان أبي تمام. ضبطه وشرحه الأديب شاهين عطية. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى. سنة 1987.
135 – شرح ديوان أميّة بن أبي الصلت. قدّم له وعلّق حواشيه سيف الدين الكاتب وأحمد عصام الكاتب. منشورات دار مكتبة الحياة. بيروت. لبنان. بلا تاريخ.
136 – شرح ديوان الحماسة. الخطيب التبريزي. حقّقه وضبط غريبه وعلّق حواشيه ووضع فهارسه محمد محيي الدين عبد الحميد. مطبعة حجازي. القاهرة. سنة 1938.
137 – شرح ديوان زهير بن أبي سلمى. صنعة الإمام أبي العباس ثعلب. باعتناء أحمد زكي العدوي. الدار القومية للطباعة والنشر. القاهرة. سنة 1964.
138 – شرح ديوان كعب بن زهير. صنعة الإمام أبي سعيد الحسن بن الحسين بن عبيد الله السكري. الدار القومية للطباعة والنشر. القاهرة. سنة 1950.
139 – شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري. حقّقه وقدَّم له د. إحسان عباس. وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت. الكويت. سنة 1962.
140 – شرح نقائض جرير الفرزدق. لأبي عبيدة. تحقيق د. محمد حور. ود. وليد محمود خالص. مطبوعات المجمع الثقافي. أبو ظبي. سنة 1994.
141 – شرح نهج البلاغة. ابن أبي الحديد. بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار الجيل. بيروت. الطبعة الأولى. سنة 1987.
142 – شعر أبي زبيد الطائي. جمعه وحقّقه د. نوري حمودي القيسي. مطبعة المعارف. بغداد. سنة 1967.
143 – شعر الأحوص الأنصاري. جمعه وحقّقه عادل سليمان جمال. مكتبة الخانجي. القاهرة. مطبعة المدني. الطبعة الثانية. سنة 1990.
144 – شعر الأخطل. صنعة السكري. تحقيق د. فخر الدين قباوة. دار الأصمعي. حلب. سنة 1970.
145 – شعر بني تميم في العصر الجاهلي. جمع وتحقيق د. عبد الحميد محمود المعيني. من منشورات نادي القصيم الأدبي. بريدة. المملكة العربية السعودية. سنة 1982.
146 – شعر دعبل بن علي الخزاعي. صنعة د. عبد الكريم الأشتر. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

الطبعة الثانية. سنة 1983.
147 – شعر زياد الأعجم. جمع وتحقيق ودراسة د. يوسف حسين بكار. وزارة الثقافة والإرشاد القومي. دمشق. سنة 1983.
148 – شعر طريح بن إسماعيل الثقفي. دراسة وجمع وتحقيق د. بدر أحمد ضيف. دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية. سنة 1987.
149 – شعر طيئ وأخبارها في الجاهلية والإسلام. جمع وتحقيق ودراسة د. وفاء فهمي السنديوني. دار العلوم للطباعة والنشر. الرياض. المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى. سنة 1983.
150 – شعر عبدة بن الطبيب. د. يحيى الجبوري. دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع. بغداد. سنة 1971.
151 – شعر علي بن جبلة الملقَّب بالعكّوك. جمعه وحقّقه وقدَّم له د. حسين عطوان. دار المعارف بمصر. سنة 1972.
152 – شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي. جمعه ونسقه مطاع الطرابيشي. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق. الطبعة الثانية. سنة 1985.
153 – شعر الكميت بن زيد الأسدي. جمع وتقديم د. داود سلوم. مطبعة النعمان. النجف. مكتبة الأندلس. بغداد. سنة 1969.
154 – شعر النابغة الجعدي. باعتناء عبد العزيز رباح. المكتب الإسلامي للطباعة والنشر. بيروت. دمشق. الطبعة الأولى. سنة 1964.
155 – شعر النعمان بن بشير الأنصاري. حقّقه وقدَّم له د. يحيى الجبوري. مطبعة المعارف. بغداد. الطبعة الأولى. سنة 1968.
156 – الشعر والشعراء. ابن قتيبة الدينوري. تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر. دار المعارف بمصر. القاهرة. الطبعة الثانية. سنة 1982.
157 – شعراء مقلّون. د. حاتم الضامن. عالم الكتب. مكتبة النهضة المصرية. بيروت. الطبعة الأولى. سنة 1987.
158 – الشعوبية والأدب. د. خليل جفال. منشورات دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت. الطبعة الأولى. سنة 1986.
159 – صحيح البخاري. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى. سنة 1992.
160 – صحيح الجامع الصغير وزياداته. محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي. بيروت. دمشق. الطبعة الثالثة. سنة 1982.
161 – صحيح مسلم بشرح النووي. دار إحياء التراث العربي. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى. سنة 1929.
162 – الطبقات الكبرى. ابن سعد. تقديم. د. إحسان عباس. دار صادر. بيروت. بلا تاريخ.
163 – عبد الله بن المبارك المروزي. د. عبد المجيد المحتسب. من منشورات وزارة الأوقاف. عمَّان. الأردن. سنة 1972.
164 – عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقّى من رسائله ورسائل سالم أبي العلاء. دراسة وإعداد د. إحسان عباس. دار الشروق. عمَّان. الأردن. الطبعة الأولى. سنة 1988.
165 – العثمانية. الجاحظ. بتحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون. مطابع دار الكتاب العربي. القاهرة.

سنة 1955.
166 – العقد الفريد. ابن عبد ربّه الأندلسي. شرحه وضبطه وصحّحه وعنون موضوعاته ورتّب فهارسه أحمد أمين. أحمد الزين. إبراهيم الإبياري. دار الكتاب العربي سنة 1983. نسخة مصوّرة عن الطبعة المصرية. سنة 1940.
167 – العمدة في محاسن الشعر. ابن رشيق القيرواني. حقّقه وفصّله وعلّق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد. مطبعة السعادة بمصر. الطبعة الثالثة. سنة 1963.
168 – عهد أردشير. حقّقه وقدّم له د. إحسان عباس. دار صادر. بيروت. سنة 1967.
169 – عيون الأخبار. ابن قتيبة الدينوري. الناشر دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان. نسخة مصوّرة عن طبعة دار الكتب المصرية. باعتناء أحمد زكي العدوي. القاهرة. بلا تاريخ.
170 – عيون الأنباء في طبقات الأطباء. ابن أبي أصيبعة. شرح وتحقيق د. نزار رضا. منشورات دار مكتبة الحياة. بيروت. سنة 1965.
171 – غريب الحديث. ابن قتيبة الدينوري. تحقيق ودراسة ألسنية د. رضا السويسي. الدار التونسية للنشر. تونس. سنة 1979.
172 – غريب الحديث. ابن قتيبة الدينوري. تحقيق د. عبد الله الجبوري. الجمهورية العراقية. وزارة الأوقاف. الطبعة الأولى. بغداد. سنة 1977.
173 – الفاخر. المفضَّل بن سلمة بن عاصم. تحقيق عبد العليم الطحاوي. مراجعة محمد علي النجار. دار إحياء الكتب العربية. عيسى البابي الحلبي وشركاه. وزارة الثقافة والإرشاد القومي. الجمهورية العربية المتحدة. الطبعة الأولى. سنة 1960.
174 – فتح الباري بشرح صحيح البخاري. العسقلاني. رقَّم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي. دار الفكر للطباعة والنشر. بلا تاريخ.
175 – فصل المقال في شرح كتاب الأمثال. لأبي عبيد البكري. حقّقه وقدّم له د. إحسان عباس ود. عبد المجيد عابدين. دار الأمانة. مؤسسة الرسالة. سنة 1981.
176 – الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ. لأبي العلاء المعري. ضبطه وفسَّر غريبه محمود حسن زناتي. المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر. بيروت. بلا تاريخ.
177 – فهرس الكتب العربية الموجودة بالدار لغاية شهر مايو سنة 1926. الطبعة الأولى. مطبعة دار الكتب المصرية. القاهرة. سنة 1927.
178 – الفهرست. ابن النديم. دار المعرفة للطباعة والنشر. بيروت. لبنان. بلا تاريخ.
179 – القرطين. لابن مطرف الكناني. مكتبة الخانجي. الطبعة الأولى. القاهرة. سنة 1355 هجرية.
180 – الكامل. المبرد. حقّقه وعلّق عليه وصنع فهارسه د. محمد أحمد الدالي. مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت. الطبعة الثانية. سنة 1993.
181 – الكتاب. سيبويه. تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون. الهيئة المصرية العامة للكتاب. الطبعة الثانية. سنة 1977.
182 – كتاب الأمثال، لأبي عبيد القاسم بن سلاّم. حقّقه وعلّق عليه وقدّم له د. عبد المجيد قطامش. جامعة الملك عبد العزيز. المملكة العربية السعودية. دار المأمون للتراث. دمشق. الطبعة الأولى. سنة 1980.

183 – كتاب النخلة. لأبي حاتم السجستاني. تحقيق د. حاتم الضامن. منشور ضمن كتاب [نصوص محقَّقة في اللغة والنحو]. وزارة التعليم العالي والبحث العلمي. جامعة بغداد. مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر. بغداد. سنة 1990.
184 – كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. حاجي خليفة. دار الفكر للطباعة والنشر. بيروت. لبنان. سنة 1982.
185 – كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال. علاء الدين الهندي. ضبطه وفسَّر غريبه الشيخ بكر حياني. مؤسسة الرسالة. بيروت. دمشق. سنة 1979.
186 – لسان العرب. ابن منظور الإفريقي. دار صادر. بيروت. بلا تاريخ.
187 – مجالس ثعلب. لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب. شرح وتحقيق عبد السلام محمد هارون. دار المعارف. بمصر. سنة 1948.
188 – مجلس المقتبس. لمنشئها محمد كرد علي.
189 – مجمع الأمثال. الميداني. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار الجيل. بيروت. الطبعة الثانية. سنة 1987.
190 – المحاسن والمساوئ. البيهقي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. مطبعة نهضة مصر. القاهرة. سنة 1961.
191 – المحبِّر. محمد بن حبيب. اعتنت بتصحيح هذا الكتاب الدكتورة إيلزة ليختن شتَير. منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت. نسخة مصوّرة عن طبعة حيدر آباد الدكن. سنة 1361 هجرية.
192 – المختار من شعر بشار. اختيار الخالديين وشرحه لأبي الطاهر إسماعيل بن أحمد بن زياد الله التجيبي البرقي. اعتنى بنسخه وتصحيحه السيد محمد بدر الدين العلوي. مطبوعات لجنة التأليف والترجمة والنشر. سنة 1934.
193 – مرآة الجنان وعبرة اليقظان. اليافعي. الطبعة الأولى بمطبعة دائرة المعارف النظامية الكائنة بحيدر آباد الدكن. سنة 1338 هجرية.
194 – مروان بن محمد وأسباب سقوط الدولة الأموية. القاضي سعدي أبو جيب. دار لسان العرب. لبنان. سنة 1972.
195 – المستقصى في أمثال العرب. الزمخشري. حيدر آباد الدكن. من مطبوعات دائرة المعارف العثمانية. الهند. الطبعة الأولى. سنة 1962.
196 – مسند الإمام أحمد بن حنبل. المكتب الإسلامي للطباعة والنشر. دار صادر للطباعة والنشر. بيروت.
197 – مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية. د. ناصر الدين الأسد. دار الجيل. بيروت. الطبعة السابعة. سنة 1988.
198 – المصون في الأدب. الحسن بن عبد الله العسكري. تحقيق عبد السلام محمد هارون. الناشر مكتبة الخانجي. دار الرفاعي. الرياض. الطبعة الثانية. سنة 1982.
199 – مضاهاة أمثال كليلة ودمنة بما أشبهها من أشعار العرب. استخراج محمد بن حسين بن عمر اليمني. تحقيق د. محمد يوسف نجم. دار الثقافة. بيروت. سنة 1961.

200 – معاهد التنصيص على شواهد التخليص. عبد الرحيم العباسي. حقَّقه وعلَّق حواشيه وصنع فهارسه محمد محيي الدين عبد الحميد. مطبعة السعادة. القاهرة. سنة 1947.
201 – معاني أبيات الحماسة. لأبي عبد الله النمَري. تحقيق د. عبد الله عبد الرحيم عسيلان. مطبعة المدني. القاهرة. الطبعة الأولى. سنة 1983.
202 – المعاني الكبير. ابن قتيبة الدينوري. باعتناء عبد الرحمن بن يحيى اليماني. حيدر آباد الدكن. الطبعة الأولى. سنة 1949.
203 – معجم الأدباء. ياقوت الحموي. تحقيق د. إحسان عباس. دار الغرب الإسلامي. بيروت. الطبعة الأولى. سنة 1993.
204 – معجم الألفاظ الفارسية المعرَّبة. السيد ادّي شير. مكتبة لبنان. بيروت. سنة 1990.
205 – معجم البلدان. ياقوت الحموي. تحقيق فريد عبد العزيز الجندي. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى. سنة 1990.
206 – المعجم الذهبي. د. محمد التونجي. دار العلم للملايين. بيروت. الطبعة الأولى. سنة 1969.
207 – معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع. البكري الأندلسي. حقَّقه وضبطه مصطفى السقا. الطبعة الثالثة. عالم الكتب. بيروت. سنة 1983.
208 – المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم. لأبي منصور الجواليقي. بتحقيق وشرح أحمد محمد شاكر. مطبعة دار الكتب المصرية. القاهرة. الطبعة الأولى. سنة 1361 هجرية.
209 – المعمّرون والوصايا. لأبي حاتم السجستاني. تحقيق عبد المنعم عامر. عيسى البابي الحلبي وشركاه. القاهرة. سنة 1961.
210 – مفاتيح العلوم. الخوارزمي. تحقيق ودراسة نهى النجار. دار الفكر اللبناني. بيروت. الطبعة الأولى. سنة 1993.
211 – المفصَّل في الألفاظ الفارسية المعرَّبة. وضعه وأيّده بشواهد العربية د. صلاح الدين المنجد. مطبوعات بنياد فرهنك. إيران. الطبعة الأولى. سنة 1978.
212 – المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام. د. جواد علي. دار العِلم للملايين. بيروت. مكتبة النهضة. بغداد. الطبعة الأولى. سنة 1968.
213 – مكارم الأخلاق. الطبرسي. صحّحه وعلَّق عليه علاء الدين العلوي الطالقاني. من منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. طبع بمطابع النجف. بلا تاريخ.
214 – المؤتلف والمختلف. الآمدي. تصحيح الأستاذ الدكتور ف. كرنكو. عنيت بنشره للطبعة الأولى مكتبة القدسي. الطبعة الثانية مصوّرة عنها بدار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. سنة 1982.
215 – الموضوعات. ابن الجوزي. خرَّج آياته وأحاديثه توفيق حمدان. دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الأولى. سنة 1995.
216 – الميسر والقداح. ابن قتيبة الدينوري. نسخه وصحّحه وعلّق عليه ووضع فهارسه محب الدين الخطيب. عنيت بنشره المطبعة السلفية ومكتبتها. القاهرة. سنة 1342 هجرية.
217 – نثر الدرّ، للوزير الكاتب أبي سعيد منصور بن الحسين الآبي. تحقيق محمد علي قرنة. مراجعة علي محمد البجاوي. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة.

218 – نهاية الأرب في فنون الأدب. شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري. مطبعة دار الكتب المصرية. القاهرة. سنة 1924.
219 – نوادر المخطوطات. المجموعة الثالثة. بتحقيق عبد السلام هارون. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة. الطبعة الأولى. سنة 1953.
220 – النوادر في اللغة، لأبي سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري. تحقيق ودراسة د. محمد عبد القادر أحمد. دار الشروق. بيروت. القاهرة. سنة 1981.
221 – نور القبس المختصر من المقتبس. الحافظ اليغموري. عني بتحقيقه رودلف زلهايم. دار النشر فرانتس شتاينر. فسبادن. سنة 1964.
222 – الوافي بالوفيات. صلاح الدين الصفدي. باعتناء دوروتيا كرافولسكي. يطلب من دار النشر فرانز– شتاينر– شتوتغارت. ألمانيا. الطبعة الثالثة. سنة 1991.
223 – الوزراء والكتّاب. الجهشياري. حقّقه ووضع فهارسه مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي. مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. القاهرة. الطبعة الأولى. سنة 1938.
224 – الوسيط في الأمثال. الواحدي. تحقيق د. عفيف محمد عبد الرحمن. مؤسسة دار الكتب الثقافية. الكويت. سنة 1975.
225 – وفيات الأعيان. ابن خلكان. حقّقه وعلّق حواشيه وصنع فهارسه محمد محيي الدين عبد الحميد. مكتبة النهضة المصرية. الطبعة الأولى. سنة 1948.
226 – وقعة صفين. نصر بن مزاحم المنقري. تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون. دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي وشركاه. القاهرة. الطبعة الأولى. سنة 1365 هجرية.
227 – الولاة والقضاة. محمد بن يوسف الكندي. مهذبًّا ومصحَّحًا بقلم رفن كست. طبع بمطبعة الآباء اليسوعيين. بيروت. سنة 1908.

فهرس المحتويات



كتاب جليل القدر بغزارة علمه، وبعلو منزلة مؤلفه - ابن قتيبـة - بين العلماء، وبقدم زمنـه؛ إذ عاش في القرن الذي عدّه المصطفى عليه الصلاة والسلام من القرون المفضّلة.

تعـدُّ مؤلفات ابن قتيبة مـن أهم مصادر الأدب؛ بل من أهـم مصادر الثقافة العربية عامة، لكثـرة ما فيها من فنون اللغـة، ومن بينها هذا الكتاب الـذي يرجع الفضل الأول في التنبيه على قدره إلى مؤرخ الشام (محمد كرد علي).

وتكمـن أهمية هذا الكتـاب في أن صفة الفضل هي من أهـم الصفـات التي تميّز بهـا العرب في عهد ابـن قتيبة، بالإضافة إلى ما كانوا يتميّزون به من صفات حميدة، وتميزوا بها عن غيرهم من الأمم.

وقـد أراد ابن قتيبة أن يبرز في هـذا الكتاب فضل الأمة العربيـة التـي وصفها اللّه سـبحانه وتعالى بأنهـا خير أمة أخرجـت للناس؛ ولذا أبـرز في كتابه هذا محامد للعرب في ماضيهـم ومحاسـن وفضائل لهم أقرها الدين الإسـلامي وحث عليها.

